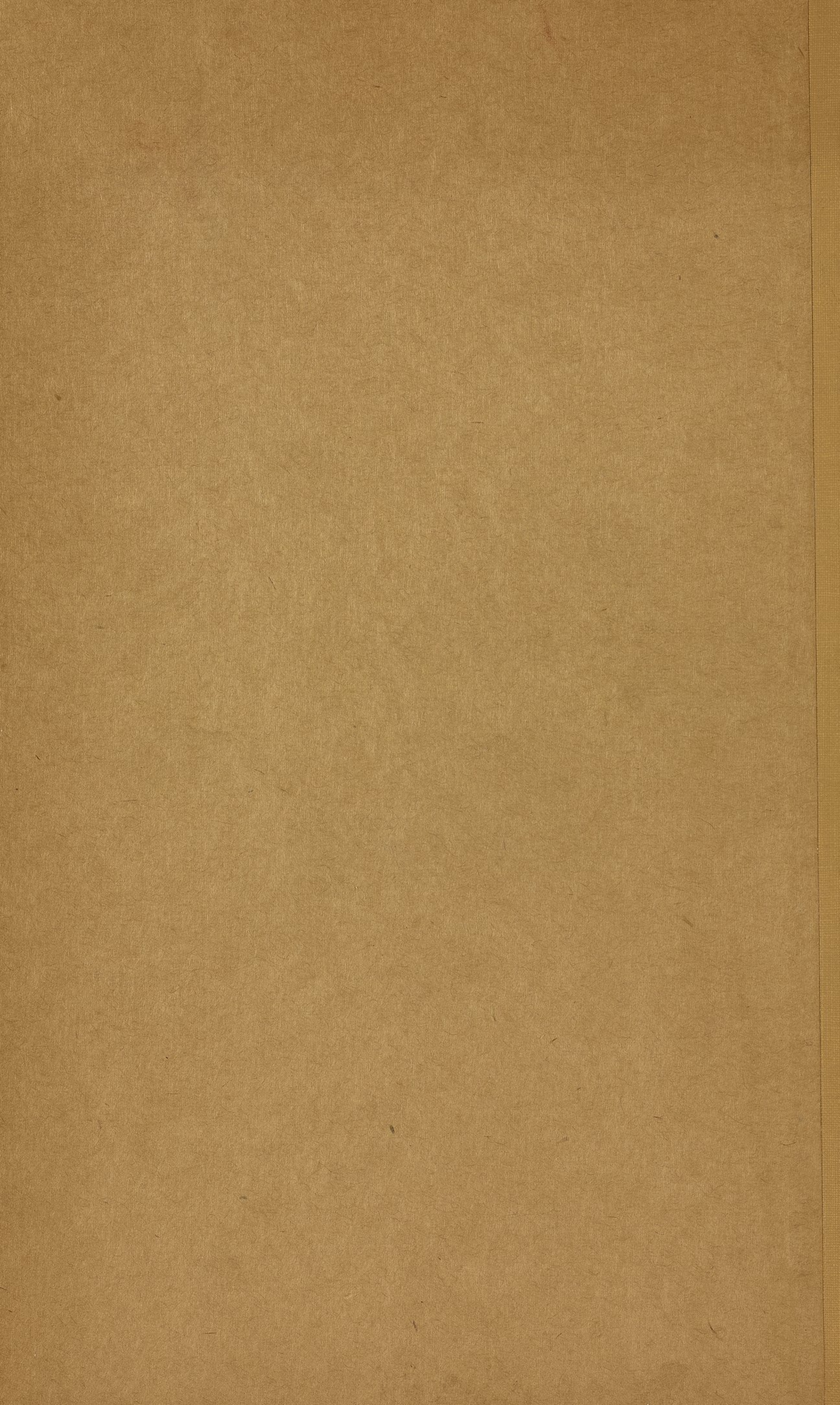
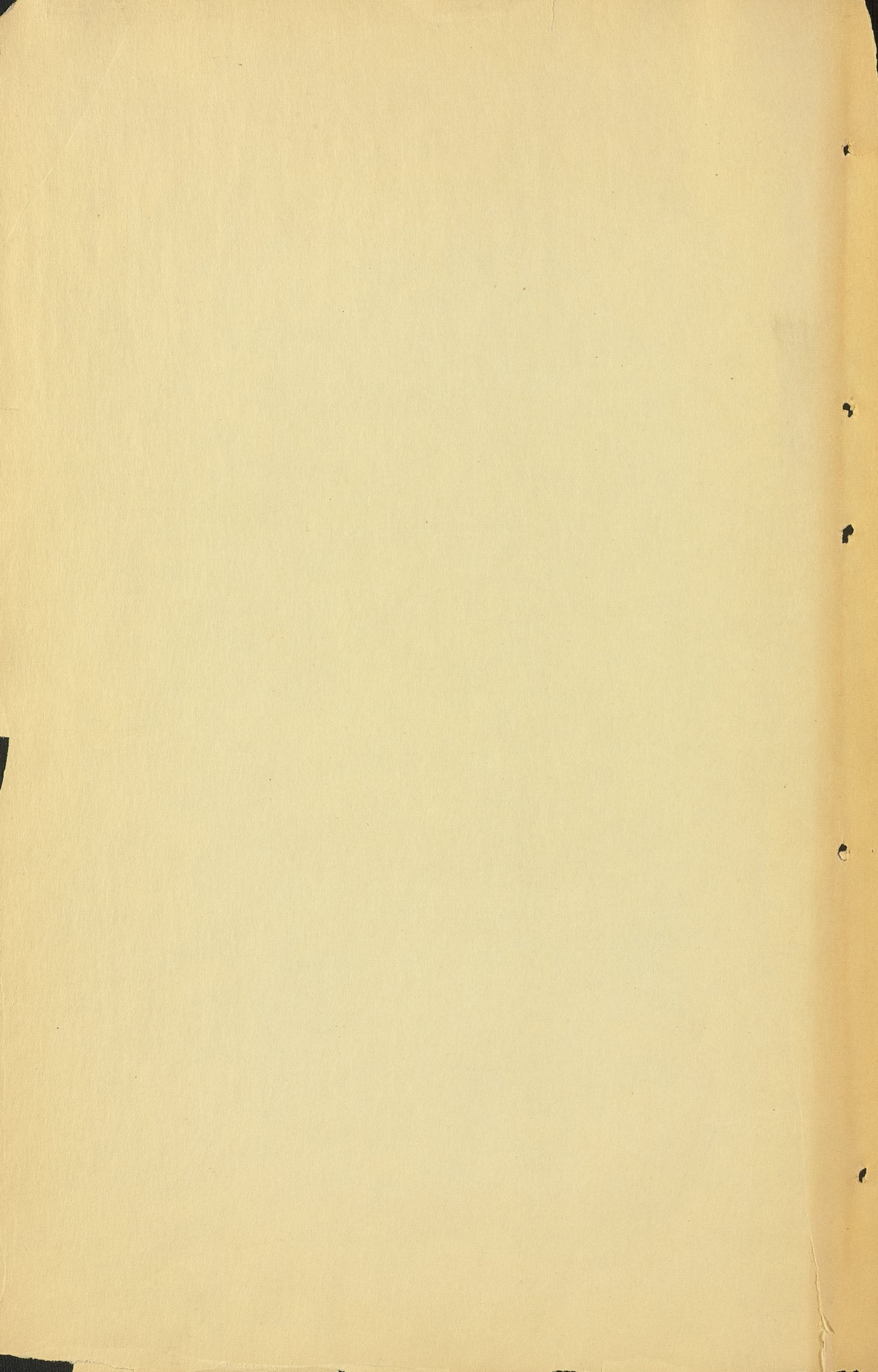
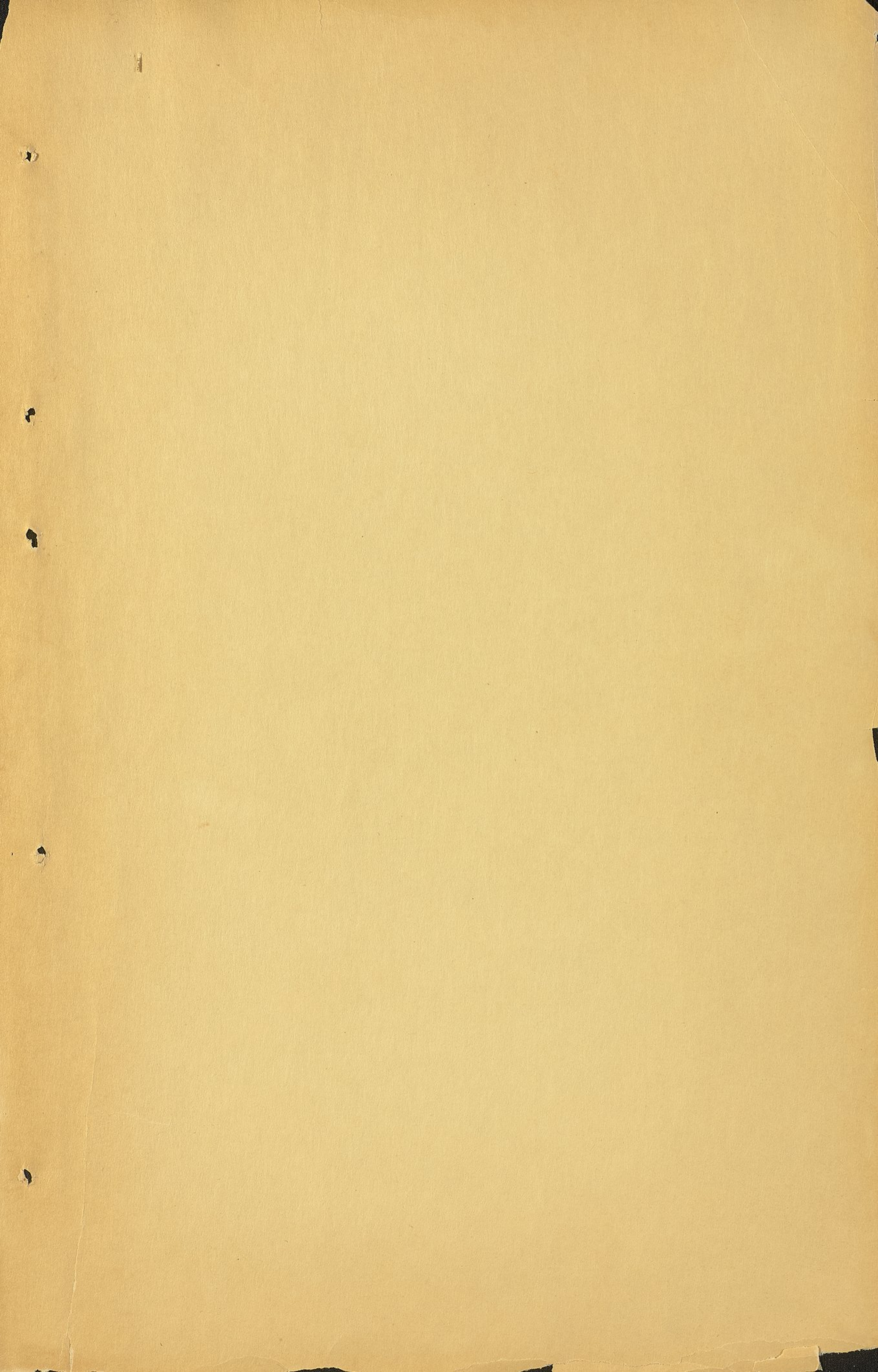
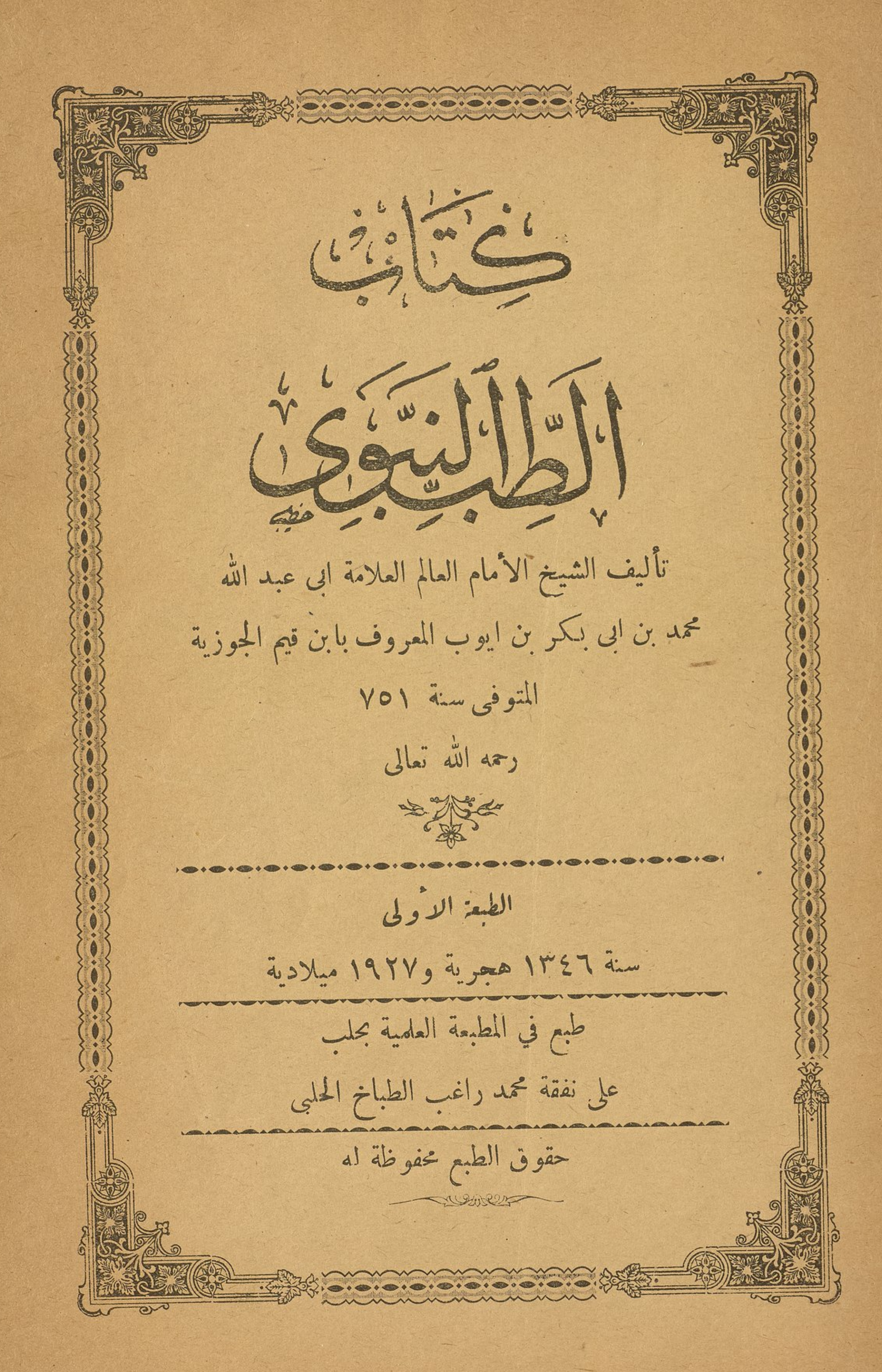








كتاب

الطب النبوي

تأليف الشيخ الأمام العالم العلامة ابي عبد الله

محمد بن ابي بكر بن ايوب المعروف بابن قيم الجوزية

المتوفى سنة ٧٥١

رحمه الله تعالى

الطبعة الأولى

سنة ١٣٤٦ هجرية و١٩٢٧ ميلادية

طبع في المطبعة العلمية بحلب

على نفقة محمد راغب الطباخ الحلبي



كلمة للناشر

في اثناء بحثي عن البقية الباقية من المخطوطات النفيسة فى مكاتب حلب الشهباء عثرت فى مكتبة المدرسة الحلوية على كتاب قديم الخط يرجع عهد كتابته الى القرن الثامن او التاسع كتب عليه (كتاب الطب النبوى) للشيخ الأمام العالم العلامة ابى عبد الله محمد بن ابى بكر بن ايوب المعروف بأبن قيم الجوزية المتوفى سنة احدى وخمسين وسبعمائة.

وبعد ان اجلت النظر فى عدة مواضع منه وجدته قد تكلم على هدي النبي صلى الله عليه وسلم فى الطب الذى تطبب به ووصفه لغيره وذكر ما ورد من الأحاديث النبوية التى تتعلق بالأمراض والعلاجات ومنافع النباتات ومضارها وبين صحيح هذه الأحاديث وحسنها وضعيفها وموضوعها. وما هنالك من الفوائد الجليلة والحكمة الباهرة بحيث اذا كنت واسع الأطلاع في صناعة الطبابة آخذاً منها بحظ وافر ومن الواقفين على اقوال اطباء الغرب ونظرياتهم فيها تجد ان النبي صلى الله عليه وسلم قد سبقهم الى هذه الأقوال قبل اربعة عشر قرناً واتى بما يبهر العقول وتعجز عن دركه البصائر المستنيرة ولا غرابة في ذلك لأنها خرجت من قلب تلألأت فيه انوار النبوة وتفجرت منه ينابيع الحكمة لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى

اودع المؤلف فيه من الأبحاث الهامة التي تتعلق بالطب ما يهم الكثير من الناس الوقوف عليها ومن الآراء والنظريات ما يخال القارئ لها والمتدبر لمعانيها ان مؤلفه من حذاق اطباء هذا العصر المتضلعين فى اسرار هذا الفن وتراه اذا تكلم في بحث اشبع المقال فيه ورفع اللثام عن حقائقه واستخرج كنوز دقائقه

واتى من الادلة الناصعة والبراهين الواضحة القاطعة بما يشفى النفوس ويروى الغليل شأنه في كل مؤلفاته

وترى في الآراء التى بينها والعلل التي اوردها انه قد وافق ما عليه اطباء الغرب في هذا العصر او اتى بما هو قريب من آرائهم التي عولوا عليها وهناك يتجلى لك ان المؤلف كان من اعاظم الأطباء كما كان من اكابر العلماء وعند ذلك تعلم علم اليقين ان العرب هم اساتذة الغرب حقاً وان لهم الفضل الكبير عليهم فى نشر العلم في ربوعهم

وبعد ان تصفحت الكتاب تذكرت ان هذه الفصول ذكرها المؤلف ضمن كتابه (زاد المعاد في هدي خير العباد) الذى طبع فى مصر سنة ١٣٢٤ فى مجلدين ضخمين . ولما قابلت بين هذا الكتاب وبين الفصول التي ذكرها في الجزء الثانى منه وجدتها بعينها بدون زيادة ولا نقص فتبين ان بعض الناس جرد هذه الفصول من هذا الكتاب في كتاب على حدة اذ لا ذكر له في ترجمة المؤلف وكذلك لم يذكره صاحب كشف الظنون في كلامه على علم طب النبي صلى الله عليه وسلم

ومن يقرأ في فهارس الكتب اسم زاد المعاد في هدي خير العباد او يطلع عليه ويقرأ البعض منه يظنه كتاباً في السيرة النبوية لاغير ولا يخطر له ان به فصولاً طوالاً في الطب النبوي واسرار هذا الفن والحكمة البالغة التي فيه فلا يوجه نظره اليها اذ ليست المقصودة بالذات من هذا الكتاب فلذا كانت هذه الفصول البديعة والأبحاث الهامة مهملة فيه قل من يهتدي اليها وحرم الكثير من الوقوف عليها والأقتباس من فوائدها فوقع فى حاطري ضرورة نشر هذا الكتاب على حدة كما فعل ذلك الناسخ لتستخرج كنوزه وتلتقط فرائده وتعم فوائده

ورأيت قبل ان اعول على ذلك ان اطلع على هذا الكتاب بعض ارباب هذا الفن وآخذ رأيه فيه لأن رب البيت ادرى فأرسلته الى الطبيب الشاعر السيد علي الناصر فبعد ان امعن النظر في ابحاثه ارسل لى بالكتاب الآتي المفيد لاستحسانه وجدارته بالنشر لعدة اسباب فقوي ذلك همتى وصحت حينئذ عزيمتى على طبعه فشرعت في ذلك بعد الأتكال على الله ذي الجلال مستمداً من الله تعالى العون والله ولي التوفيق وهو الهادي الى اقوم طريق الناشر

محمد راغب

الطباخ

قد تكرم . . . . الشيخ راغب الطباخ وارسل اليّ كتاب الطب النبوي لأبن القيم قبل طبعه لأبين فكري فيه قبل النشر فوجدته مفيداً من عدة وجوه :

الأول : لأنه مضى على تأليفه ما ينوف عن ستماية سنة فيمكن بواسطته درك ما وصل اليه الطب العربي في ذلك التاريخ ومقايسته بالطب الحاضر ولا يخفى ما لهذه المقايسة من فوائد كثيرة تفيد من يهمه امر الطب .

الثاني : امر المصطلحات الطبية فقد وجدت فيه كثيراً منها بغاية الفائدة لسهولتها واختصارها .

كل يعلم ما نكابده من المشاق في انتقاء الألفاظ والمصطلحات الطبية فى الزمن الحاضر لأننا اهملنا كل الأهمال ما خلفه لنا السلف من التراث المفيد وارتمينا في احضان الغرب نعرب اللفظة الأجنبية المنحوتة من اللاتيني ببضع كلمات لجهلنا بطرق الأستفادة من النحت والتركيب في لغتنا فأصبحت لغة الطب عندنا مشوهة لا عربية ولا اعجمية .

الثالث : فائدته الطبية . لاجرم ان من يتمعن في هـذا الكتاب يجد فيه قواعد واساسات قيمة في علم حفظ الصحة فهو كتاب حفظ صحة اكثر مما هو كتاب طب فطلب الأستحمام والرياضة والغذاء والتوقي من الأمراض السارية الخ كلها تقرب كثيراً مما وصلت اليه الطبابة الحديثة .

انظر ماذا اتى بخصوص عدوي الطاعون فقد قال عليه السلام « اذا وقع الطاعون في بلد وانتم به فلا تخرجوا منه واذا كان ببلد فلا تدخلوه » فهل الحجر الصحي المعروف الآن والمتبع في المحلات الموبوئة يخالف ذلك في شيء؟ فمنع الخروج من المحل الموبوء هو لئلا ينتشر الوباء بواسطة الخارجين منه ومنع الدخول اليه لئلا يسري الى الأصحاء القادمين عليه . وقد شرح شرحاً وافياً مسئلة التداوي بالأشياء المفردة والتدرج منها الى المركبة اذا اقتضت الظروف فهو ينحي باللائمة على الأطباء الذين يبذرون بأستعمال الأدوية المركبة كما يسمى عندنا بالبوليفارماسى (POLYPHARMACIE) ويحصر كل الأضرار بخصوص تشخيص الأمراض وتحرى عواملها وهذه لعمر الحق اساس الفلسفة الطبية العصرية .

وقد اخذني العجب من صحة تعريف المعدة القائل « المعدة عضو عصبي مجوف كالقرعة في شكله مركب من ثلاث طبقات مؤلفة من دقيقة عصبية تسمى الليف ويحيط بها لحم وليف احدى الطبقات بالطول والأخرى بالعرض والثالثة بالوراب وفم المعدة اكثر عصبا وقعرها اكثر لحما وفي باطنها خمل الخ » .

هكذا نجد في هذا الكتاب كثيرا من الأمور التي تفيد محبي البحث والتنقيب وانى قبل انتهائي من هذه الكلمة الوجيزة ارى من الواجب ان انبه القراء لمطالب فيه يقتضي تركها لخلوها من الفائدة وللضرر الذي ينجم عن السير عليها بمقتضى الطب الحديث منها القيء يذكر الكتاب ان القيء من الدواء ويذكر

اوقاته الى غير ذلك والحقيقة ان القيء لايستعمل الا في الاطفال المصابين بآفات رئوية يستعمل لأفراغ البلغم اذ لا يحسن الطفل افراغه اوحده .

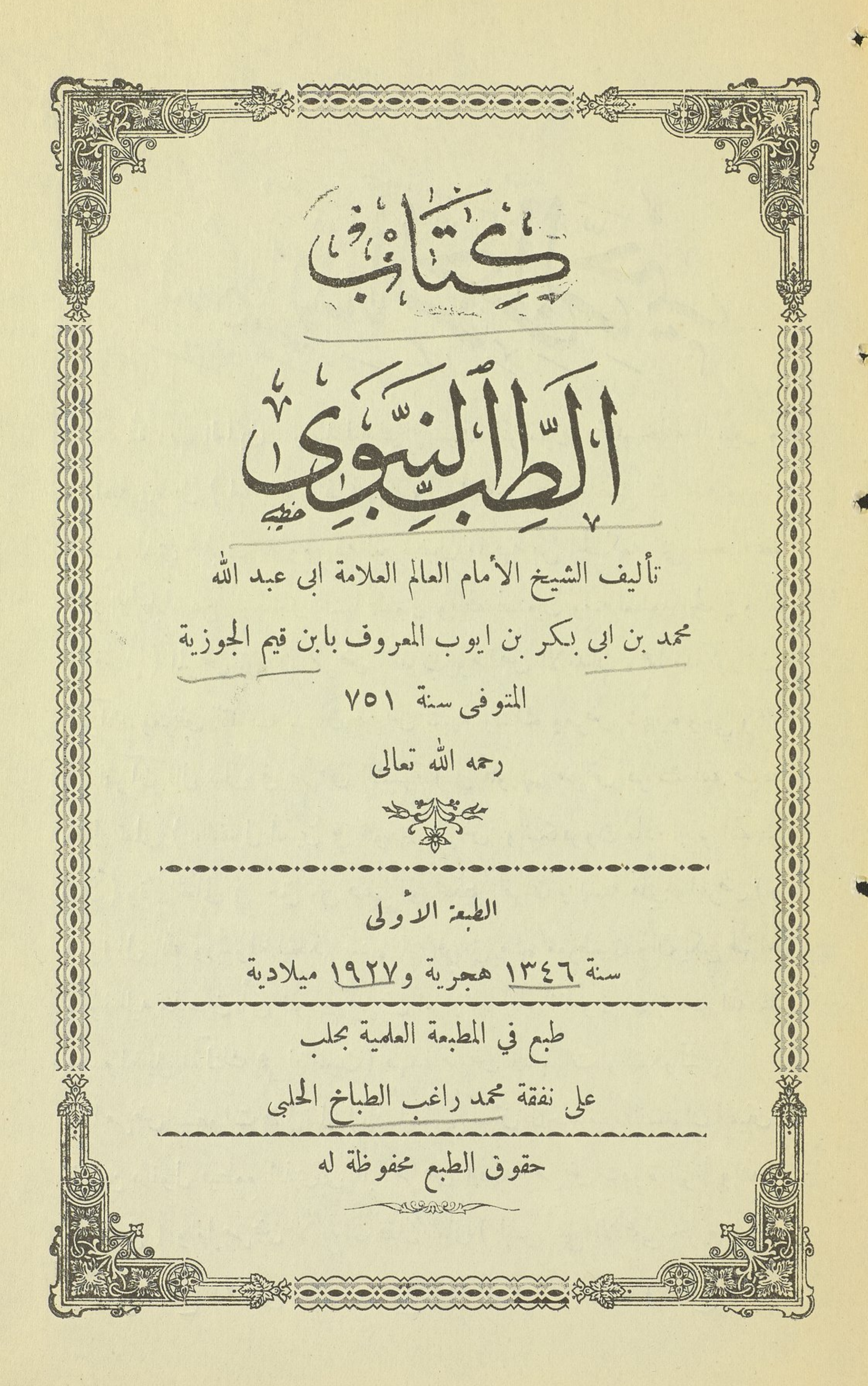
الحجامة : فهي مما ترك بتاتاً وليس لها اقل استطباب اللهم الا في آفات القلب المترقية حينما لا يستطيع القلب حمل الكتلة الدموية واننا نستعيض عنها بأخذ الدم رأساً من الوريد وبصورة فنية .

الكي : ليس له وجه استطباب الا في بعض الحالات المرضية النادرة ولا يستعمل كما كان يستعمل في الزمن الغابر .

هذا وانني لا انكر مفعول الأعتقادات في بعض الحالات العصبية بعد ان ثبت حديثا مفعولها الحسن في الهيتريا. وما ورد من المطالب في هذا الكتاب كالرقية والتعويذات والتوكل تفيد من هذا القبيل ان لم يسأ استعمالها وبعد ان يتداوى المريض بحسب ما يقتضيه الفن

ومن ينكر ان في التوكل والأستكانة شيئاً يريح الضمير ويخفف من الآلام وصفوة القول ان كتاب الطب النبوي كتاب جليل جدير بالطبع لتعم الأستفادة منه والله من وراء القصد

الطبيب
علي الناصر



كتاب

الطب النبوي

تأليف الشيخ الأمام العالم العلامة ابى عبد الله

محمد بن ابى بكر بن ايوب المعروف بابن قيم الجوزية

المتوفى سنة ٧٥١

رحمه الله تعالى

الطبعة الاولى

سنة ١٣٤٦ هجرية و١٩٢٧ ميلادية

طبع في المطبعة العلمية بحلب

على نفقة محمد راغب الطباخ الحلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وصلواته على اشرف المرسلين . محمد خاتم النبيين وآله وصحبه اجمعين (اما بعد) فهذه فصول نافعة في هديه صلى الله عليه وسلم فى الطب الذي تطبب به ووصفه لغيره نبين ما فيه من الحكمة التى تعجز عقول اكبر الأطباء عن الوصول اليها فنقول وبالله نستعين ومنه نستمد الحول والقوة

(فصل) المرض نوعان مرض القلوب ومرض الابدان وهما مذكوران في القرآن . ومرض القلوب نوعان مرض شبهة وشك ومرض شهوة وغي وكلاهما فى القرآن قال تعالى فى مرض الشبهة (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) وقال تعالى (وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلاً) وقال تعالى في حق من دعي الى تحكيم القرآن والسنة فأبي واعرض (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون) فهذا مرض الشبهات والشكوك .

واما مرض الشهوات فقال تعالى (يانساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض) فهذا مرض شهوة الزنا والله اعلم

(فصل) واما مرض الأبدان فقال تعالى (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) وذكر مرض البدن فى الحج والصوم

والوضوء لسر بديع يبين لك عظمة القرآن والاستغناء به لمن فهمه وعقله عن سواه وذلك ان قواعد طب الأبدان ثلاثة حفظ الصحة والحمية عن المؤذي واستفراغ المواد الفاسدة فذكر سبحانه هذه الأصول الثلاثة في هذه المواضع الثلاثة فقال في آية الطعام (فمن كان منكم مريضاً او على سفر فعدة من أيام أخر) فأباح الفطر للمريض لعذر المرض وللمسافر طلباً لحفظ صحته وقوته لئلا يذهبها الصوم في السفر لاجتماع شدة الحركة وما يوجبه من التحليل وعدم الغذاء الذى يخلف ما تحلل فتخور القوة وتضعف فأباح للمسافر الفطر حفظاً لصحته وقوته عما يضعفها وقال في آية الحج (فمن كان منكم مريضاً او به اذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة او نسك) فأباح للمريض ومن به اذىً من رأسه من قمل او حكة او غيرهما ان يحلق رأسه في الأحرام استفراغاً لمادة الأبخرة الرديئة التى اوجبت له الاذى فى رأسه باحتقانها تحت الشعر فأذا حلق رأسه ففتحت المسام فخرجت تلك الابخرة منهافهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤذي انحباسه. والاشياء التى يؤذى انحباسها ومدافعتها عشرة . الدم اذا هاج والمنى اذا تتابع والبول والغائط والريح والقيء والعطاس والنوم والجوع والعطش. وكل واحد من هذه العشرة يوجب حبسه داء من الادواء بحبسه وقد نبه سبحانه باستفراغ ادناها وهو البخار المحتقن في الرأس على استفراغ ماهو اصعب منه كما هي طريقة القرآن التنبيه بالأدنى على الاعلى. واما الحمية فقال تعالى في آية الوضوء (وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط اولامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً) فأباح المريض العدول عن الماء الى التراب حمية له ان يصيب جسده ما يؤذيه وهذا تنبيه على الحمية عن كل مؤذ له من داخل او خارج فقد ارشد سبحانه عباده الى اصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده .

ونحن نذكر هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ونبين ان هديه فيه اكمل هدي . فأما طب القلوب فسلم الى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ولا سبيل الى حصوله الا من جهتهم وعلى ايديهم فان صلاح القلوب ان تكون عارفة بربها وفاطرها وبأسمائه وصفاته وافعاله واحكامه وان تكون مؤثرة لمرضاته ولمحابه متجنبة لمناهيه ومساخطه ولا صحة لها ولا حياة البتة الا بذلك ولا سبيل الى تلقيه الا من جهة الرسل وما يظن من حصول صحة القلب بدون اتباعهم فغلط ممن يظن ذلك وانما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية وصحتها وقوتها .

وحياة قلبه وصحته وقوته عن ذلك بمعزل ومن لم يميز بين هذا وهذا فليبك على حياة قلبه فأنه من الاموات وعلى نوره فأنه منغمس فى بحار الظلمات .

(فصل) واما طب الأبدان فأنه نوعان نوع قد فطر الله عليه الحيوان ناطقه وبهيمه فهذا لايحتاج فيه الى معالجة طبيب كطب الجوع والعطش والبرد والتعب بأضدادها وما يزيلها . والثانى ما يحتاج الى فكر وتأمل كدفع الأمراض المتشابهة الحادثة في المزاج بحيث يخرج بها عن الاعتدال اما الى حرارة اوبرودة او يبوسة اورطوبة اوما يتركب من اثنين منها وهي نوعان اما مادية واما كيفية اعنى اما ان يكون بانصباب مادة او بحدوث كيفية والفرق بينهما ان امراض الكيفية تكون بعد زوال المواد التى اوجبتها فتزول موادها ويبقى اثرها كيفية في المزاج . وامراض المادة اسبابها معها تمدها واذا كان سبب المرض معه فالنظر فى السبب ينبغي ان يقع اولا ثم فى المرض ثانياً ثم فى الدواء ثالثاً او الامراض الآلية وهي التى تخرج العضو عن هيأته اما في شكل او تجويف او مجرى او خشونة اوملاسة اوعدد اوعظم اووضع فأن هذه الاعضاء اذا تألفت وكان منها البدن سمي تألفها اتصالاً والخروج عن الاعتدال فيه يسمى تفرق الأتصال او الأمراض

العامة التى تعم المتشابهة والآلية. والامراض المتشابهة هى التى يخرج بها المزاج عن الاعتدال وهذا الخروج يسمي مرضاً بعد ان يضر بالفعل اضراراً محسوساً وهي على ثمانية اضرب اربعة بسيطة واربعة مركبة. والبسيطة البارد والحار والرطب واليابس. والمركبة الحار الرطب والحار اليابس والبارد الرطب والبارد اليابس وهي اما ان تكون بانصباب مادة اوبغير انصباب مادة وان لم يضر المرض بالعقل يسمى خروجاً عن الاعتدال صحة. والبدن ثلاثة احوال حال طبيعية وحال خارجة عن الطبيعية وحال متوسطة بين الأمرين فالأولى بها يكون البدن صحيحاً والثانية يكون بها مريضاً والحال الثالثة هي متوسطة بين الحالتين فأن الضد لا ينتقل الى ضده الا بمتوسط. وسبب خروج البدن عن طبيعته اما من داخله لأنه مركب من الحار والبارد والرطب واليابس واما من خارج فلان ما يلقاه قد يكون موافقاً وقد يكون غير موافق والضرر الذى يلحق الأنسان قد يكون من سوء المزاج بخروجه عن الأعتدال وقد يكون من فساد العضو وقد يكون من ضعف في القوى او الأرواح الحاملة لها ويرجع ذلك الى زيادة ماالأعتدال في عدم زيادته او نقصان ما الأعتدال في عدم نقصانه اوتفرق ما الأعتدال في اتصاله او اتصال ما الأعتدال في تفرقه اوامتداد ماالأعتدال فى انقباضه او خروج ذى وضع وشكل عن وضعه وشكله بحيث يخرجه عن اعتداله فالطبيب هو الذى يفرق ما يضر بالأنسان جمعه او يجمع فيه مايضره تفرقه او ينقص منه مايضره زيادته اويزيد فيه مايضره نقصه فيجلب الصحة المفقودة او يحفظها بالشكل والشبه ويدفع العلة الموجودة بالضد والنقيض ويخرجها او يدفعها بما يمنع من حصولها بالحمية وسترى هذا كله فى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم شافياً كافياً بحول الله وقوته وفضله ومعونته .

(فصل فكان من هديه صلى الله عليه وسلم) فعل التداوى فى نفسه والأمر
به لمن اصابه مرض من اهله واصحابه ولكن لم يكن من هديه ولا هدي اصحابه
استعمال هذه الأدوية المركبة التي تسمى اقراباذين بل كان غالب ادويتهم
بالمفردات وربما اضافوا الى المفرد ما يعاونه او يكسر سورته وهذا غالب طب
الأمم على اختلاف اجناسها من العرب والترك واهل البوادى قاطبة وانما عني
بالمركبات الروم واليونانيون واكثر طب الهند بالمفردات. وقد اتفق الأطباء
على انه متى امكن التداوي بالغذاء لا يعدل الى الدواء ومتى امكن بالبسيط لا
يعدل الى المركب قالوا وكل داء قدر على دفعه بالأغذية والحمية لم يحاول دفعه
بالأدوية قالوا ولا ينبغي للطبيب ان يولع بسقي الأدوية فأن الدواء اذا لم يجد
فى البدن داء يحلله او وجد داء لا يوافقه او وجد ما يوافقه فزادت كميته عليه
او كيفيته تشبث بالصحة وعبث بها. وارباب التجارب من الاطباء طبهم بالمفردات
غالباً وهم احد فرق الطب الثلاث. والتحقيق في ذلك ان الادوية من جنس
الاغذية والامة والطائفة التى غالب اغذيتها المفردات أمراضها قليلة جدا
وطبها بالمفردات واهل المدن الذين غلبت عليهم الاغذية المركبة يحتاجون الى
الادوية المركبة وسبب ذلك ان امراضهم في الغالب مركبة فالادوية المركبة
انفع لها وامراض اهل البوادى والصحارى مفردة فيكفي فى مداواتها الادوية
المفردة فهذا برهان بحسب الصناعة الطبية ونحن نقول ان ههنا امراً آخر نسبة
طب الاطباء اليه كنسبة طب الطرقية والعجائز الى طبهم وقد اعترف به حذاقهم
وائمتهم فان ما عندهم من العلم بالطب منهم من يقول هو قياس ومنهم من يقول
هو تجربة ومنهم من يقول الهامات ومنامات وحدس صائب ومنهم من يقول
اخذ كثير منه من الحيوانات البهيمية كما نشاهد السنانير اذا اكلت ذوات السموم

تعمد الى السراج فتلغ في الزيت تتداوى به وكما رؤيت الحيات اذا خرجت من بطون الارض وقد غشيت ابصارها تأتى الى ورق الرازيانج فتمر عيونها عليها وكما عهد من الطير الذى يحتقن بماء البحر عند انحباس طبعه وامثال ذلك مما ذكر في مبادي الطب. واين يقع هذا وامثاله من الوحي يوحيه الله الى رسوله بما ينفعه ويضره فنسبة ما عندهم من الطب الى هذا الوحي كنسبة ماعندهم من العلوم الى ما جاءت به الأنبياء. بل ههنا من الأدوية التي تشفي من الامراض مالم يهتد اليها عقول اكابر الأطباء ولم تصل اليها علومهم وتجاربهم واقيستهم من الأدوية القلبية والروحانية وقوة القلب واعتماده على الله والتوكل عليه والألتجاء اليه والانطراح والانكسار بين يديه والتذلل له والصدقة والدعاء والتوبة والاستغفار والاحسان الى الخلق واغاثة الملهوف والتفريج عن المكروب فأن هذه الادوية قد جربتها الامم على اختلاف اديانها ومللها فوجدوا لها من التأثير في الشفاء مالا يصل اليه علم اعلم الاطباء ولا تجربته ولاقياسه وقد جربنا نحن وغيرنا من هذا اموراً كثيرة ورأيناها تفعل مالا تفعل الأدوية الحسية بل تصير الأدوية الحسية عندها بمنزلة الأدوية الطرقية عند الاطباء. وهذا جار على قانون الحكمة الآلهية ليس خارجاً عنها ولكن الاسباب متنوعة فان القلب متى اتصل برب العالمين وخالق الداء والدواء ومدبر الطبيعة ومصرفها على ما يشاء كانت له ادوية اخرى غير الادوية التي يعانيها القلب البعيد منه المعرض عنه. وقد علم ان الارواح متى قويت وقويت النفس والطبيعة تعاونا على دفع الداء وقهره فكيف ينكر لمن قويت طبيعته ونفسه وفرحت بقربها من بارئها وأنسها به وحبها له وتنعمها بذكره وانصراف قواها كلها اليه وجمعها عليه واستعانتها به وتوكلها عليه ان يكون ذلك لها من اكبر الأدوية وتوجب لها هذه القوة دفع الألم بالكلية ولا ينكر هذا الا اجهل

الناس واعظمهم حجاباً واكثفهم نفساً وابعدهم عن الله وعن حقيقة الانسان وسنذكر ان شاء الله السبب الذي به ازالت قراءة الفاتحة داء اللدغة عن اللديغ التي رقى بها فقام حتى كان مابه قلبة فهذان نوعان من الطب النبوى نحن بحول الله نتكلم عليهما بحسب الجهد والطاقة ومبلغ علومنا القاصرة ومعارفنا المتلاشية جداً وبضاعتنا المزجاة ولكنا نستوهب من بيده الخير كله ونستمد من فضله فانه العزيز الوهاب.

(فصل) روى مسلم في صحيحه من حديث ابي الزبير عن جابر ابن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لكل داء دواء فأذا اصيب دواء الداء برأ بأذن الله عز وجل وفي الصحيحين عن عطاء عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله من داء الا انزل له شفاء. وفى مسند الأمام احمد من حديث زياد ابن علاقة عن اسامة بن شريك قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت الاعراب فقالوا يارسول الله أنتداوي فقال نعم ياعباد الله تداووا فان الله عز وجل لم يضع داء الا وضع له شفاء غير داء واحد قالوا ما هو قال الهرم. وفي لفظ ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله. وفى المسند من حديث ابن مسعود يرفعه ان الله عز وجل لم ينزل داء الا انزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله. وفى المسند والسنن عن ابى خزامة قال قلت يارسول الله ارأيت رقي نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله. فقد تضمنت هذه الاحاديث اثبات الاسباب والمسببات وابطال قول من انكرها. ويجوز ان يكون قوله لكل داء دواء على عمومه حتي يتناول الأدواء القاتلة والادواء التي لا يمكن طبيباً أن يبرئها ويكون الله عز وجل قد جعل لها ادوية تبرئها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم اليه سبيلاً لانه لاعلم للخلق الاما علمهم الله ولهذا علق النبى صلى الله

عليه وسلم الشفاء على مصادفة الدواء للداء فأنه لاشيء من المخلوقات الا له ضد
فكل داء له ضد من الدواء يعالج بضده فعلق النبي صلى الله عليه وسلم البرء
بموافقة الداء للدواء وهذا قدر زائد على مجرد وجوده فأن الدواء متى جاوز
درجة الداء في الكيفية او زاد فى الكمية على ما ينبغى نقله الي داء آخر ومتى
قصر عنها لم يف بمقاومته وكان العلاج قاصراً ومتى لم يقع المداوي على الدواء
لم يحصل الشفاء ومتى لم يكن الزمان صالحاً لذلك الدواء لم ينفع ومتى كان البدن
غير قابل له او القوة عاجزة عن حمله او ثم مانع يمنع من تأثيره لم يحصل البرء
لعدم المصادفة. ومتى تمت المصادفة حصل البرء ولا بد وهذا احسن المحملين في
في الحديث . والثانى ان يكون من العام المراد به الخاص لا سيما والداخل في
اللفظ اضعاف الخارج منه وهذا يستعمل فى كل لسان ويكون المراد ان الله لم
يضع داء يقبل الدواء الا وضع له دواء فلا يدخل فى هذه الادواء التى لا تقبل
الدواء وهذا كقوله تعالى في الريح التى سلطها على قوم عاد تدمر كل شيء
بأمر ربها اي كل شيء يقبل التدمير ومن شأن الريح ان تدمره ونظائره كثيرة.
ومن تأمل خلق الاضداد فى هذا العالم ومقاومة بعضها لبعض ودفع بعضها ببعض
وتسليط بعضها على بعض تبين له كمال قدرة الرب تعالى وحكمته واتقانه ما
صنعه وتفرده بالربوبية والوحدانية والقهر وان كل ما سواه فله مـا يضاده
ويمانعه كما انه الغنى بذاته. وكل ماسواه محتاج بذاته. وفى هذه الاحاديث الصحيحة
الامر بالتداوي وانه لاينافى التوكل كما لاينافيه دفع داء الجوع والعطش والحر
والبرد بأضدادها بل لا يتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب التى نصبها الله
مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعاً وان تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح
في الأمر والحكمة ويضعفه من حيث يظن معطلها ان تركها اقوى فى التوكل

فأن تركها عجزاً ينافى التوكل الذى حقيقته اعتماد القلب على الله فى حصول ما ينفع العبد فى دينه ودنياه ودفع مايضره فى دينه ودنياه ولا بد مع هذا الأعتماد من مباشرة الأسباب والا كان معطلاً للحكمة والشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزاً وفيها رد على من انكر التداوى وقال ان كان الشفاء قد قدر فالتداوى لا يفيد وان لم يكن قدر فكذلك وايضاً فأن المرض حصل بقدر الله وقدر الله لايدفع ولا يرد. وهذا السؤال هو الذي اورده الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم واما افاضل الصحابة فأعلم بالله وحكمته وصفاته من ان يوردوا مثل هذا وقد اجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بما شفى وكفى فقال هذه الأدوية والرقى والتقى هى من قدر الله فما خرج شيء عن قدره بل يرد بقدره وهذا الرد من قدره فلا سبيل الى الخروج عن قدره بوجه ما وهذا كرد قدر الجوع والعطش والحر والبرد باضدادها وكرد قدر العدو بالجهاد وكل من قدر الله الدافع والمدفوع والدفع. ويقال لمورد هذا السؤال هذا يوجب عليك ان لا تباشر سبباً من الأسباب التي تجلب بها منفعة او تدفع بها مضرة لأن المنفعة والمضرة ان قدرتا لم يكن بد من وقوعهما وان لم تقدرا لم يكن سبيل الى وقوعهما وفي ذلك خراب الدين والدنيا وفساد العالم وهذا لايقوله الادافع للحق معاند له فيذكر القدر ليدفع حجة المحقق عليه كالمشركين الذين قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا فهذا قالوه دفعاً لحجة الله عليهم بالرسل وجواب هذا السائل ان يقال بقي قسم ثالث لم تذكره وهو ان الله قدر كذا وكذا بهذا السبب فان اتيت بالسبب حصل المسبب والا فلا. فان قال ان كان قدر لي السبب فعلته وان لم يقدره لي لم اتمكن من فعله قيل فهل تقبل هذا الاحتجاج من عبدك وولدك واجيرك اذا احتج به

عليك فيما امرته به ونهيته عنه فخالفك فان قبلته فلا تلم من عصاك واخذ مالك وقذف عرضك وضيع حقوقك وان لم تقبله فكيف يكون مقبولا منك في دفع حقوق الله عليك (وقد روي) في اثر اسرائيلى ان ابراهيم الخليل قال يارب ممن الداء قال منى قال فممن الدواء قال منى قال فما بال الطبيب قال رجل ارسل الدواء على يديه. وفي قوله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء تقوية لنفس المريض والطبيب وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه فان المريض اذا استشعرت نفسه ان لدائه دواء يزيله تعلق قلبه بروح الرجاء وبرد من حرارة اليأس وانفتح له باب الرجاء ومتى قويت نفسه انبعثت حرارته الغريزية وكان ذلك سببا لقوة الارواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية ومتى قويت هذه الارواح قويت القوى التى هي حاملة لها فقهرت المرض ودفعته. وكذلك الطبيب اذا علم ان لهذا الداء دواء امكنه طلبه والتفتيش عليه.

وامراض الأبدان على وزان امراض القلوب وماجعل الله للقلب مرضا الا جعل له شفاء بضده فان علمه صاحب الداء واستعمله وصادف داء قلبه ابرأه بأن الله تعالى

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) في الاحتماء من التخم والزيادة في الاكل على قدر الحاجة والقانون الذي ينبغى مراعاته في الاكل والشرب. في المسند وغيره عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ماملأ آدمي وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه

(فصل) الأمراض نوعان امراض مادية تكون عن زيادة مادة افرطت في البدن حتى اضرت بافعاله الطبيعية وهي الامراض الاكثرية. وسببها ادخال الطعام على البدن قبل هضم الأول والزيادة في القدر الذي يحتاج اليه البدن وتناول الاغذية القليلة النفع البطيئة الهضم والاكثار من الاغذية المختلفة التراكيب

المتنوعة فاذا ملأ الآدمى بطنه من هذه الأغذية واعتاد ذلك اورثته امراضاً متنوعة منها بطيء الزوال اوسريعه فاذا توسط في الغذاء وتناول منه قدر الحاجة وكان معتدلاً في كميته وكيفيته كان انتفاع البدن به اكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير. ومراتب الغذاء ثلاثة احدها مرتبة الحاجة والثانية مرتبة الكفاية والثالثة مرتبة الفضلة فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه يكفيه لقيمات يقمن صلبه فلا تسقط قوته ولا تضعف معها فان تجاوزها فليأكل في ثلث بطنه ويدع الثلث الآخر للماء والثالث للنفس وهذ من انفع ماللبدن والقلب فان البطن اذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب فاذا اورد عليه الشراب ضاق عن النفس وعرض له الكرب والتعب وصار محمله بمنزلة حامل الحمل الثقيل هذا الى مايلزم ذلك من فساد القلب وكسل الجوارح عن الطاعات وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشبع فامتلاء البطن من الطعام مضر للقلب والبدن. هذا اذا كان دائماً اواكثرياً واما اذا كان في الأحيان فلا بأس فقد شرب ابو هريرة بحضرة النبي صلى عليه وسلم من اللبن حتى قال والذي بعثك بالحق لا اجد له مسلكاً. واكل الصحابة بحضرته مرارا حتى شبعوا. والشبع المفرط يضعف القوى والبدن وان اخصبه وانما يقوى البدن بحسب مايقبل من الغذاء لابحسب كثرته. ولما كان في الأنسان جزء ارضي وجزء هوائي وجزء مائي قسم النبي صلى الله عليه وسلم طعامه وشرابه ونفسه على الأجزاء الثلاثة. فان قيل فأين حظ جزء النار قيل هذه مسألة تكلم فيها الأطباء وقالوا ان فى البدن جزءً ناريا بالفعل وهو احد اركانه واسطقساته ونازعهم في ذلك آخرون من العقلاء من الأطباء وغيرهم وقالوا ليس في البدن جزء ناري بالفعل واستدلوا بوجوه. احدها ان ذلك الجزء الناري اما ان يدعى انه نزل عن الأثير واختلط بهذه الأجزاء المائية والأرضية اويقال

انه تولد فيها وتكوّن والأول مستبعد لوجهين: احدهما ان النار بالطبع صاعدة فلو نزلت لكانت بقاسر من مركزها الى هذا العالم؛ الثانى ان تلك الاجزاء النارية لا بد في نزولها ان تعبر على كرة الزمهرير التي هي في غاية البرد ونحن نشاهد فى هذا العالم ان النار العظيمة تنطفئ بالماء القليل فتلك الأجزاء الصغيرة عند مرورها بكرة الزمهرير التي هي فى غاية البرد ونهاية العظم اولى بالانطفاء واما الثاني وهو ان يقال انها تكونت ههنا فهو ابعد وابعد لأن الجسم الذى صار نارا بعد ان لم يكن كذلك قد كان قبل صيرورته اما ارضا واما ماء واما هواء لأنحصار الاركان في هذه الاربعة وهذا الذى قد صار ناراً اولاً كان مختلطاً بأحد هذه الاجسام ومتصلاً بها. والجسم الذي لايكون ناراً اذا اختلط بأجسام عظيمة ليست بنار ولا واحد منها لايكون مستعداً لأن ينقلب ناراً لانه في نفسه ليس بنار . والأجسام المختلطة به باردة فكيف يكون مستعداً لأنقلابه ناراً .

وان قلتم لم لا تكون هناك اجزاء نارية تقلب هذه الاجسام وتجعلها ناراً بسبب مخالطتها اياها قلنا الكلام فى حصول تلك الأجزاء النارية كالكلام في الأول فان قلتم انا نرى في رش الماء على النورة المطفأة تنفصل منها نار واذا وقع شعاع الشمس على البلورة ظهرت النار منها واذا ضربنا الحجر على الحديد ظهرت النار وكل هذه النارية حدثت عند الأختلاط وذلك يبطل ما قررتموه في القسم الأول ايضاً. قال المنكرون نحن لاننكر ان تكون المصاكة الشديدة محدثة للنار كما في ضرب الحجارة على الحديد اوتكون قوة تسخين الشمس محدثة للنار كما في البلورة لكنا نستبعد ذلك جداً في اجرام النبات والحيوان اذ ليس في اجرامها من الاصطكاك ما يوجب حدوث النار ولا فيها من الصفاء والصقال ما يبلغ الى حد البلورة كيف وشعاع الشمس يقع على ظاهرها فلا تتولد النار البتة

فالشعاع الذي يصل الى باطنها كيف يولد النار . الوجه الثانى في اصل المسألة ان الأطباء مجمعون على ان الشراب العتيق في غاية السخونة بالطبع فلو كانت تلك السخونة بسبب الأجزاء النارية لكانت محالاً اذ تلك الأجزاء النارية مع حقارتها كيف يعقل بقاؤها فى الأجزاء المائية الغالبة دهراً طويلاً بحيث لا تنطفى مع انا نرى النار العظيمة تطفأ بالماء القليل . الوجه الثالث انه لو كان فى الحيوان والنبات جزء ناري بالفعل لكان مغلوباً بالجزء المائى الذي فيه وكان الجزء الناري مقهوراً به وغلبة بعض الطبائع والعناصر على بعض يقتضي انقلاب طبيعة المغلوب الى طبيعة الغالب فكان يلزم بالضرورة انقلاب تلك الأجزاء النارية القليلة جداً الى طبيعة الماء الذى هو ضد النار . الوجه الرابع ان الله سبحانه وتعالى ذكر خلق الانسان في كتابه في مواضع متعددة يخبر فى بعضها انه خلقه من ماء وفي بعضها انه خلقه من تراب وفي بعضها انه خلقه من المركب منهما وهو الطين وفي بعضها انه خلق من صلصال كالفخار وهو الطين الذي ضربته الشمس والريح حتى صار صلصالاً كالفخار ولم يخبر فى موضع واحد انه خلقه من نار بل جعل ذلك خاصية ابليس. وثبت في صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خلقت الملائكة من نور وخلق ابليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم وهذا صريح فى انه خلق مما وصفه الله فى كتابه فقط ولم يصف لنا سبحانه انه خلقه من نار ولا ان في مادته شيئاً من النار . الوجه الخامس ان غاية ما يستدلون به ما يشاهدون من الحرارة فى ابدان الحيوان وهي دليل على الاجزاء النارية وهذا لا يدل فان اسباب الحرارة اعم من النار فانها تكون عن النار تارة وعن الحركة اخرى وعن انعكاس الأشعة وعن سخونة الهواء وعن مجاورة النار وذلك بواسطة سخونة الهواء ايضاً وتكون عن اسباب أخر فلا يلزم من

الحرارة النار. قال اصحاب النار من المعلوم ان اتراب والماء اذا اختلطا فلا بد لهما من حرارة تقتضى طبخهما وامتزاجهما والا كان كل منهما غير ممازج للآخر ولا متحداً به وكذلك اذا القينا البذر فى الطين بحيث لا يصل اليه الهواء ولا الشمس فسد فلا يخلو اما ان يحصل فى المركب جسم منضج طابخ بالطبع اولا فان حصل فهو الجزء النارى وان لم يحصل لم يكن المركب مسخنا بطبعه بل ان سخن كان التسخين عرضياً فاذا زال التسخين العرضى لم يكن الشيء حاراً فى طبعه ولا فى كيفيته وكان بارداً مطلقاً. لكن من الاغذية والادوية مايكون حارا بالطبع فعلمنا ان حرارتها انما كانت لأن فيها جوهراً نارياً. وايضاً فلو لم يكن فى البدن جزء مسخن لوجب ان يكون فى نهاية البرد لأن الطبيعة اذا كانت مقتضية للبرد وكانت خالية عن المعاون والمعارض وجب انتهاء البرد الى اقصى الغاية. ولو كان كذلك لما حصل الاحساس بالبرد لأن البرد الواصل اليه اذا كان فى الغاية كان مثله والشيء لاينفعل عن مثله واذا لم ينفعل عنه لم يحس به واذا لم يحس به لم يتألم عنه وان كان دونه فعدم الانفعال يكون اولى. فلو لم يكن فى البدن جزء مسخن بالطبع لما انفعل عن البرد ولا تألم به. قالوا وادلتكم انما تبطل قول من يقول الاجزاء النارية باقية فى هذه المركبات على حالها وطبيعتها النارية ونحن لا نقول بذلك بل نقول ان صورتها النوعية تفسد عند الامتزاج. قال الآخرون لم لا يجوز ان يقال ان الارض والماء والهواء اذا اختلطت فالحرارة المنضجة الطابخة لها هي حرارة الشمس وسائر الكواكب ثم ذلك المركب عند كمال نضجه يستعد لقبول الهيأة التركيبية بواسطة السخونة نباتاً كان او حيواناً او معدناً وما المانع ان تكون السخونة والحرارة التى فى المركبات هي بسبب خواص وقوى يحدثها الله تعالى عند ذلك الامتزاج لامن اجزاء نارية بالفعل ولا

سبيل لكم الى ابطال هذا الامكان البتة وقد اعترف جماعة من فضلاء الاطباء بذلك واما حديث احساس البدن بالبرد فنقول هذا يدل على ان فى البدن حرارة وتسخينا ومن ينكر ذلك . لكن ما الدليل على انحصار المسخن فى النار فانه وان كان كل نار مسخنا فان هذه القضية لاتنعكس كلية بل عكسها الصادق بعض المسخن نار واما قولكم بفساد صورة النار النوعية فأكثر الأطباء على بقاء صورتها النوعية والقول بفسادها قول فاسد قد اعترف بفساده افضل متأخر يكم فى كتابه المسمى بالشفاء وبرهن على بقاء الأركان اجمع على طبائعها فى المركبات وبالله التوفيق .

(فصل وكان علاجه صلى الله عليه وسلم) المرض ثلاثة انواع احدها بالأدوية الطبيعية والثانى بالأدوية الآلهية والثالث بالمركب من الأمرين ونحن نذكر الأنواع الثلاثة من هديه صلى الله عليه وسلم فنبدأ بذكر الأدوية الطبيعية التى وصفها واستعملها ثم نذكر الأدوية الآلهية ثم المركبة وهذا انما يشير اليه اشارة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بعث هاديا وداعيا الي الله والى جنته ومعرفا بالله ومبينا للأمة مواقع رضاه وآمرا لهم بها ومواقع سخطه وناهيا لهم عنها ومخبرهم اخبار الانبياء والرسل واحوالهم مع اممهم واخبار تخليق العالم وامر المبدأ والمعاد وكيفية شقاوة النفوس وسعادتها واسباب ذلك . واما طب الابدان فجاء من تكميل شريعته ومقصودا لغيره بحيث انما يستعمل عند الحاجة اليه فاذا قدر الأستغناء عنه كان صرف الهمم والقوي الى علاج القلوب والأرواح وحفظ صحتها ودفع اسقامها وحميتها مما يفسدها هو المقصود بالقصد الاول واصلاح البدن بدون اصلاح القلب لاينفع وفساد البدن مع اصلاح القلب مضرته يسيرة جدا وهى مضرة زائلة تعقبها المنفعة الدائمة التامة وبالله التوفيق .

(ذكر القسم الاول وهو العلاج بالأدوية الطبيعية)

(فصل) فى هديه فى علاج الحمى ثبت فى الصحيحين عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الحمى اوشدة الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء وقد اشكل هذا الحديث على كثير من جهلة الأطباء ورآه منافيا لدواء الحمى وعلاجها ونحن نبين بحول الله وقوته وجهه وفقهه فنقول خطاب النبي صلى الله عليه وسلم نوعان عام لأهل الارض وخاص ببعضهم . فالاول كعامة خطابه . والثانى كقوله لا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول ولا تستدبروها ولكن شرقوا او غربوا فهذا ليس بخطاب لأهل المشرق ولا المغرب ولا العراق ولكن لأهل المدينة وما على سمتها كالشام وغيرها. وكذلك قوله مابين المشرق والمغرب قبلة واذا عرف هذا فخطابه في هذا الحديث خاص بأهل الحجاز وما والاهم اذ كان اكثر الحميات التي تعرض لهم من نوع الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس وهذه ينفعها الماء البارد شرباً واغتسالاً فان الحمى حرارة غريبة تشتعل بالقلب وتنبث منه بتوسط الروح والدم في الشرايين والعروق الى جميع البدن فتشتعل فيه اشتعالا يضر بالأفعال الطبيعية. وهي تنقسم الى قسمين عرضية وهي الحادثة اما عن الورم او الحركة او اصابة حرارة الشمس او الغيظ الشديد ونحو ذلك . ومرضية وهي ثلاثة انواع وهي لا تكون الا في مادة اولى ثم منها يسخن جميع البدن فان كان مبدأ تعلقها بالروح سميت حمى يوم لانها في الغالب تزول في يوم ونهايتها ثلاثة ايام وان كان مبدأ تعلقها باخلاط سميت عفنية وهي اربعة اصناف صفراوية وسوداوية وبلغمية ودموية وان كان مبدأ تعلقها بالأعضاء الصلبة الأصلية سميت حمى دق وتحت هذه الأنواع اصناف كثيرة. وقد ينتفع البدن بالحمى انتفاعاً عظيماً لا يبلغه الدواء وكثيرا مايكون حمى

يوم وحمى العفن سببا لأنضاج مواد غليظة لم تكن تنضج بدونها وسببا لتفتح سدد لم تكن تصل اليها الأدوية المفتحة. واما الرمد الحديث والمتقادم فأنها تبرئ اكثر انواعه برأ عجيبا سريعا وتنفع من الفالج واللقوة والتشنج الأمتلائى وكثيراً من الأمراض الحادثة عن الفضول الغليظة. وقال لي بعض فضلاء الأطباء ان كثيراً من الأمراض نستبشر فيها بالحمى كما يستبشر المريض بالعافية فتكون الحمى فيه انفع من شرب الدواء بكثير فانها تنضج من الاخلاط والمواد الفاسدة مايضر بالبدن فاذا انضجتها صادفها الدواء متهيئة للخروج بنضاجها فأخرجها فكانت سببا للشفاء. واذا عرف هذا فيجوز ان يكون مراد الحديث من اقسام الحميات العرضية فانها تسكن على المكان بالانغماس في الماء البارد وسقي الماء البارد المثلوج ولا يحتاج صاحبها مع ذلك الى علاج آخر فانها مجرد كيفية حارة متعلقة بالروح فيكفى فى زوالها مجرد وصول كيفية باردة تسكنها وتخمد لهبها من غير حاجة الى استفراغ مادة او انتظار نضج. ويجوز ان يراد به جميع انواع الحميات. وقد اعترف فاضل الأطباء جالينوس بأن الماء البارد ينفع فيها قال في المقالة العاشرة من كتاب حيلة البرء ولو ان رجلاً شاباً حسن اللحم خصب البدن فى وقت القيظ وفى وقت منتهى الحمى وليس فى احشائه ورم استحم بماء بارد او سبح فيه لانتفع بذلك وقال ونحن نأمر بذلك بلا توقف. وقال الرازى في كتابه الكبير اذا كانت القوة قوية والحمى حادة جداً والنضج بين ولا ورم فى الجوف ولافتق ينفع الماء البارد شرباً وان كان العليل خصب البدن والزمان حار وكان معتادا لأستعمال الماء البارد من خارج فليؤذن فيه. وقوله الحمى من فيح جهنم هو شدة لهبها وانتشارها ونظيره قوله شدة الحر من فيح جهنم وفيه وجهان. احدهما ان ذلك انموذج ورقيقة اشتقت من جهنم ليستدل بها العباد

عليها ويعتبروا بها ثم ان الله سبحانه قدر ظهورهـا بأسباب تقتضيها كما ان الروح والفرح والسرور واللذة من نعيم الجنة اظهرها الله في هذه الدار عبرة ودلالة وقدر ظهورها بأسباب توجبها . والثانى ان يكون المراد التشبيه فشبه شدة الحمى ولهبها بفوح جهنم وشبه شدة الحر به ايضاً تنبيها للنفوس على شدة عذاب النار وان هذه الحرارة العظيمة مشبهة بفيحها وهو مايصيب من قرب منها من حرها وقوله فابردوها روى بوجهين بقطع الهمزة وفتحها رباعي من ابرد الشيء اذا صيره بارداً مثل اسخنه اذا صيره سخنا والثانى بهمزة الوصل مضمومة من برد الشيء يبرده وهو افصح لغة واستعمالاً والرباعى لغة ردية عندهم قال الحماسى

اذا وجدت لهيب الحب في كبدى * اقبلت نحو سقاء القوم ابترد

هبنى بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الأحشاء تتقد

وقوله بالماء فيه قولان احدهما انه كل ماء وهو الصحيح والثاني انه ماء زمزم واحتج اصحاب هذا القول بما رواه البخارى في صحيحه عن ابى حمزة نصر بن عمران الضبعي قال كنت اجالس ابن عباس بمكة فأخذتني الحمى فقال ابردها عنك بماء زمزم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء اوقال بماء زمزم وراوى هذا قد شك فيه ولو جزم به لكان امراً لأهل مكة بماء زمزم اذ هو متيسر عندهم ولغيرهم بما عندهم من الماء. ثم اختلف من قال انه على عمومه هل المراد به الصدقة بالماء او استعماله على قولين والصحيح انه استعماله واظن ان الذي حمل من قال المراد الصدقة به انه اشكل عليه استعمال الماء البارد فى الحمى ولم يفهم وجهه مع ان لقوله وجهاً حسناً وهو ان الجزاء من جنس العمل فكما اخمد لهيب العطش عن الظمآن بالماء البارد اخمد الله لهيب الحمي عنه جزاء وفاقاً. ولكن هذا يؤخذ من فقه الحديث واشارته. واما المراد

به فاستعماله وقد ذكر ابو نعيم وغيره من حديث انس يرفعه اذا حم احدكم فليرش عليه الماء البارد ثلاث ليال من السحر. وفى سنن ابن ماجه عن ابى هريرة يرفعه الحمى من كير جهنم فنحّوها عنكم بالماء البارد. وفى المسند وغيره من حديث الحسن عن سمرة يرفعه الحمى قطعة من النار فأبردوها عنكم بالماء البارد . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حم دعا بقربة من ماء فافرغها على رأسه فاغتسل .وفي السنن من حديث ابى هريرة قال ذكرت الحمى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبها رجل فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تسبها فانها تنفى الذنوب كما تنفي النار خبث الحديد لما كانت الحمى يتبعها حمية عن الأغذية الرديئة وتناول الأغذية والأدوية النافعة وفي ذلك اعانة على تنقية البدن ونفى اخباثه وفضوله وتصفيته من مواده الرديئة وتفعل فيه كما تفعل النار في الحديد في نفي خبثه وتصفية جوهره كانت اشبه الأشياء بنار الكير التى تصفي جوهر الحديد وهذا القدر هو المعلوم عند اطباء الأبدان. واما تصفيتها القلب من وسخه ودرنه واخراجها خبائثه فأمر يعلمه اطباء القلوب ويجدونه كما اخبرهم به نبيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن مرض القلب اذا صار مأيوساً عن برئه لم ينفع فيه هذا العلاج فالحمى تنفع البدن والقلب وما كان بهذه المثابة فسبه ظلم وعدوان وذكرت مرة وانا محموم قول بعض الشعراء يسبها

زارت مكفّرة الذنوب وودعت ✩ تبا لها من زائر ومودع

قالت وقد عزمت على ترحالها ✩ ماذا تريد فقلت ان لاترجعي

فقلت تباً له اذ سب ما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبه ولو قال

زارت مكفّرة الذنوب لصبها ✩ اهلا بها من زائر ومودع

قالت وقد عزمت على ترحالها ✩ ماذا تريد فقلت ان لا تقلعي

لكان اولى به ولأقامت عنه فاقلعت عنى سريعاً وقد روي في اثر لا اعرف حاله حمى يوم كفارة سنة وفيه قولان . احدهما ان الحمى تدخل في كل الأعضاء والمفاصل وعدتها ثلثمائة وستون مفصلاً فتكفر عنه بعدد كل مفصل ذنوب يوم . والثانى انها تؤثر في البدن تأثيراً لا يزول بالكلية الى سنة كما قيل فى قوله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة اربعين يوماً ان اثر الخمر يبقى في جوف العبد وعروقه واعضائه اربعين يوماً والله اعلم .

قال ابو هريرة ما من مرض يصيبنى احب اليّ من الحمى لانها تدخل فى كل عضو منى وان الله سبحانه يعطى كل عضو حظه من الأجر . وقد روى الترمذي في جامعه من حديث رافع بن خديج يرفعه اذا اصابت احدكم الحمى وانما الحمى قطعة من النار فليطفئها بالماء البارد ويستقبل نهراً جارياً فليستقبل جرية الماء بعد الفجر وقبل طلوع الشمس وليقل بسم الله اللهم اشف عبدك وصدّق رسولك وينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة ايام فأن برئ والا ففى خمس فان لم يبرأ في خمس فسبع فانها لا تكاد تجاوز السبع بأذن الله . قلت وهو ينفع فعله في فصل الصيف في البلاد الحارة على الشرائط التى تقدمت فان الماء في ذلك الوقت ابرد ما يكون لبعده من ملاقاة الشمس ووفور القوي فى ذلك الوقت لما افادها النوم والسكون وبرد الهواء فيجتمع قوة القوى وقوة الدواء وهو الماء البارد على حرارة الحمى العرضية او الغب الخالصة اعنى التى لا ورم معها ولا شيء من الأعراض الرديئة والمواد الفاسدة فيطفئها بأذن الله لا سيما في احد الأيام المذكورة في الحديث وهي الأيام التي يقع فيها بحران الأمراض الحادة كثيراً لاسيما فى البلاد المذكورة لرقة اخلاط سكانها وسرعة انفعالهم عن الدواء النافع .

(فصل في هديه في علاج استطلاق البطن)

في الصحيحين من حديث ابي المتوكل عن ابى سعيد الخدري ان رجلاً اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى يشتكي بطنه وفي رواية استطلق بطنه فقال اسقه عسلاً فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فلم يغن عنه شيئاً وفي لفظ فلم يزده الا استطلاقاً مرتين او ثلاثا كل ذلك يقول له اسقه عسلاً فقال له في الثالثة او الرابعة صدق الله وكذب بطن اخيك. وفي صحيح مسلم فى لفظ له ان اخي عرب بطنه اي فسد هضمه واعتلت معدته والاسم العرب بفتح الراء والذرب ايضاً .

والعسل فيه منافع عظيمة فانه جلاء للأوساخ التي في العروق والأمعاء وغيرهم محلل المرطوبات اكلاً وطلاء نافع للمشايخ واصحاب البلغم ومن كان مزاجه بارداً رطباً وهو مغذ ملين للطبيعة حافظ لقوى المعاجين ولما استودع فيه مذهب لكيفيات الأدوية الكريهة منق للكبد والصدر مدر للبول موافق للسعال الكائن عن البلغم واذا شرب حاراً بدهن الورد نفع من نهش الهوام وشرب الأفيون وان شرب وحده ممزوجاً بماء نفع من عضة الكلب الكلب واكل الفُطُر القتال واذا جعل فيه اللحم الطريّ حفظ طراوته ثلاثة اشهر وكذلك ان جعل فيه القثاء والخيار والقرع والباذنجان ويحفظ كثيراً من الفاكهة ستة اشهر ويحفظ جثة الموتى ويسمى الحافظ الأمين واذا لطخ به البدن المقمل والشعر قتل قمله وصئبانه وطول الشعر وحسنه ونعمه وان اكتحل به جلا ظلمة البصر وان استن به بيض الأسنان وصقلها وحفظ صحتها وصحة اللثة ويفتح افواه العروق ويدر الطمث ولعقه على الريق يذهب البلغم ويغسل خمل المعدة ويدفع الفضلات عنها ويسخنها تسخيناً معتدلاً ويفتح سددها ويفعل ذلك بالكبد والكلا والمثانة وهو اقل ضرراً لسدد الكبد والطحال من كل حلو وهو مع هذا كله مأمون الغائلة قليل

المضار مضر بالعرض للصفراويين ودفعها بالخل ونحوه فيعود حينئذ نافعاً له جداً وهو غذاء مع الأغذية ودواء مع الأدوية وشراب مع الأشربة وحلو مع الحلو وطلاء مع الاطلية ومفرح مع المفرحات فما خلق لنا شيء في معناه افضل منه ولا مثله ولا قريباً منه ولم يكن معول القدماء الا عليه واكثر كتب القدماء لا ذكر فيها للسكر البتة ولا يعرفونه فأنه حديث العهد حدث قريباً. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشربه بالماء على الريق وفي ذلك سر بديع في حفظ الصحة لا يدركه الا الفطن الفاضل . وسنذكر ذلك ان شاء الله عند ذكر هديه في حفظ الصحة وفي سنن ابن ماجه مرفوعاً من حديث ابي هريرة من لعق ثلاث غدوات كل شهر لم يصبه عظيم البلاء. وفي اثر آخر عليكم بالشفائين العسل والقرآن. فجمع بين الطب البشري والآلهي وبين طب الأبدان وطب الأرواح وبين الدواء الأرضي والدواء السمائي. اذا عرف هذا فهذا الذي وصف له النبي صلى الله عليه وسلم العسل كان استطلاق بطنه عن تخمة اصابته عن امتلاء فأمره بشرب العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة والأمعاء فان العسل فيه جلاء ودفع للفضول وكان قد اصاب المعدة اخلاط لزجة تمنع استقرار الغذاء فيه للزوجتها فان المعدة لها خمل كخمل المنشفة فاذا علقت بها الأخلاط اللزجة افسدتها وافسدت الغذاء فدواؤها بما يجلوها من تلك الاخلاط والعسل جلاء والعسل من احسن ما عولج به هذا الداء لا سيما ان مزج بالماء الحار وفي تكرار سقيه العسل معنى طبي بديع وهو ان الدواء يجب ان يكون له مقدار وكمية بحسب حال الداء ان قصر عنه لم يزله بالكلية وان جاوزه اوهن القوى فأحدث ضرراً آخر فلما امره ان يسقيه العسل سقاه مقداراً لا يفي بمقاومة الداء ولا يبلغ الغرض فلما اخبره علم ان الذي سقاه لا يبلغ مقدار الحاجة فلما تكرر ترداده الى النبي صلى الله

عليه وسلم اكد عليه المعاودة ليصل الى المقدار المقاوم للداء فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء برئ باذن الله. واعتبار مقادير الأدوية وكيفياتها ومقدار قوة المرض والمريض من اكبر قواعد الطب وفي قوله صلى الله عليه وسلم صدق وكذب بطن اخيك اشارة الى تحقيق نفع هذا الدواء وان بقاء الداء ليس لقصور الدواء في نفسه ولكن لكذب البطن وكثرة المادة الفاسدة فيه فامره بتكرار الدواء لكثرة المادة وليس طبه صلى الله عليه وسلم كطب الاطباء فأن طب النبي صلى الله عليه وسلم متيقن قطعي الٰهي صادر عن الوحي ومشكاة النبوة وكمال العقل وطب غيره اكثره حدس وظنون وتجارب ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة فانه انما ينتفع به من تلقاه بالقبول واعتقاد الشفاء له وكمال التلقي له بالأيمان والأذعان فهذا القرآن الذى هو شفاء لما فى الصدور ان لم يتلق هذا التلقى لم يحصل به شفاء الصدور من ادوائه بل لا يزيد المنافقين الا رجساً الى رجسهم ومرضاً الى مرضهم واين يقع طب الأبدان منه. فطب النبوة لا يناسب الا الأبدان الطيبة كما ان شفاء القرآن لا يناسب الا الأرواح الطيبة والقلوب الحية فاعراض الناس عن طب النبوة كأعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذى هو الشفاء النافع وليس ذلك لقصور في الدواء ولكن لخبث الطبيعة وفساد المحل وعدم قبوله والله الموفق

(فصل) وقد اختلف الناس فى قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس هل الضمير فى فيه راجع الى الشراب او راجع الى القرآن على قولين الصحيح رجوعه الى الشراب وهو قول ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة والأكثرين فانه هو المذكور والكلام سبق لأجله ولا ذكر للقرآن فى الآية وهذا الحديث الصحيح وهو قوله صدق الله كالصريح فيه والله تعالى اعلم

فصل فى هديه في الطاعون وعلاجه والأحتراز منه

فى الصحيحين عن عامر بن سعد بن ابى وقاص عن ابيه انه سمعه يسأل اسامة ابن زيد ما ذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعون فقال اسامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز ارسل على طائفة من بنى اسرائيل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه واذا وقع بأرض وانتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه . وفى الصحيحين ايضاً عن حفصة بنت سيرين قالت قال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون شهادة لكل مسلم . الطاعون من حيث اللغة نوع من الوباء قاله صاحب الصحاح وهو عند اهل الطب ورم ردئ قتال يخرج معه تلهب شديد مؤلم جداً يتجاوز المقدار في ذلك ويصير ما حوله فى الأكثر اسود او اخضر او اكمد ويؤل امره الى التقرح سريعاً وفى الأكثر يحدث في ثلاث مواضع فى الأبط وخلف الأذن والأرنبة وفى اللحوم الرخوة . وفى اثر عن عائشة انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم الطعن قدعرفناه فما الطاعون قال غدة كغدة البعير يخرج فى المراق والأبط . قال الأطباء اذا وقع الخراج فى اللحوم الرخوة والمغابن وخلف الأذن والأرنبة وكان من جنس فاسد سمّي يسمى طاعوناً وسببه دم ردئ مائل الى العفونة والفساد مستحيل الى جوهر سمّي يفسد العضو ويغير ما يليه وربما رشح دماً وصديداً ويؤوى الى القلب كيفية رديئة فيحدث القيئ والخفقان والغشي وهذا الاسم وان كان يعم كل ورم يؤدي الى القلب كيفية رديئة حتى يصير لذلك قتالاً فانه يختص به الحادث فى اللحم الغدوى لأنه لردائته لا يقبله من الأعضاء الاما كان اضعف بالطبع . واردؤه ماحدث في الأبط وخلف الأذن لقربهما من الأعضاء التي هي أرأس وأسلمه الأحمر ثم الأصفر والذى الى السواد فلايفلت منه احد .

ولما كان الطاعون يكثر فى الوباء وفى البلاد الحربية عبر عنه بالوباء كما قال الخليل الوباء الطاعون وقيل هو كل مرض يعم . والتحقيق ان بين الوباء والطاعون عموماً وخصوصاً فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعوناً وكذلك الأمراض العامة اعم من الطاعون فانه واحد منها والطواعين خراجات وقروح واورام رديئة حادثة في المواضع المتقدم ذكرها . قلت هذه القروح والأورام والخراجات هي آثار الطاعون وليست نفسه ولكن الاطباء لما لم تدرك منه الا الأثر الظاهر جعلوه نفس الطاعون والطاعون يعبر به عن ثلاثة امور .

احدها هذا الأثر الظاهر وهو الذى ذكره الأطباء . والثانى الموت الحادث عنه وهو المراد بالحديث الصحيح في قوله الطاعون شهادة لكل مسلم . والثالث السبب الفاعل لهذا الداء وقد ورد في الحديث الصحيح انه بقية رجز ارسل على بنى اسرائيل وورد فيه انه وخز الجن وجاء انه دعوة نبي وهذه العلل والأسباب ليس عند الا طباء ما يدفعها كما ليس عندهم ما يدل عليها والرسل تخبر بالأمور الغائبة وهذه الآثار التى ادركوها من امر الطاعون ليس معهم ماينفى ان تكون بتوسط الأرواح فان تأثير الأرواح في الطبيعة وامراضها وهلاكها امر لا ينكره الا من هو اجهل الناس بالأرواح وتأثيراتها وانفعال الأجسام وطبائعها عنها والله سبحانه قد يجعل لهذا الارواح تصرفاً فى اجسام بني آدم عند حدوث الوباء وفساد الهواء كما يجعل لها تصرفاً عند غلبة بعض المواد الرديئة التى تحدث للنفوس هيأة رديئة ولا سيما عند هيجان الدم والمرة السوداء وعند هيجان المني فان الأرواح الشيطانية تتمكن من فعلها بصاحب هذه العوارض مالا تتمكن من غيره ما لم يدفعها دافع اقوى من هذه الاسباب من الذكر والدعاء والأبتهال والتضرع والصدقة وقراءة القرآن فانه يستنزل لذلك من الأرواح الملكية

مايقهر هذه الأرواح الخبيثة ويبطل شرها ويدفع تأثيرها وقد جربنا نحن وغيرنا هذا مراراً لا يحصيها الاالله ورأينا لأستنزال هذه الأرواح الطيبة واستجلاب قربها تأثيراً عظيماً فى تقوية الطبيعة ودفع المواد الرديئة وهذا يكون قبل استحكامها وتمكنها ولا يكاد يخرم فمن وفقه الله بادر عند احساسه بأسباب الشر الى هذه الأسباب التى تدفعها عنه وهي له من انفع الدواء. واذا اراد الله عز وجل انفاذ قضائه وقدره اغفل قلب العبد عن معرفتها وتصورها وارادتها فلا يشعر بها ولا يريدها ليقضي الله فيه امراً كان مفعولاً . وسنزيد هذا المعنى ان شاء الله تعالى ايضاحا وبيانا عند الكلام على التداوى بالرقى والعوذ النبوية والأذكار والدعوات وفعل الخيرات .

ونبين ان نسبة طب الأطباء الى هذا الطب النبوي كنسبة طب الطرقية والعجائز الى طبهم كما اعترف به حذاقهم وأئمتهم ونبين ان الطبيعة الأنسانية اشد شيء انفعالاً عن الأرواح وان قوى العوذ والرقى والدعوات فوق قوى الأدوية حتى انها تبطل قوى السموم القاتلة. والمقصود ان فساد الهواء جزء من اجزاء السبب التام والعلة الفاعلة للطاعون وان فساد جوهر الهواء الموجب لحدوث الوباء وفساده يكون لأستحالة جوهره الى الرداءة لغلبة احدى الكيفيات الرديئة عليه كالعفونة والنتن والسمية فى اي وقت كان من اوقات السنة وان كان اكثر حدوثه في أواخر الصيف وفى الخريف غالباً لكثرة اجتماع الفضلات المرارية الحادة وغيرها في فصل الصيف وعدم تحللها في آخره وفي الخريف لبرد الجو وردغة الأبخرة والفضلات التى كانت تتحلل في زمن الصيف فتنحصر فتسخن وتعفن فتحدث الامراض العفنة ولا سيما اذا صادف البدن مستعداً قابلاً رهلاً قليل الحركة كثير المواد فهذا لا يكاد يفلت من العطب.

واصح الفصول فيه فصل الربيع قال ابقراط ان في الخريف اشد ما يكون من الامراض واقتل واما الربيع فأصح الاوقات كلها واقلها موتاً وقد جرت عادة الصيادلة ومجهزي الموتى انهم يستدينون ويتسلفون في الربيع والصيف على فصل الخريف فهو ربيعهم وهم اشوق شيء اليه وافرح بقدومه وقد روى في حديث اذا طلع النجم ارتفعت العاهة عن كل بلد وفسر بطلوع الثريا وفسر بطلوع النبات زمن الربيع ومنه النجم والشجر يسجدان فان كمال طلوعه وتمامه يكون في فصل الربيع وهو الفصل الذى ترتفع فيه الآفات واما الثريا فالأمراض تكثر وقت طلوعها مع الفجر وسقوطها. قال التميمى في كتاب مادة البقاء اشد اوقات السنة فساداً واعظمها بلية على الاجساد وقتان احدهما وقت سقوط الثريا للمغيب عند طلوع الفجر والثانى وقت طلوعها من المشرق قبل طلوع الشمس على العالم بمنزلة من منازل القمر وهو وقت تصرم فصل الربيع وانقضائه غير ان الفساد الكائن عند طلوعها اقل ضرراً من الفساد الكائن عند سقوطها. وقال ابو محمد بن قتيبة يقال ماطلعت الثريا ولا نأت الا بعاهة فى الناس والابل وغروبها اعوه من طلوعها وفى الحديث قول ثالث ولعله اولي الاقوال به ان المراد بالنجم الثريا وبالعاهة الآفة التي تلحق الزروع والثمار في فصل الشتاء وصدر فصل الربيع فحصل الأمن عليها عند طلوع الثريا في الوقت المذكور ولذلك نهى صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمرة وشرائها قبل ان يبدو صلاحها والمقصود الكلام على هديه صلى الله عليه وسلم عند وقوع الطاعون.

(فصل وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم) للأمة في نهيه عن الدخول الى الارض التى هو بها ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرز منه فان في الدخول في الارض التى هو بها تعريضاً للبلاء وموافاة له في محل سلطانه واعانة

الا نسان على نفسه وهذا مخالف للشرع والعقل بل تجنبه الدخول الى ارضه من باب الحمية التى ارشد الله سبحانه اليها وهي حمية عن الأمكنة والأهوية المؤذية واما نهيه عن الخروج من بلده ففيه معنيان

احدهما حمل النفوس على الثقة بالله والتوكل عليه والصبر على أقضيته والرضا بها . والثانى ما قاله ائمة الطب انه يجب على كل محترز من الوباء ان يخرج من بدنه الرطوبات الفضلية ويقلل الغذاء ويميل الى التدبير المجفف من كل وجه الا الرياضة والحمام فانهما يجب ان يحذرا لأن البدن لا يخلو غالباً من فضل ردئ كامن فيه فتثير الرياضة والحمام ويخلطانه بالكيموس الجيد وذلك يجلب علة عظيمة بل يجب عند وقوع الطاعون السكون والدعة وتسكين هيجان الاخلاط ولا يمكن الخروج من ارض الوباء والسفر منها الا بحركة شديدة وهي مضرة جداً هذا كلام افضل الاطباء والمتأخرين فظهر المعنى الطبي من الحديث النبوى وما فيه من علاج القلب والبدن وصلاحهما . فان قيل ففي قول النبي صلى الله عليه وسلم لاتخرجوا فراراً منه مايبطل ان يكون اراد هذا المعني الذي ذكرتموه وانه لا يمنع الخروج لعارض ولا يحبس مسافراً عن سفره قيل لم يقل احد طبيب ولا غيره ان الناس يتركون حركاتهم عند الطواعين ويصيرون بمنزلة الجمادات وانما ينبغي فيه التقليل من الحركة بحسب الامكان والفار منه لا موجب لحركته الا مجرد الفرار منه ودعته وسكونه انفع لقلبه وبدنه واقرب الى توكله على الله تعالى واستسلامه لقضائه . واما من لا يستغني عن الحركة كالصناع والأجراء والمسافرين والبرد وغيرهم فلا يقال لهم اتركوا حركاتكم جملة وان امروا ان يتركوا منها مالا حاجة لهم اليه كحركة المسافر فاراً منه والله تعالى اعلم. وفي المنع من الدخول الى الارض التى قد وقع بها عدة حكم .

احدها تجنب الأسباب المؤذية والبعد منها . الثانى الأخذ بالعافية التى هي مادة المعاش والمعاد . الثالث ان لا يستنشقوا الهواء الذى قد عفن وفسد فيمرضون الرابع ان لا يجاوروا المرضى الذين قد مرضوا بذلك فيحصل لهم بمجاورتهم من جنس امراضهم. وفي سنن ابى داود مرفوعاً ان من العرق التلف قال ابن قتيبة العرق مداناة الوباء ومداناة المرضى . الخامس حمية النفوس عن الطيرة والعدوى فأنها تتأثر بهما فان الطيرة على من تطير بها وبالجملة ففي النهى عن الدخول في ارضه الأمر بالحذر والحمية والنهي عن التعرض لأسباب التلف وفي النهي عن الفرار منه الأمر بالتوكل والتسليم والتفويض فالأول تأديب وتعليم والثانى تفويض وتسليم. وفى الصحيح ان عمر بن الخطاب خرج الى الشام حتى اذا كان بسرغ لقيه ابو عبيدة ابن الجراح واصحابه فاخبروه ان الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال لابن عباس ادع لى المهاجرين الأولين قال فدعوتهم فاستشارهم واخبرهم ان الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال له بعضهم خرجت لأمر فلا نرى ان ترجع عنه وقال آخرون معك بقية الناس واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نرى ان تقدمهم على هذا الوباء فقال عمر ارتفعوا عنى ثم قال ادع لى الانصار فدعوتهم له فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال ارتفعوا عنى ثم قال ادع لي من ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم له فلم يختلف عليه منهم رجلان قالوا نرى ان ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فأذن عمر في الناس انى مصبح على ظهر فاصبحوا عليه فقال ابو عبيدة بن الجراح يا امير المؤمنين افراراً من قدر الله تعالى قال لو غيرك قالها يا ابا عبيدة نعم نفر من قدر الله تعالى الى قدر الله تعالى ارأيت لو كان لك ابل فهبطت وادياً له عدوتان احدهما خصبة والأخرى جدبة ألست

ان رعيتها الخصبة رعيتها بقدر الله تعالى وان رعيتها الجدبة رعيتها بقدر الله قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجاته فقال ان عندي في هذا علماً سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان بأرض وانتم بها فلا تخرجوا فراراً منه واذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه .

فصل في هديه في داء الأستسقاء وعلاجه

في الصحيحين من حديث انس بن مالك قال قدم رهط من عرينة وعكل على النبي صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو خرجتم الى ابل الصدقة فشربتم من ابوالها والبانها ففعلوا فلما صحوا عمدوا الى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الأبل وحاربوا الله ورسوله فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم فاخذوا فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم والقاهم في الشمس حتى ماتوا . والدليل على ان هذا المرض كان الأستسقاء ما رواه مسلم فى صحيحه في هذا الحديث انهم قالوا انا اجتوينا المدينة فعظمت بطوننا وارتهشت اعضاؤنا وذكر تمام الحديث. والجوى داء من ادواء الجوف والأستسقاء مرض مادي سببه مادة غريبة باردة تتخلل الأعضاء فتربو لها اما الأعضاء الظاهرة كلها واما المواضع الخالية من النواحى التى فيها تدبير الغذاء والأخلاط. واقسامه ثلاثة لحمي وهو اصعبها وزقي وطبلي ولما كانت الأدوية المحتاج اليها فى علاجه هي الأدوية الجالبة التى فيها اطلاق معتدل وادرار بحسب الحاجة وهذه الامور موجودة فى ابوال الأبل والبانها امرهم النبي صلى الله عليه وسلم بشربها فان في لبن اللقاح جلاء وتليينا وادراراً وتلطيفاً وتفتيحاً للسدد اذا كان اكثر رعيها الشيح والقيصوم والبابونج والأقحوان والأذخر وغير ذلك من الأدوية النافعة للأستسقاء وهذا المرض لا يكون الا مع آفة في الكبد خاصة

او مع مشاركة واكثرها عن السدد فيها ولبن اللقاح العربية نافع من السدد لما فيه من التفتيح والمنافع المذكورة قال الرازي لبن اللقاح يشفى اوجاع الكبد وفساد المزاج وقال الأسرائيلي لبن اللقاح ارق الألبان واكثرها مائية وحدة واقلها غذاء فلذلك صار اقواهـا على تلطيف الفضول واطلاق البطن وتفتيح السدد ويدل على ذلك ملوحته اليسيرة التي فيه لأفراط حرارة حيوانية بالطبع ولذلك صار اخص الألبان بتطرية الكبد وتفتيح سددها وتحليل صلابة الطحال اذا كان حديثا والنفع من الأستسقاء خاصة اذا استعمل لحرارته التى يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل وهو حار كما يخرج من الحيوان فان ذلك مما يزيد فى ملوحته وتقطيعه الفضول واطلاقه البطن فان تعذر انحداره واطلاقه البطن وجب ان يطلق بدواء مسهل قال صاحب القانون ولا يلتفت الى ما يقال من ان طبيعة اللبن مضادة لعلاج الأستسقاء .

قال واعلم ان لبن النوق دواء نافع لما فيه من الجلاء برفق وما فيه من خاصية وان هذا اللبن شديد المنفعة فلو ان انسانا اقام عليه بدل الماء والطعام شفى به وقد جرب ذلك في قوم دفعوا الى بلاد العرب فقادتهم الضرورة الى ذلك فعوفوا . وانفع الأبوال بول الجمل الأعرابي وهو النجيب انتهى . وفي القصة دليل على التداوى والتطبب وعلى طهارة بول مأكول اللحم فان التداوي بالمحرمات غير جائز ولم يؤمروا مع قرب عهدهم بالأسلام بغسل افواههم وما اصابته ثيابهم من ابوالها للصلاة وتأخير البيان لا يجوز عن وقت الحاجة وعلى مقابلة الجانى بمثل ما فعل فان هؤلاء قتلوا الراعى وسملوا عينيه ثبت ذلك في صحيح مسلم وعلى قتل الجماعة واخذ اطرافهم بالواحد وعلى انه اذا اجتمع في حق الجانى حد وقصاص استوفيا معا فان النبي صلى الله عليه وسلم قطع ايديهم وارجلهم

حد الله على جرأتهم وقتلهم لقتلهم الراعي وعلى ان المحارب اذا اخذ المال وقتل
قطعت يده ورجله في مقام واحد وقتل وعلى ان الجنايات اذا تعددت تغلظت
عقوباتها فان هؤلاء ارتدوا بعد اسلامهم وقتلوا النفس ومثلوا بالمقتول واخذوا
المال وجاهروا بالمحاربة . وعلى ان حكم ردة المحاربين حكم مباشرهم فانه من المعلوم ان
كل واحد منهم لم يباشر القتل بنفسه ولا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
وعلى ان قتل الغيلة يوجب قتل القاتل حدا فلا يسقطه العفو ولا تعتبر فيه المكافأة
وهذا مذهب اهل المدينة واحد الوجهين في مذهب احمد اختاره شيخنا وافتى به

فصل في هديه في علاج الجرح

في الصحيحين عن ابي حازم انه سمع سهل بن سعد يسأل عما دووى به جرح
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فقال جرح وجهه وكسرت رباعيته
وهشمت البيضة على رأسه وكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
تغسل الدم وكان علي بن ابي طالب يسكب عليها بالمجن فلما رأت فاطمة الدم
لا يزيد الا كثرة اخذت قطعة حصير فأحرقتها حتى اذا صارت رمادا الصقته
بالجرح فاستمسك الدم برماد الحصير المعمول من البردى وله فعل قوى في حبس
الدم لان فيه تجفيفا قويا وقلة لذع فان الأدوية القوية التجفيف اذا كان فيها
لذع هيجت الدم وجلبته وهذا الرماد اذا نفخ وحده او مع الخل في انف الراعف
قطع رعافه . وقال صاحب القانون البردى ينفع من النزف ويمنعه ويذر على الجراحات
الطرية فيدملها والقرطاس المصري كان قديما يعمل منه ومزاجه بارد يابس ورماد
نافع من اكلة الفم ويحبس نفث الدم ويمنع القروح الخبيثة ان تسعى .

﴿ فصل فى هديه في العلاج بشرب العسل والحجامة والكي ﴾

في صحيح البخارى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشفاء فى ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وانا انهى امتى عن الكي قال ابو عبد الله المارزي الأمراض الأمتلائية اما ان تكون دموية او صفراوية او بلغمية او سوداوية فان كانت دموية فشفاؤها اخراج الدم وان كانت من الاقسام الثلاثة الباقية فشفاؤها بالاسهال الذى يليق بكل خلط منها وكأنه صلى الله عليه وسلم نبه بالعسل على المسهلات وبالحجامة على الفصد وقد قال بعض الناس ان الفصد يدخل فى قوله شرطة محجم فاذا أعيا الدواء فآخر الطب الكي فذكره صلى الله عليه وسلم من الأدوية لأنه يستعمل عند غلبة الطباع لقوى الأدوية وحيث لا ينفع الدواء المشروب. وقوله انا انهى امتى عن الكي وفى الحديث الآخر وما احب ان اكتوى اشارة الى ان يؤخر العلاج به حتى تدفع الضرورة اليه ولا يعجل التداوي به لما فيه من استعجال الألم الشديد فى دفع الم قد يكون اضعف من ألم الكى انتهى كلامه. وقال بعض الأطباء الأمراض المزاجية اما ان تكون بمادة او بغير مادة والمادية منها اما حارة او باردة او رطبة او يابسة او ما تركب منها وهذه الكيفيات الأربع منها كيفيتان فاعلتان وهما الحرارة والبرودة وكيفيتان منفعلتان وهما الرطوبة واليبوسة ويلزم من غلبة احدى الكيفيين الفاعلتين استصحاب كيفية منفعلة معها وكذلك كان لكل واحد من الأخلاط الموجودة في البدن وسائر المركبات كيفيتان فاعلة ومنفعلة فحصل من ذلك ان اصل الأمراض المزاجية هى التابعة لأقوى كيفيات الأخلاط

التى هى الحرارة والبرودة فجاء كلام النبوة فى اصل معالجة الأمراض التي هي الحارة والباردة على طريق التمثيل فان كان المرض حاراً عالجناه بأخراج الدم بالفصد كان او بالحجامة لأن فى ذلك استفراغاً للمادة وتبريداً للخراج وان كان بارداً عالجناه بالتسخين وذلك موجود فى العسل فان كان يحتاج مع ذلك الى استفراغ المادة الباردة فالعسل ايضا يفعل فى ذلك لما فيه من الأنضاج والتقطيع والتلطيف والجلاء والتليين فيحصل بذلك استفراغ تلك المادة برفق وامن من نكاية المسهلات القوية. واما الكي فلأن كل واحد من الأمراض المادية اما ان يكون حادا فيكون سريع الأفضاء لأحد الطرفين فلا يحتاج اليه فيه واما ان يكون مزمنا وافضل علاجه بعد الأستفراغ الكي فى الأعضاء التي يجوز فيها الكي لأنه لا يكون مزمناً الا عن مادة باردة غليظة قد رسخت في العضو وافسدت مزاجه واحالت جميع مايتصل اليه الى مشابهة جوهرها فتستعمل في ذلك العضو فيستخرج بالكي تلك المادة من ذلك المكان الذي هي فيه بأفناء الجزء الناري الموجود بالكي لتلك المادة فتعلمنا بهذا الحديث الشريف اخذ معالجة الامراض المادية جميعها كما استنبطنا معالجة الأمراض الساذجة من قوله صلى الله عليه وسلم ان شدة الحمي من فيح جهنم فأبرودها بالماء.

(فصل) واما الحجامة ففي سنن ابن ماجه من حديث جبارة ابن المغلس وهو ضعيف عن كثير بن سليم قال سمعت انس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامررت ليلة اسرى بي بملإ الا قالوا يا محمد مر امتك بالحجامة. وروى الترمذي في جامعه من حديث ابن عباس هذا الحديث وقال فيه عليك بالحجامة يامحمد. وفى الصحيحين من حديث طاوس عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم احتجم واعطى الحجام اجره. وفى الصحيحين ايضاً عن حميد الطويل

عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حجمه ابو طيبة فأمر له بصاعين من طعام وكلم مواليه فخففوا عنه من ضريبته وقال خير ما تدوايتم به الحجامة وفى جامع الترمذي عن عباد بن منصور قال سمعت عكرمة يقول كان لابن عباس غلمة ثلاثة حجامون فكان اثنان يغلان عليه وعلى اهله وواحد لحجمه وحجم اهله قال وقال ابن عباس قال نبى الله صلى الله عليه وسلم نعم العبد الحجام يذهب الدم ويجفف الصلب ويجلو عن البصر وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث عرج به ما مر على ملأ من الملائكة الا قالوا عليك بالحجامة وقال ان خير ما يحتجمون فيه يوم سبع عشرة ويوم تسع عشرة ويوم احدى وعشرين وقال ان خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لد فقال من لدنى فكلهم امسكوا فقال لا يبقى احد في البيت الا لد الا العباس قال هذا حديث غريب ورواه ابن ماجه

(فصل) واما منافع الحجامة فانها تنقى سطح البدن اكثر من الفصد والفصد لاعماق البدن افضل والحجامة تستخرج الدم من نواحي الجلد قلت والتحقيق في امرها وامر الفصد انهما يختلفان باختلاف الزمان والمكان والأسنان والأمزجة . والبلاد الحارة والأزمنة الحارة والأمزجة الحارة التى دم اصحابها فى غاية النضج الحجامة فيها انفع من الفصد بكثير فان الدم ينضج ويروق ويخرج الى سطح الجسد الداخل فتخرج الحجامة ما لا يخرجه الفصد ولذلك كانت انفع للصبيان من الفصد ولمن لا يقوى على الفصد وقد نص الأطباء على ان البلاد الحارة الحجامة فيها انفع وافضل من الفصد وتستحب في وسطه وبعد وسطه وبالجملة في الربع الثالث من ارباع الشهر لان الدم في اول الشهر لم يكن بعد قد هاج وتبيغ وفي آخره يكون قد سكن واما في وسطه وبعيده فيكون في نهاية التزيد قال صاحب القانون

ويؤمر باستعمال الحجامة لا في اول الشهر لان الأخلاط لا تكون قد تحركت وهاجت ولا في آخره لانها تكون قد نقصت بل في وسط الشهر حين تكون الأخلاط هائجة بالغة في تزايدها لتزايد النور في جرم القمر . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير ما تداويتم به الحجامة والفصد وفي حديث خير الدواء الحجامة والفصاد انتهى . وقوله صلى الله عليه وسلم خير ما تداويتم به الحجامة اشارة الى اهل الحجاز والبلاد الحارة لان دمائهم رقيقة وهي اميل الى ظاهر ابدانهم لجذب الحرارة الخارجة لها الى سطح الجسد واجتماعها في نواحي الجلد ولأن مسام ابدانهم واسعة وقواهم متخلخلة ففي الفصد لهم خطر . والحجامة تفرق اتصالي ارادي يتبعه استفراغ كلي من العروق وخاصة العروق التي لا تفصد كثيراً ولفصد كل واحد منها نفع خاص ففصد الباسليق ينفع من حرارة الكبد والطحال والأورام الكائنة فيهما من الدم وينفع من اورام الرئة وينفع الشوصة وذات الجنب وجميع الأمراض الدموية العارضة من اسفل الركبة الى الورك وفصد الأكحل من الأمتلاء العارض في جميع البدن وفصد القيفال ينفع من العلل العارضة في الرأس والرقبة من كثرة الدم او فساده وفصد الودجين ينفع من وجع الطحال والربو والبهو ووجع الجبين . والحجامة على الكاهل تنفع من وجع المنكب والحلق والحجامة على الأخدعين تنفع من امراض الرأس واجزائه كالوجه والأسنان والأذنين والعينين والأنف والحلق اذا كان حدوث ذلك عن كثرة الدم او فساده او عنهما جميعاً قال انس رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم في الأخدعين والكاهل وفي الصحيحين عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم ثلاثاً واحدة على كاهله واثنتين على الأخدعين وفي الصحيح عنه

انه احتجم وهو محرم في رأسه لصداع كان به وفي سنن ابن ماجه عن علي نزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم بحجامة الأخدعين والكاهل وفي سنن ابى داود من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم فى وركه من وثى كان به

﴿ فصل ﴾ واختلف الأطباء فى الحجامة على نقرة القفا وهى القَمَحْدُوةُ وذكر ابو نعيم فى كتاب الطب النبوي حديثا مرفوعا عليكم بالحجامة فى جوزة القمحدوة فانها تشفى من خمسة أدواء ذكر منها الجذام وفى حديث آخر عليكم بالحجامة فى جوزة القمحدوة فانها شفاء من اثنين وسبعين داء فطائفة منهم استحسنه وقالت انها تنفع فى جحظ العين والنتو العارض فيها وكثير من امراضها ومن ثقل الحاجبين والجفن وتنفع من جربه . وروى ان احمد بن حنبل احتاج اليها فاحتجم فى جانبى قفاه ولم يحتجم فى النقرة وممن كرهها صاحب القانون وقال انها تورث النسيان حقاً كما قال سيدنا ومولانا وصاحب شريعتنا محمد صلى الله عليه وسلم فان مؤخر الدماغ موضع الحفظ والحجامة تذهبه انتهى كلامه . ورد عليه آخرون وقالوا الحديث لا يثبت وان ثبت فالحجامة انما تضعف مؤخر الدماغ اذا استعملت بغير ضرورة فاما اذا استعملت لغلبة الدم عليه فانها نافعة له طباً وشرعاً فقد ثبت عن النبى صلى عليه وسلم انه احتجم فى عدة اماكن من قفاه بحسب مااقتضاه الحال في ذلك واحتجم فى غير القفا بحسب مادعت اليه حاجته

(فصل) والحجامة تحت الذقن تنفع من وجع الأسنان والوجه والحلقوم اذا استعملت في وقتها وتنقي الرأس والكفين والحجامة على ظهر القدم تنوب عن فصد الصافن وهو عرق عظيم عند الكعب وتنفع من قروح الفخذين والساق وانقطاع الطمث والحكة العارضة فى الأنثيين والحجامة في اسفل الصدر نافعة من دماميل الفخذ وجربه وبثوره ومن النقرس والبواسير والفيل وحكة الظهر .

فصل فى هديه فى اوقات الحجامة

روى الترمذى فى جامعه من حديث ابن عباس يرفعه ان خير ما تحتجمون فيه يوم سابع عشرة اوتاسع عشرة ويوم احدي وعشرين. وفيه عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم فى الأخدعين والكاهل وكان يحتجم لسبعة عشر وتسعة عشر وفي احدى وعشرين. وفى سنن ابن ماجه عن انس مرفوعا من اراد الحجامة فليتحر سبعة عشر او تسعة عشر او احدى وعشرين ولا يتبيغ باحدكم الدم فيقتله وفى سنن ابى داود من حديث ابى هريرة مرفوعاً من احتجم لسبع عشرة او تسع عشرة او احدى وعشرين كانت شفاء من كل داء . وهذا معناه من كل داء سببه غلبة الدم وهذه الأحاديث موافقة لما اجمع عليه الاطباء ان الحجامة فى النصف الثانى وما يليه من الربع الثالث من ارباعه انفع من اوله وآخره واذا استعملت عند الحاجة اليها نفعت اي وقت كان من اول الشهر وآخره قال الخلال اخبرني عصمة بن عصام قال حدثنا حنبل قال كان ابو عبد الله احمد ابن حنبل يحتجم اي وقت هاج به الدم واي ساعة كانت .

وقال صاحب القانون اوقاتها فى النهار الساعة الثانية او الثالثة ويجب توقيها بعد الحمام الا في من دمه غليظ فيجب ان يستحم ثم يجم ساعة ثم يحتجم انتهى وتكره عندهم الحجامة على الشبع فانها ربما اورثت سدداً وامراضاً رديئة لاسيما اذا كان الغذاء رديئاً غليظاً . وفى اثر الحجامة على الريق دواء وعلى الشبع داء وفي سبعة عشر من الشهر شفاء. واختيار هذه الاوقات للحجامة فيما اذا كانت على سبيل الأحتياط والتحرز من الأذى وحفظاً للصحة واما فى مداواة الأمراض فحيثما وجد الأحتياج اليها وجب استعمالها وفي قوله لايتبيغ بأحدكم الدم فيقتله دلالة على ذلك يعني لئلا يتبيغ فحذف حرف الجر مع ان ثم حذفت ان

والتبيغ الهيج وهو مقلوب البغي وهو بمعناه فانه بغي الدم وهيجانه وقد تقدم ان الامام احمد كان يحتجم اي وقت احتاج من الشهر .

(فصل) واما اختيار ايام الأسبوع للحجامة فقال الخلال فى جامعه اخبرنا حرب ابن اسماعيل قال قلت لأحمد تكره الحجامة فى شيء من الأيام قال قد جاء فى الأربعاء والسبت وفيه عن الحسين بن حسان انه سأل ابا عبد الله عن الحجامة اي وقت تكره فقال في يوم السبت ويوم الاربعاء ويقولون يوم الجمعة . وروى الخلال عن ابى سلمة وابى سعيد المقبري عن ابى هريرة مرفوعاً من احتجم يوم الأربعاء او يوم السبت فاصابه بياض اوبرص فلا يلومن الا نفسه . وقال الخلال اخبرنا محمد بن على بن جعفر ان يعقوب بن بختان حدثهم قال سئل احمد عن النورة والحجامة يوم السبت ويوم الأربعاء فكرههاوقال بلغنى عن رجل انه تنور واحتجم يعني يوم الاربعاء فاصابه البرص فقلت له كأنه تهاون بالحديث قال نعم . وفي كتاب الافراد للدارقطنى من حديث نافع قال قال لى عبد الله بن عمر تبيغ بى الدم فابغ لى حجاما ولا يكن صبياً ولا شيخاً كبيراً فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحجامة تزيد الحافظ حفظاً والعاقل عقلاً فاحتجموا على اسم الله تعالى ولا تحتجموا الخميس والجمعة والسبت والاحد واحتجموا الاثنين وما كان من جذام ولا برص الانزل يوم الأربعاء قال الدار قطنى تفرد به زياد ابن يحى وقد رواه ايوب عن نافع وقال فيه واحتجموا يوم الاثنين والثلاثا ولاتحتجموا يوم الاربعاء وقد روى ابو داود في سننه من حديث ابى بكرة انه كان يكره الحجامة يوم الثلاثاء وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الثلاثاء يوم الدم وفيه ساعة لا يرقأ فيه الدم

(فصل) وفى ضمن هذه الاحاديث المتقدمة استحباب التداوي واستحباب

الحجامة وانها تكون فى الموضع الذى يقتضيه الحال وجواز احتجام المحرم وان آل الى
قطع شيء من الشعر فان ذلك جائز وفي وجوب الفدية عليه نظر ولا يقوى الوجوب
وجواز احتجام الصائم فان في صحيح البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
احتجم وهو صائم ولكن هل يفطر بذلك ام لا مسألة اخرى الصواب الفطر بالحجامة
لصحته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير معارض واصح ما يعارض به
حديث حجامته وهو صائم ولكن لا يدل على عدم الفطر الا بعد اربعة امور .
احدها ان الصوم كان فرضا . الثانى انه كان مقيماً . الثالث انه لم يكن به مرض احتاج معه
الى الحجامة . الرابع ان هذا الحديث متأخر عن قوله افطر الحاجم والمحجوم فاذا ثبتت
هذه المقدمات الأربع امكن الاستدلال بفعله صلى الله عليه وسلم على بقاء الصوم
مع الحجامة والا فما المانع ان يكون الصوم نفلاً يجوز الخروج منه بالحجامة
وغيرها او من رمضان لكنه فى السفر او من رمضان في الحضر لكن دعت
الحاجة اليها كما تدعو حاجة من به مرض الى الفطر او يكون فرضاً من رمضان
في الحضر من غير حاجة اليها لكنه مبقى على الاصل وقوله افطر الحاجم والمحجوم
ناقل ومتاخر فتعين المصير اليه ولا سبيل الى اثبات واحدة من هذه المقدمات
الأربع فكيف بأثباتها كلها . وفيها دليل على استئجار الطبيب وغيره من غير عقد
اجارة بل يعطيه اجرة المثل او مايرضيه وفيها دليل على جواز التكسب بصناعة
الحجامة وان كان لا يطيب للحر أكل اجرته من غير تحريم عليه فان النبى صلى
الله عليه وسلم اعطاه أجره ولم يمنعه من اكله وتسميته اياه خبيثاً كتسميته للثوم
والبصل خبيثين ولم يلزم من ذلك تحريمهما وفيها دليل على جواز ضرب الرجل
الخراج على عبده كل يوم شيئاً معلوما بقدر طاقته وان للعبد ان يتصرف فيما
زاد على خراجه ولو منع من التصرف فيه لكان كسبه كله خراجا ولم يكن لتقديره

فائدة بل مازاد على خراجه فهو تمليك من سيده له يتصرف فيه كما اراد والله اعلم

فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم فى قطع العروق والكي

ثبت في الصحيح من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى ابيّ بن كعب طبيباً فقطع له عرقاً وكواه عليه ولما رمى سعد بن معاذ في اكحله حسمه النبي صلى الله عليه وسلم ثم ورمت فحسمه ثانية والحسم هو الكي وفى طريق آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم كوى سعد بن معاذ في اكحله بمشقص ثم حسمه سعد بن معاذ اوغيره من اصحابه وفى لفظ آخر ان رجلاً من الانصار رمى في اكحله بمشقص فامر النبى صلى الله عليه وسلم فكوي . وقال ابو عبيد وقد اتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل نعت له الكي فقال اكووه وارضفوه قال ابو عبيدة الرضف الحجارة تسخن ثم تكمد بها وقال الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن ابى الزبير عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم كواه في اكحله . وفي صحيح البخاري من حديث انس انه كوي من ذات الجنب والنبى صلى الله عليه وسلم حي . وفى الترمذي عن انس ان النبى صلي الله عليه وسلم كوى اسعد بن زرارة من الشوكة وقد تقدم الحديث المتفق عليه وفيه وما احب ان اكتوى وفى لفظ آخر وانا انهى امتى عن الكي وفي جامع الترمذي وغيره عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الكي قال فابتلينا فاكتوينا فما افلحنا ولا انجحنا وفى لفظ نهينا عن الكي وقال فما افلحنا ولا انجحنا قال الخطابي انما كوى سعداً ليرقا الدم من جرحه وخاف عليه ان ينزف فيهلك والكي مستعمل في هذا الباب كما يكوي من تقطع يده او رجله واما النهي عن الكي فهو ان يكتوي طلباً للشفاء . وكانوا يعتقدون انه متى لم يكتو هلك فنهاهم عنه لأجل هذه النية . وقيل انما نهى عنه عمران بن حصين خاصة لانه كان به ناصور وكان موضعه خطراً فنهي عن كيه فيشبه ان يكون

النهي متصرفاً الى الموضع المخوف منه والله تعالى اعلم . وقال بن قتيبة الكي جنسان كي الصحيح لئلا يعتل فهذا الذي قيل فيه لم يتوكل من اكتوي لأنه يريد ان يدفع القدر عن نفسه . والثانى كي الجرح اذا نغل والعضو اذا قطع في هذا الشفاء واما اذا كان الكي للتداوي الذي يجوز ان ينجح ويجوز ان لا ينجح فأنه الى الكراهة اقرب انتهى. وثبت في الصحيح من حديث السبعين الفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب انهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقد تضمنت احاديث الكي اربعة انواع . احدها فعله. والثانى عدم محبته له. والثالث الثناء على من تركه . والرابع النهي عنه ولا تعارض بينها بحمد الله تعالى فان فعله يدل على جوازه وعدم محبته له لا يدل على المنع منه واما الثناء على تاركه فيدل على ان تركه اولى وافضل واما النهي عنه فعلى سبيل الأختيار والكراهة او عن النوع الذي لا يحتاج اليه بل يفعل خوفاً من حدوث الداء والله اعلم

فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم في علاج الصرع

اخرجا في الصحيحين من حديث عطاء بن ابى رباح قال قال ابن عباس الا أريك امرأة من اهل الجنة قلت بلى قال هذه المرأة السوداء اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت انى اصرع وانى اتكشف فادع الله لى فقال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله لك ان يعافيك فقالت اصبر قالت فانى اتكشف فادع الله ان لا اتكشف فدعا لها . قلت الصرع صرعان صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية وصرع من الأخلاط الرديئة والثانى هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه واما صرع الأرواح فائمتهم وعقلاؤهم يعترفون به ولا يدفعونه ويعترفون بأن علاجه مقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح

الشريرة الخبيثة فتدفع آثارها وتعارض افعالها وتبطلها وقد نص على ذلك ابقراط في بعض كتبه فذكر بعض علاج الصرع وقال هذا انما ينفع في الصرع الذي سببه الاخلاط والمادة واما الصرع الذي يكون من الأرواح فلا ينفع فيه هذا العلاج. اما جهلة الأطباء وسقطهم وسفلتهم ومن يعتقد بالزندقة فضيلة فاولئك ينكرون صرع الأرواح ولا يقرون بأنها تؤثر في بدن المصروع وليس معهم الا الجهل والا فليس في الصناعة الطبية مايدفع ذلك والحس والوجود شاهد به واحالتهم ذلك على غلبة بعض الأخلاط هو صادق في بعض اقسامه لا في كلها.

وقدماء الاطباء كانوا يسمون هذا الصرع المرض الالهي وقالوا انه من الارواح واما جالينوس وغيره فتأولوا عليهم هذه التسمية وقالوا انما سموها بالمرض الالهي لكون هذه العلة تحدث في الرأس فتضر بالجزء الالهي الطاهر الذي مسكنه الدماغ وهذا التأويل نشأ لهم من جهلهم بهذه الأرواح واحكامها وتأثيراتها وجاءت زنادقة الأطباء فلم يثبتوا الا صرع الأخلاط وحده ومن له عقل ومعرفة بهذه الأرواح وتأثيراتها يضحك من جهل هؤلاء وضعف عقولهم. وعلاج هذا النوع يكون بأمرين امر من جهة المصروع وامر من جهة المعالج فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه وصدق توجهه الى فاطر هذه الأرواح وبارئها والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان فان هذا نوع محاربة والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح الا لأمرين ان يكون السلاح صحيحاً في نفسه جيداً وان يكون الساعد قوياً فتى تخلف احدهما لم يغن السلاح كثير طائل فكيف اذا عدم الامران جميعاً يكون القلب خراباً من التوحيد والتوكل والتقوي والتوجه ولا سلاح له. والثاني من جهة المعالج بأن يكون فيه هذان الامران ايضاً حتى ان من المعالجين من يكتفي بقوله اخرج منه او يقول بسم الله او يقول لا حول ولا

قوة الا بالله والنبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اخرج عدو الله انا رسول الله وشاهدت شيخنا يرسل الى المصروع من يخاطب الروح التي فيه ويقول قال لك الشيخ اخرجي فان هذا لايحل لك فيفيق المصروع وربما خاطبها بنفسه وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب فيفيق المصروع ولا يحس بألم وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مراراً وكان كثيراً ما يقرأ في اذن المصروع (أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لاترجعون وحدثني انه قرأها مرة فى اذن المصروع فقالت الروح نعم ومد بها صوته قال فأخذت له عصا وضربته بها في عروق عنقه حتى كلت يداي من الضرب ولم يشك الحاضرون بانه يموت لذلك الضرب ففى اثناء الضرب قالت انا احبه فقلت لها هو لا يحبك قالت انا اريد ان احج به فقلت لها هو لا يريد ان يحج معك فقالت انا ادعه كرامة لك قال قلت لا ولكن طاعة لله ولرسوله قالت فانا اخرج منه قال فقعد المصروع يلتفت يميناً وشمالاً وقال ماجاء بي الى حضرت الشيخ قالوا له وهذا الضرب كله فقال وعلى اي شيء يضربني الشيخ ولم اذنب ولم يشعر بأنه وقع به الضرب البتة. وكان يعالج بآية الكرسي وكان يأمر بكثرة قراءة المصروع ومن يعالجه بها وبقراءة المعوذتين . وبالجملة فهذا النوع من الصرع وعلاجه لا ينكره الا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفة. واكثر تسلط الأرواح الخبيثة على اهله تكون من جهة قلة دينهم وخراب قلوبهم والسنتهم من حقائق الذكر والتعاويذ والتحصنات النبوية والأيمانية فتلقى الروح الخبيثة الرجل اعزل لاسلاح معه وربما كان عرياناً فيؤثر فيه هذا . ولو كشف الغطاء لرأيت اكثر النفوس البشرية صرعي مع هذه الارواح الخبيثة وهي في اسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت ولايمكنها الأمتناع عنها ولا مخالفتها وبها الصرع الأعظم الذى لا يفيق صاحبه الا عند المفارقة والمعاينة

فهناك يتحقق انه كان هو المصروع حقيقة وبالله المستعان. وعلاج هذا الصرع
باقتران العقل الصحيح الى الأيمان بما جاءت به الرسل وان تكون الجنة والنار
نصب عينه وقبلة قلبه ويستحضر اهل الدنيا وحلول المثولات والآفات بهم
ووقوعها خلال ديارهم كمواقع القطر وهم صرعي لايفيقون وما اشد اعداء هذا
الصرع ولكن لما عمت البلية به بحيث ينظر الأنسان لا يرى الامصروعاً لم يصر مستغربا
ولامستنكرا بل صار لكثرة المصروعين عَيْنَ المستنكر المستغرب خلافه فاذا اراد
الله بعبد خيراً افاق من هذه الصرعة ونظر الى ابناء الدنيا مصروعين حوله يميناً
وشمالا على اختلاف طبقاتهم فمنهم من اطبق به الجنون ومنهم من يفيق احيانا
قليلة ويعود الى جنونه ومنهم من يجن مرة ويفيق اخرى فاذا افاق عمل عمل اهل الأفاقة
والعقل ثم يعاوده الصرع فيقع في التخبيط.

(فصل) واما صرع الأخلاط فهو علة تمنع الأعضاء النفيسة عن الأفعال والحركة
والأنتصاب منعاً غير تام وسببه خلط غليظ لزج يسد منافذ بطون الدماغ سدة
غير تامة فيمتنع نفوذ الحس والحركة فيه وفي الأعضاء نفوذاً ما من غير انقطاع
بالكلية. وقد يكون لأسباب أخر كريح غليظ يحتبس في منافذ الروح او بخار
ردئ يرتفع اليه من بعض الأعضاء اوكيفية لاذعة فينقبض الدماغ لدفع المؤذي
فيتبعه تشنج في جميع الأعضاء ولا يمكن ان يبقى الانسان معه منتصباً بل يسقط
ويظهر فى فيه الزبد غالبا. وهذه العلة تعد من جملة الأمراض الحادثة باعتبار
وقت وجوده المؤلم خاصة وقد تعد من جملة الأمراض المزمنة باعتبار طول مكثها
وعسر برئها لاسيما ان جاوز فى السن خمساً وعشرين سنة وهذه العلة في دماغه
وخاصة في جوهره فأن صرع هؤلاء يكون لازما. قال ابقراط ان الصرع يبقى
في هؤلاء حتي يموتوا. اذا عرف هذا فهذه المرأة التي جاء الحديث انها كانت

تصرع وتنكشف يجوز ان يكون صرعها من هذا النوع فوعدها النبي صلى الله عليه وسلم الجنة بصبرها على هذا المرض ودعا لها ان لا تنكشف وخيرها بين الصبر والجنة وبين الدعاء لها بالشفاء من غير ضمان فاختارت الصبر والجنة . وفي ذلك دليل على جواز ترك المعالجة والتداوي وان علاج الأرواح بالدعوات والتوجه الى الله يفعل مالا يناله علاج الأطباء وان تأثيره وفعله وتأثر الطبيعة عنه وانفعالها اعظم من تأثير الأدوية البدنية وانفعال الطبيعة عنها . وقد جربنا هذا مرارا نحن وغيرنا . وعقلاء الأطباء معترفون بأن في فعل القوى النفسية وانفعالاتها في شفاء الامراض عجائب وما على الصناعة الطبية اضر من زنادقة القوم وسفلتهم وجهالهم . والظاهر ان صرع المرأة كان من هذا النوع ويجوز ان يكون من جهة الأرواح ويكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خيرها بين الصبر على ذلك مع الجنة وبين الدعاء لها بالشفاء فاختارت الصبر والستر والله اعلم

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج عرق النسا)

روى ابن ماجه في سننه من حديث محمد بن سيرين عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دواء عرق النسا ألية شاة اعرابية تذاب ثم تجزأ ثلاثة اجزاء ثم تشرب على الريق في كل يوم جزء . عرق النسا وجع يبتدئ من مفصل الورك وينزل من خلف على الفخذ وربما امتد على الكعب وكلما طالت مدته زاد نزوله ويهزل معه الرجل والفخذ . وهذا الحديث فيه معنى لغوي ومعنى طبي فاما المعنى اللغوي فدليل على جواز تسمية هذا المرض بعرق النسا خلافاً لمن منع هذه التسمية وقال النسا هو العرق نفسه فيكون من باب اضافة الشيء الى نفسه وهو ممتنع . وجواب هذا القائل من وجهين احدهما ان العرق اعم من النسا فهو من باب اضافة العام الى الخاص نحو كل الدراهم

وبعضها. الثاني ان النسا هو المرض الحال بالعرق والأضافة فيه من باب اضافة الشيء الى محله وموضوعه قيل وسمى بذلك لان ألمه ينسى ما سواه وهذا العرق ممتد من مفصل الورك وينتهي الى آخر القدم وراء الكعب من الجانب الوحشى فيما بين عظم الساق والوتر . واما المعنى الطبى فقد تقدم ان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم نوعان. احدهما عام بحسب الأزمان والأماكن والأشخاص والأحوال. والثاني خاص بحسب هذه الأمور او بعضها وهذا من هذا القسم فان هذا خطاب للعرب واهل الحجاز ومن جاورهم ولاسيما اعراب البوادى فأن هذا العلاج من انفع العلاج لهم فان هذا المرض يحدث من يبس وقد يحدث من مادة غليظة لزجة فعلاجها بالأسهال. والألية فيها الخاصيتان الأنضاج والتليين ففيها الأنضاج والأخراج وهذا المرض يحتاج علاجه الى هذين الامرين وفى تعيين الشاة الأعرابية قلة فضولها وصغر مقدارها ولطف جوهرها وخاصية مرعاها لانها ترعى اعشاب البر الحارة كالشيح والقيصوم ونحوهما وهذه النباتات اذا تغذى بها الحيوان صار في لحمه من طبعها بعد ان يلطفها تغذية بها ويكسبها مزاجا الطف منها ولاسيما الألية وظهور فعل هذه النباتات في اللبن اقوى منه في اللحم ولكن الخاصية التي في الألية من الأنضاج والتليين لا توجد في اللبن وهذا مما تقدم ان ادوية غالب الامم والبوادي بالأدوية المفردة وعليه اطباء الهند واما الروم واليونان فيعتنون بالمركبة وهم متفقون كلهم على ان من سعادة الطبيب ان يداوى بالغذاء فان عجز فبالمفرد فان عجز فبما كان اقل تركيبا وقد تقدم ان غالب عادات العرب واهل البوادى الأمراض البسيطة فالادوية البسيطة تناسبها وهذه لبساطة اغذيتهم في الغالب . واما الامراض المركبة فغالبا تحدث عن تركيب الأغذية وتنوعها واختلافها فاختيرت لها الأدوية المركبة والله تعالى اعلم

فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج يبس الطبع واحتياجه الى ما يمشيه ويلينه

روي الترمذي في جامعه وابن ماجه في سننه من حديث اسماء بنت عميس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذا كنت تستمشين قالت بالشبرم قال حار جار ثم قالت استمشيت بالسنا فقال لو كان شيء يشفي من الموت لكان السنا وفي سنن ابن ماجه عن ابراهيم بن ابي عبلة قال سمعت عبدالله بن ام حرام وكان مما صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليكم بالسنا والسنوت فان فيهما شفاء من كل داء الا السام قيل يارسول الله وما السام قال الموت قوله بم تستمشين اي تلين الطبع حتى يمشي ولا يصير بمنزلة الواقف فيؤذي باحتباس النجو ولهذا سمي الدواء المسهل مشيا على وزن فعيل وقيل لأن المسهول يكثر المشي والأختلاف للحاجة وقد روى بما ذا تستشفين فقالت بالشبرم وهو من جملة الأدوية اليتوعية وهو قشر عرق شجرة وهو حار يابس في الدرجة الرابعة واجوده المائل الى الحمرة الخفيف الرقيق الذي يشبه الجلد الملفوف وبالجملة فهو من الأدوية التي اوصى الاطباء بترك استعمالها لخطرها وفرط اسهالها. وقوله صلى الله عليه وسلم حار جار ويروى حار يار قال ابو عبيد واكثر كلامهم بالياء قات وفيه قولان احدهما ان الحار الجار بالجيم الشديد الاسهال فوصفه بالحرار وشدة الاسهال وكذلك هو قاله ابو حنيفة الدينوري. والثاني وهو الصواب ان هذا من الأتباع الذي يقصد به تأكيد الاول ويكون بين التأكيد اللفظي والمعنوي ولهذا يراعون فيه اتباعه في اكثر حروفه كقولهم حسن بسن اي كامل الحسن وقولهم حسن قسن بالقاف ومنه شيطان ليطان وحار جار مع ان في الجار معنى آخر وهو الذي يجر الشيء الذي يصيبه من شدة حرارته

وجذبه له كأنه ينزعه ويسلخه ويار اما لغة في جار كقولهم صهرى وصهريج والصهارى والصهاريج واما اتباع مستقل. واما السناء ففيه لغتان المد والقصر وهو نبت حجازى افضله المكي وهو دواء شريف مأمون الغائلة قريب من الأعتدال حار يابس في الدرجة الأولى يسهل الصفراء والسوداء ويقوي القلب وهذه فضيلة شريفة فيه. وخاصيته النفع من الوسواس السوداوى ومن الشقاق العارض في البدن ويفتح العضل وانتشار الشعر ومن القمل والصداع العتيق والجرب والبثور والحكة والصرع وشرب مائه مطبوخا اصلح من شربه مدقوقا ومقدار الشربة منه الى ثلاثة دراهم ومن مائه الى خمسة دراهم وان طبخ معه شيء من زهر البنفسج والزبيب الأحمر المنزوع العجم كان اصلح. قال الرازي السناء والشاهترج يسهلان الأخلاط المحترقة وينفعان من الجرب والحكة. والشربة من كل واحد منهما من اربعة دراهم الى سبعة دراهم واما السنوت ففيه ثمانية اقوال. احدهما انه العسل. والثاني انه رب عكة السمن يخرج خططا سوداء على السمن حكاهما عمر بن بكر السكسكى. الثالث انه حب يشبه الكمون الكرمانى. الخامس انه الرازيانج حكاهما ابو حنيفة الدينوري عن بعض الأعراب. السادس انه الشبت. السابع انه التمر حكاهما ابو بكر بن السنى الحافظ. الثامن انه العسل الذي يكون في زقاق السمن حكاه عبد اللطيف البغدادي قال بعض الأطباء وهذا اجدر بالمعنى واقرب الى الصواب اي يخلط السناء مدقوقا بالعسل المخالط للسمن ثم يلعق فيكون اصلح من استعماله مفردا لما في العسل والسمن من اصلاح السنا واعانته على الأسهال والله اعلم. وقد روى الترمذي وغيره من حديث ابن عباس يرفعه ان خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي المشي هو الذى يمشي الطبع ويلينه ويسهل خروج الخارج.



(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم في علاج حكة)

الجسم وما يولد القمل

جاء فى الصحيحين من حديث قتادة عن انس بن مالك قال رخص رسول صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام رضي الله تعالى عنهما في لبس الحرير لحكة كانت بهما . وفى رواية ان عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام رضي الله تعالى عنهما شكوا القمل الى النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة لهما فرخص لهما في قمص الحرير ورأيته عليهما. هذا الحديث يتعلق به امران . احدهما فقهى والآخر طبى فاما الفقهي فالذي استقرت عليه سنته صلى الله عليه وسلم اباحة الحرير للنساء مطلقا وتحريمه على الرجال الا لحاجة او مصلحة راجحة فالحاجة امامن شدة البرد ولايجد غيره او لا يجد سترة سواه ومنها لباسه للجرب والمرض والحكة وكثرة القمل كما دل عليه حديث انس هذا الصحيح والجواز اصح الروايتين عن الأمام احمد واصح قولي الشافعى اذا الاصل عدم التخصيص والرخصة اذا ثبتت في حق بعض الامة لمعنى تعدت الى كل من وجد فيه ذلك المعنى اذا الحكم يعم بعموم سببه . ومن منع منه قال احاديث التحريم عامة واحاديث الرخصة يحتمل اختصاصها بعبدالرحمن بن عوف والزبير ويحتمل تعديها الى غيرهما واذا احتمل الأمران كان الأخذ بالعموم اولى ولهذا قال بعض الرواة في هذا الحديث فلا ادرى ابلغت الرخصة من بعدهما ام لا والصحيح عموم الرخصة فانه عرف خطاب الشرع في ذلك مالم يصرح بالتخصيص وعدم الحاق غير من رخص له اولاً به كقوله لأبي بردة تجزيك وان تجزى عن احد بعدك وكقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في نكاح من وهبت نفسها له خالصة لك من دون المؤمنين . وتحريم الحرير انما كان سداً للذريعة ولهذا ابيح

للنساء وللحاجة والمصلحة الراجحة مـا حرم لسد الذرائع فانه يباح عند الحاجة والمصلحة الراجحة كما حرم النظر سداً لذريعة الفعل وابيح منه ماتدعو اليه الحاجة والمصلحة الراجحة . وكما حرم التنفل بالصلاة في اوقات النهي سداً لذريعة المشابهة الصورية بعباد الشمس وابيحت للمصلحة الراجحة وكما حرم ربا الفضل سداً لذريعة ربا النسيئة وابيح منه ماتدعو اليه الحاجة من العرايا وقد اشبعنا الكلام فيما يحل ويحرم من لباس الحرير في كتاب التحبير لما يحل ويحرم من لباس الحرير

(فصل) واما الأمر الطبي فهو ان الحرير من الأدوية المتخذة من الحيوان ولذلك يعد في الأدوية الحيوانية لان مخرجه من الحيوان وهو كثير المنافع جليل الموقع ومن خاصيته تقوية القلب وتفريحه والنفع من كثير من امراضه ومن غلبة المرة السوداء والأدواء الحادثة عنها وهو مقو للبصر اذا اكتحل به والخام منه وهو المستعمل في صناعة الطب حار يابس في الدرجة الاولى وقيل حار رطب فيها وقيل معتدل واذا اتخذ منه ملبوس كان معتدل الحرارة فى مزاجه مسخنا للبدن وربما برد البدن بتسمينه اياه قال الرازي الا بريسم اسخن من الكتان وابرد من القطن يربي اللحم وكل لباس خشن فانه يهزل ويصلب البشرة وبالعكس . قلت والملابس ثلاثة اقسام قسم يسخن البدن ويدفئه وقسم يدفئه ولايسخنه وقسم لايسخنه ولا يدفئه وليس هناك ما يسخنه ولايدفئه اذ مايسخنه فهو اولي بتدفئته فملابس الأوبار والاصواف تسخن وتدفئ وملابس الكتان والحرير والقطن تدفئ ولا تسخن فثياب الكتان باردة يابسة وثياب الصوف حارة يابسة وثياب القطن معتدلة الحرارة وثياب الحرير الين من القطن واقل حرارة منه . قال صاحب المنهاج ولبسه لا يسخن كالقطن

بل هو معتدل وكل لباس املس صقيل فانه اقل اسخانا للبدن واقل عونا في تحلل ما يتحلل منه واحرى ان يلبس في الصيف وفى البلاد الحارة. ولما كانت ثياب الحرير كذلك وليس فيها شيء من اليبس والخشونة الكائنتين فى غيرها صارت نافعة من الحكة اذا الحكة لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة فلذلك رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير وعبد الرحمن في لباس الحرير لمداواة الحكة وثياب الحرير ابعد عن تولد القمل فيها اذ كان مزاجها مخالفا لمزاج ما يتولد منه القمل. واما القسم الذي لا يدفئ ولا يسخن فالمتخذ من الحديد والرصاص والخشب والتراب ونحوها. فان قيل فاذا كان لباس الحرير اعدل اللباس واوفقه للبدن فلماذا حرمته الشريعة الكاملة الفاضلة التى اباحت الطيبات وحرمت الخبائث قيل هذا السؤآل يجيب عنه كل طائفة من طوائف المسلمين بجواب فمنكرو الحكم والتعليل لما رفعت قاعدة التعليل من اصلها لم تحتج الى جواب عن هذا السؤال ومثبتو التعليل والحكم وهم الاكثرون منهم من يجيب عن هذا بأن الشريعة حرمته لتصبر النفوس عنه وتتركه لله فتثاب على ذلك لاسيما ولها عوض عنه بغيره. ومنهم من يجيب عنه بأنه خلق فى الاصل للنساء كالحلية بالذهب فحرم على الرجال لما فيه من مفسدة تشبه الرجال بالنساء. ومنهم من قال حرم لما يورثه من الفخر والخيلاء والعجب ومنهم من قال حرم لما يورثه للبدن لملاسته من الأنوثية والتخنث وضد الشهامة والرجولية فان لبسه يكسب القلب صفة من صفات الأناث ولهذا لا تكاد تجد من يلبسه في الاكثر الا وعلى شمائله من التخنث والتأنث والرخاوة مالا يخفى حتي لوكان من شهم الناس واكثرهم فحولية ورجولية فلا بد ان ينقصه لبس الحرير منها وان لم يذهبها. ومن غلظت طباعه وكثفت عن فهم هذا فليسلم للشارع الحكيم ولهذا كان اصح القولين انه يحرم

على الولي ان يلبسه الصبي لما ينشأ عليه من صفات اهل التأنيث . وقد روى النسائي من حديث ابى موسى الأشعرى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله احل لأناث امتي الحرير والذهب وحرمه على ذكورها وفي لفظ حرم لباس الحرير والذهب على ذكور امتى واحل لأناثهم وفي صحيح البخارى عن حذيفة قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبس الحرير والديباج وان يجلس عليه وقال هو لهم في الدنيا ولكم في الآخرة.

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج ذات الجنب)

روى الترمذي في جامعه من حديث زيد بن ارقم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تداووا من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت . ذات الجنب عند الأطباء نوعان حقيقي وغير حقيقي فالحقيقي ورم حار يعرض في نواحى الجنب في الغشاء المستبطن للأضلاع وغير الحقيقي ألم يشبهه يعرض فى نواحى الجنب عن رياح غليظة مؤذية تحتقن بين الصفاقات فتحدث وجعا قريبا من وجع ذات الجنب الحقيقى الا ان الوجع فى هذا القسم ممدود وفى الحقيقي ناخس. قال صاحب القانون قد يعرض فى الجنب والصفاقات والعضل التى في الصدر والاضلاع ونواحيها اورام مؤذية جدا موجعة تسمى شوصة وبرساما وذات الجنب وقد تكون ايضا اوجاعا في هذه الأعضاء ليست من ورم ولكن من رياح غليظة فيظن انها من هذه العلة ولا تكون . قال واعلم ان كل وجع في الجنب قد يسمى ذات الجنب اشتقاقا من مكان الألم لأن معنى ذات الجنب صاحبة الجنب والغرض به ههنا وجع الجنب فاذا عرض في الجنب ألم عن اي سبب كان نسب اليه وعليه حمل كلام بقراط فى قوله ان اصحاب ذات الجنب ينتفعون بالحمام وقيل المراد به كل من به وجع جنب او وجع رئة من سوء مزاج اومن

اخلاط غليظة او لذاعة من غير ورم ولا حمى . قال بعض الأطباء واما معنى ذات الجنب فى لغة اليونان فهو ورم الجنب الحار وكذلك ورم كل واحد من الأعضاء الباطنة وانما سمى ذات الجنب ورم ذلك العضو اذا كان ورما حارا فقط .
ويلزم ذات الجنب الحقيقي خمسة اعراض وهي الحمى والسعال والوجع الناخس وضيق النفس والنبض المنشارى والعلاج الموجود فى الحديث ليس هو لهذا القسم لكن للقسم الثاني الكائن عن الريح الغليظة فان القسط البحرى وهو العود الهندي على ما جاء مفسرا فى احاديث أخر صنف من القسط اذا دق دقا ناعما وخلط بالزيت المسخن ودُلكَ به مكان الريح المذكور او لعق كان دواء موافقا لذلك نافعا له محللا لمادته مذهبا لها مقويا للأعضاء الباطنة مفتحا للسدد والعود المذكور فى منافعه كذلك قال المسيحى العود حار يابس قابض يحبس البطن ويقوى الأعضاء الباطنة ويطرد الريح ويفتح السدد نافع من ذات الجنب ويذهب فضل الرطوبة . والعود المذكور جيد للدماغ قال ويجوز ان ينفع القسط من ذات الجنب الحقيقية ايضا اذا كان حدوثها عن مادة بلغمية لاسيما في وقت انحطاط العلة والله اعلم .
وذات الجنب من الأمراض الخطرة وفي الحديث الصحيح عن ام سلمة انها قالت بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرضه في بيت ميمونة وكان كلما خف عليه خرج وصلى بالناس وكان كلما وجد ثقلا قال مروا ابا بكر فليصل بالناس . واشتد شكواه حتى غُمر ومن شدة الوجع اجتمع عنده نساؤه وعمه العباس وام الفضل بنت الحرث واسماء بنت عميس فتشاوروا في لده فلدوه وهو مغمور فلما افاق قال من فعل بى هذا هذا من عمل نساء جئن من ههنا واشار بيده الى ارض الحبشة وكانت سلمة واسماء لدتاه فقالوا يارسول الله خشينا ان يكون بك ذات الجنب قال فبم لددتموني قالوا بالعود الهندى وشيء من ورس وقطران

من زيت فقال ما كان الله ليقذفني بذلك الداء ثم قال عزمت عليكم ان لا يبقى في البيت احد الا لُدَّ الا عمي العباس. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لددنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار ان لا تلدوني فقلنا كراهية المريض للدواء فلما أفاق قال الم انهكم ان لا تلدوني لا يبقى منكم احد الا لد غير عمي العباس فانه لم يشهدكم. قال ابو عبيد عن الاصمعي اللدود ما يسقي الانسان في احد شقي الفم اخذ من لديدي الوادي وهما جانباه واما الوجور فهو في وسط الفم. قلت واللَّدود بالفتح هو الدواء الذي يلد به والسعوط ما ادخل من انفه. وفي هذا الحديث من الفقه معاقبة الجاني بمثل ما فعل سواء اذا لم يكن فعله محرما لحق الله وهذا هو الصواب المقطوع به لبضعة عشر دليلا قد ذكرناها في موضع آخر وهو منصوص احمد وهو ثابت عن الخلفاء الراشدين وترجمة المسئلة بالقصاص في اللطمة والضربة وفيها عدة احاديث لا معارض لها البتة فيتعين القول بها.

فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج الصداع والشقيقة

روى ابن ماجه في سننه حديثا في صحته نظر وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صدع غلف رأسه بالحناء ويقول انه نافع باذن الله من الصداع. والصداع الم في بعض اجزاء الرأس لازما يسمى شقيقة وان كان شاملا لجميعه لازما يسمى بيضة وخودة تشبيها ببيضة السلاح التي تشتمل على الرأس كله وربما كان في مؤخر الرأس او في مقدمه. وانواعه كثيرة واسبابه مختلفة وحقيقة الصداع سخونة الرأس واحتماؤه لما دار فيه من البخار الذي يطلب النفوذ من الرأس فلا يجد منفذا فيصدعه كما يصدع الوعاء اذا حمي ما فيه وطلب النفوذ. فكل شيء رطب اذا اذا حمي طلب مكانا اوسع من مكانه الذي كان فيه فاذا عرض هذا البخار في

الراس كله بحيث لا يمكنه التفشى والتحلل وجال فى الرأس سمي السدر . وجال والصداع يكون عن اسباب عديدة . احدها من غلبة واحدة من الطبائع الاربعة والخامس يكون من قروح تكون فى المعدة فيألم الرأس لذلك الورم للاتصال من العصب المنحدر من الرأس بالمعدة . والسادس من ريح غليظة تكون في المعدة فتصعد الى الرأس فتصدعه . والسابع يكون من ورم فى عروق المعدة فيألم الرأس بألم المعدة للاتصال الذى بينهما . والثامن صداع يحصل من امتلاء المعدة من الطعام ثم ينحدر ويبقى بعضه نيأ فيصدع الرأس ويثقله . والتاسع يعرض بعد الجماع لتخلخل الجسم فيصل اليه من حر الهواء اكثر من قدره . والعاشر صداع يحصل بعد القيء والاستفراغ اما لغلبة اليبس واما لتصاعد الابخرة من المعدة اليه . والحادي عشر صداع يعرض عن شدة الحر وسخونة الهواء . والثانى عشر ما يعرض من شدة البرد وتكاثف الأبخرة في الراس وعدم تحللها . والثالث عشر ما يحدث من السهر وحبس النوم . والرابع عشر مايحدث من ضغط الرأس وحمل الشى الثقيل عليه . والخامس عشر ما يحدث من كثرة الكلام فتضعف قوة الدماغ لأجله . والسادس عشر ما يحدث من كثرة الحركة والرياضة المفردة والسابع عشر مايحدث من الأعراض النفسانية كالهموم والغموم والأحزان والوسواس والأفكار الرديئة . والثامن عشر ما يحدث من شدة الجوع فان الابخرة لا تجد ما تعمل فيه فتكثر وتتصاعد الى الدماغ فتؤلمه . والتاسع عشر مايحدث من ورم في صفاق الدماغ ويجد صاحبه كأنه يضرب بالمطارق على رأسه . والعشرون ما يحدث بسبب الحمى لأشتغال حرارتها فيه فيتألم والله اعلم

(فصل) وسبب صداع الشقيقة مادة فى شرايين الرأس وحدها حاصلة فيها اومرتقية اليها فيقبلها الجانب الاضعف من جانبيه وتلك المادة اما بخارية واما

اخلاط حارة او باردة وعلامتها الخاصة بها ضربان الشرايين وخاصة في الدموى
واذا ضبطت بالعصائب ومنعت الضربان سكن الوجع. وقد ذكر ابو نعيم في
كتاب الطب النبوي له ان هذا النوع كان يصيب النبي صلى الله عليه وسلم
فيمكث اليوم و اليومين ولا يخرج. وفيه عن ابن عباس قال خطبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد عصب رأسه بعصابة وفي الصحيح انه قال في مرض
موته وارأساه وكان يعصب رأسه في مرضه وعصب الرأس ينفع في وجع
الشقيقة وغيرها من اوجاع الرأس.

(فصل) وعلاجه يختلف باختلاف انواعه واسبابه فمنه ما علاجه بالأستفراغ
ومنه ماعلاجه بتناول الغذاء ومنه ماعلاجه بالسكون والدعة ومنه ما علاجه
بالضمادات ومنه ما علاجه بالتبريد ومنه ما علاجه بالتسخين ومنه ما علاجه
بان يجتنب سماع الأصوات والحركات اذا عرف هذا فعلاج الصداع في هذا
الحديث بالحناء هو جزئي لا كلي وهو علاج نوع من انواعه فان الصداع اذا
كان من حرارة ملتهبة ولم يكن من مادة يجب استفراغها نفع فيه الحناء نفعاً ظاهرا
واذا دق وضمدت به الجبهة مع الخل سكن الصداع وفيه قوة موافقة للعصب
اذا ضمد به سكن اوجاعه وهذا لايختص بوجع الرأس بل يعم الأعضاء وفيه
قبض تشد به الاعضاء واذا ضمد به موضع الورم الحار والملتهب سكنه .
وقد روى البخاري فى تاريخه وابو داود في السنن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما شكى اليه احد وجعاً في رأسه الا قال احتجم ولا شكى اليه وجعا فى رجليه
الا قال له اختضب بالحناء وفي الترمذى عن سلمى ام رافع خادمة النبى صلى
الله عليه وسلم قالت كان لايصيب النبي صلى الله عليه وسلم قرحة ولاشوكة
الا وضع عليها الحناء.

(فصل) والحناء بارد فى الأولى يابس فى الثانية وقوة شجر الحناء واغصانها مركبة من قوة محللة اكتسبتها من جوهر فيها مائي حار باعتدال ومن قوة قابضة اكتسبتها من جوهر فيها ارضي بارد. ومن منافعه انه محلل نافع من حرق النار وفيه قوة موافقة للعصب اذا ضمد به وينفع اذا مضغ من قروح الفم والسلاق العارض فيه ويبرئ القلاع الحادث فى افواه الصبيان والضماد به ينفع من الأورام الحارة الملهبة ويفعل فى الخراجات فعل دم الأخوين واذا خلط نوره مع الشمع المصفى ودهن الورد ينفع من اوجاع الجنب. ومن خواصه انه اذا بدا الجدري يخرج بصبي فخضبت اسافل رجليه بحناء فانه يؤمن على عينيه ان يخرج فيها شيء منه وهذا صحيح مجرب لاشك فيه واذا جعل نوره بين طي ثياب الصوف طيبها ومنع السوس عنها واذا نقع ورقه فى ماء عذب يغمره ثم عصر وشرب من صفوه اربعون يوما كل يوم عشرون درهما مع عشرة دراهم سكر ويغذى عليه بلحم الضأن الصغير فانه ينفع من ابتداء الجذام بخاصية فيه عجيبة. وحكى ان رجلا تشققت اظافير اصابع يده وانه بذل لمن يبرئه مالا فلم يجد فوصفت له امرأة ان يشرب عشرة ايام حناء فلم يقدم عليه ثم نقعه بماء وشربه فبرأ ورجعت اظافيره الى حسنها. والحناء اذا الزمت به الاظفار معجونا حسنها ونفعها واذا عجن بالسمن وضمد به بقايا الأورام الحارة التي ترشح ماءً اصفر نفعها ونفع من الجرب المتقرح المزمن منفعة بليغة وهو ينبت الشعر ويقويه ويحسنه ويقوى الرأس وينفع من النفاطات والبثور العارضة فى الساقين والرجلين وسائر البدن .

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) فى معالجة المرضى بترك اعطائهم مايكرهونه من الطعام والشراب وانهم لا يكرهون على تناولهما. روى الترمذي فى جامعه وابن ماجه عن عقبة بن عامر الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فان الله عز وجل يطعمهم ويسقيهم
قال بعض فضلاء الأطباء ما اغزر فوائد هذه الكلمة النبوية المشتملة على حكم
آلهية لا سيما للأطباء ولمن يعالج المرضى وذلك ان المريض اذا عاف الطعام او
الشراب فذلك لأشتغال الطبيعة بمجاهدة المرض او لسقوط شهوته او نقصانها
لضعف الحرارة الغريزية او خمودها وكيفما كان فلا يجوز حينئذ اعطاء الغذاء فى
هذه الحالة. واعلم ان الجوع انما هو طلب الأعضاء للغذاء لتخلف الطبيعة به عليها
عوض ما يتحلل منها فتجذب الأعضاء القصوى من الأعضاء الدنيا حتى ينتهى
الجذب الى المعدة فيحس الانسان بالجوع فيطلب الغذاء واذا وجد المرض
اشتغلت الطبيعة بمادته وانضاجها واخراجها عن طلب الغذاء او الشراب فاذا
اكره المريض على استعمال شيء من ذلك تعطلت به الطبيعة عن فعلها واشتغلت
بهضمه وتدبيره عن انضاج مادة المرض ودفعه فيكون ذلك سببا لضرر المريض
ولاسيما فى اوقات البحارين اوضعف الحار الغريزي او خموده فيكون ذلك زيادة
فى البلية وتعجيل النازلة المتوقعة ولا ينبغي ان يستعمل فى هذا الوقت والحال
الا ما يحفظ عليه قوته ويقويها من غير استعمال مزعج للطبيعة البتة وذلك يكون
بما لطف قوامه من الأشربة والأغذية واعتدال مزاجه كشراب الينوفر والتفاح
والورد الطري وما اشبه ذلك ومن الأغذية امراق الفراريج المعتدلة المطيبة فقط
وانعاش قواه بالأراييج العطرة الموافقة والاخبار السارة فان الطبيب خادم
الطبيعة ومعينها لا معيقها. واعلم ان الدم الجيد هو المغذى للبدن وان البلغم دم
فج قد نضج بعض النضج فاذا كان بعض المرضى في بدنه بلغم كثير وعدم الغذاء
عطفت الطبيعة عليه وطبخته وانضجته وصيرته دما وغذت به الأعضاء واكتفت
به عما سواه والطبيعة هو القوة التى وكلها الله سبحانه بتدبير البدن وحفظه

وصحته وحراسته مدة حياته .
واعلم انه قد يحتاج في الندرة الى اجبار المريض على الطعام والشراب وذلك في الأمراض التي يكون معها اختلاط العقل وعلى هذا فيكون الحديث من العام المخصوص او من المطلق الذى قد دل على تقييده دليل . ومعنى الحديث ان المريض قد يعيش بلا غذاء اياماً لا يعيش الصحيح في مثلها وفي قوله صلى الله الله عليه وسلم فأن الله يطعمهم ويسقيهم معنى لطيف زائد على ما ذكره الأطباء لا يعرفه الا من له عناية باحكام القلوب والأرواح وتأثيرها في طبية البدن وانفعال الطبيعة عنها كما تنفعل هي كثيرا عن الطبيعة ونحن نشير اليه اشارة فنقول النفس اذا حصل لها ما يشغلها من محبوب اومكروه او مخوف اشتغلت به عن طلب الغذاء والشراب فلا تحس بجوع ولا عطش بل ولا حر ولا برد بل تشتغل به عن الأحساس بالمؤلم الشديد الألم فلا تحس به وما من احد الا وقد وجد في نفسه ذلك او شيئا منه واذا اشتغلت النفس بما دهمها وورد عليها لم تحس بألم الجوع فأن كان الوارد مفرحاً قوي التفريح قام لها مقام الغذاء فشبعت به وانتعشت قواها وتضاعفت وجرت الدموية في الجسد حتى تظهر في سطحه فيشرق وجهه وتظهر دمويته فان الفرح يوجب انبساط دم القلب فينبعث في العروق فتمتلئ به فلا تطلب الأعضاء معلومها من الغذاء المعتاد لأشتغالها بما هو احب اليها والى الطبيعة منه والطبيعة اذا ظفرت بما تحب آثرته على ما هو دونه وان كان الوارد مؤلما او محزنا او مخوفا اشتغلت بمحاربته ومقاومته ومدافعته عن طلب الغذاء فهي في حال حربها في شغل عن طلب الطعام والشراب فان ظفرت في هذا الحرب انتعشت قواها واختلفت عليها نظير ما فاتها من قوة الطعام والشراب وان كانت مغلوبة مقهورة انحطت قواها بحسب ما حصل لها من ذلك . وان كانت

الحرب بينها وبين هذا العدو سجالا فالقوة تظهر تارة وتخفى اخرى وبالجملة فالحرب بينهما على مثال الحرب الخارج بين العدوين المتقابلين والنصر للغالب والمغلوب اما قتيل واما جريح واما اسير فالمريض له مدد من الله تعالى يغذيه به زائداً على ما ذكره الأطباء من تغذيته بالدم وهذا المدد بحسب ضعفه وانكساره وانطراحه بين يدي ربه عز وجل فيحصل له من ذلك ما يوجب له قربا من ربه فان العبد اقرب ما يكون من ربه اذا انكسر قلبه ورحمة ربه قريبة منه فان كان ولياً له حصل له من الأغذية القلبية ما تقوى به قوى طبيعته وتنتعش به قواه اعظم من قوتها وانتعاشها بالأغذية البدنية وكلما قوى ايمانه وحبه لربه وانسه به وفرحه به وقوي يقينه بربه واشتد شوقه اليه ورضاه به وعنه وجد في نفسه من هذه القوة مالا يعبر عنه ولا يدركه وصف طبيب ولا يناله علمه.

ومن غلظ طبعه وكثفت نفسه عن فهم هذا والتصديق به فلينظر حال كثير من عشاق الصور الذين قد امتلأت قلوبهم بحب ما يعشقونه من صورة او جاه او مال او علم وقد شاهد الناس من هذا عجائب في انفسهم وفى غيرهم. وقد ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يواصل في الصيام ذوات العدد وينهي اصحابه عن الوصال ويقول لست كهيأتكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني ومعلوم ان هذا الطعام والشراب ليس هو الطعام الذي يأكله الأنسان بفمه والا لم يكن مواصلا ولم يتحقق الفرق بل لم يكن صائما فأنه قال أظل يطعمني ربي ويسقيني وايضا فانه فرق بينه وبينهم فى نفس الوصال وانه يقدر منه علي مالا يقدرون عليه فلو كان يأكل ويشرب بفمه لم يقل لست كهيأتكم وانما فهم من هذا من الحديث من قل نصيبه من غذاء الأرواح والقلوب وتأثيره في القوة وانعاشها واغتذائها به فوق تأثير الغذاء الجسماني والله الموفق

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج العذرة)
﴿ وفي العلاج بالسعوط ﴾

ثبت في الصحيحين انه قال خير ما تداويتم به الحجامة والقسط البحرى ولا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة وفي السنن والمسند عنه من حديث جابر بن عبدالله قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة وعندها صبي تسيل منخراه دما فقال ماهذا فقالوا به العذرة او وجع في رأسه فقال ويلكن لا تقتلن اولادكن ايما امرأة اصاب ولدها عذرة او وجع في رأسه فلتأخذ قسطا هنديا فلتحكه بماء ثم تسعطه اياه فامرت عائشة رضي الله عنها فصنع ذلك بالصبي فبرأ. قال ابو عبيد عن ابي عبيدة العذرة تهيج في الحلق من الدم فاذا عولج منه قيل قد عذر به فهو معذور انتهى. وقيل العذرة قرحة تخرج فيما بين الأذن والحلق وتعرض للصبيان غالبا واما نفع السعوط منها بالقسط المحكوك فلأن العذرة مادتها دم يغلب عليه البلغم لكن تولده في ابدان الصبيان وفي القسط تجفيف يشد اللهاة ويرفعها الى مكانها وقد يكون نفعه في هذا الداء بالخاصية وقد ينفع في الأدواء الحارة والأدوية الحارة بالذات تارة وبالعرض اخرى. وقد ذكر صاحب القانون في معالجة سقوط اللهاة القسط مع الشب اليماني وبزر المرو والقسط البحرى المذكور في الحديث فهو العود الهندى وهو الابيض منه وهو حلو وفيه منافع عديدة وكانوا يعالجون اولادهم بغمز اللهاة وبالعلاق وهو شيء يعلقونه على الصبيان فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وارشدهم الى ما هو انفع للأطفال واسهل عليهم. والسعوط ما يصب في الأنف وقد يكون بأدوية مفردة ومركبة تدق وتنخل وتعجن وتجفف ثم تحل عند الحاجة ويسعط بها في انف الانسان وهو مستلق على ظهره وبين كتفيه ما يرفعهما لينخفض رأسه

فيتمكن السعوط من الوصول الى دماغه ويستخرج مافيه من الداء بالعطاس وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم التداوي بالسعوط فيما يحتاج اليه فيه وذكر ابو داود في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم استعط .

فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم في علاج المفؤد

روي ابو داود في سننه من حديث مجاهد عن سعد قال مرضت مرضاً فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي وقال لى انك رجل مفؤد فأت الحرث بن كلدة من ثقيف فأنه رجل يتطبب فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليلجاًهن بنواهن ثم ليدلك بهن المفؤد الذي اصيب فؤاده فهو يشتكيه كالمبطون الذى يشتكى بطنه واللدود ما يسقاه الانسان من احد جانبي الفم وفى التمر خاصية عجيبة لهذ الداء ولا سيما تمر المدينة ولا سيما العجوة منه وفى كونها سبعا خاصية اخري تدرك بالوحي. وفى الصحيحين من حديث عامر بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصبح بسبع تمرات من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر وفى لفظ من اكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره سم حتى يمسى. والتمر حار فى الثانية يابس فى الأولى وقيل رطب فيها وقيل معتدل وهو غذاء فاضل حافظ للصحة لا سيما لمن اعتاد الغذاء به كأهل المدينة وغيرهم وهو من افضل الأغذية في البلاد الباردة والحارة التي حرارتها فى الدرجة الثانية وهو لهم انفع منه لأهل البلاد الباردة لبرودة بواطن سكانها وحرارة بواطن سكان البلاد الباردة ولذلك يكثر اهل الحجاز واليمن والطايف وما يليهم من البلاد المشابهة لها من الأغذية الحارة ما لا يتأتى لغيرهم كالتمر والعسل وشاهدناهم يضعون فى اطعمتهم من الفلفل والزنجبيل فوق

ما يضره غيرهم نحو عشرة اضعاف او اكثر ويأكلون الزنجبيل كما يأكل غيرهم الحلوى ولقد شاهدت من ينتقل به منهم كما ينتقل بالنقل ويوافقهم ذلك ولا يضرهم لبرودة اجوافهم وخروج الحرارة الى ظاهر الجسد كما تشاهد مياه الآبار تبرد في الصيف وتسخن في الشتاء وكذلك تنضج المعدة من الأغذية الغليظة في الشتاء ما لا تنضجه في الصيف. واما اهل المدينة فالتمر لهم يكاد ان يكون بمنزلة الحنطة لغيرهم وهو قوتهم ومادتهم. وتمر العالية من اجود اصناف تمرهم فانه متين الجسم لذيذ الطعم صادق الحلاوة. والتمر يدخل فى الأغذية والأدوية والفاكهة وهو يوافق اكثر الأبدان مقو للحار الغريزى ولا يتولد عنه من الفضلات الرديئة ما يتولد عن غيره من الأغذية والفاكهة بل يمنع لمن اعتاده من تعفن الأخلاط وفسادها. وهذا الحديث من الخطاب الذى اريد به الخاص كأهل المدينة ومن جاورهم ولا ريب ان للأمكنة اختصاصا ينفع كثير من الأدوية في ذلك المكان دون غيره فيكون الدواء الذى قد نبت في هذا المكان نافعا من الداء ولا يوجد فيه ذلك النفع اذا نبت فى مكان غيره لتأثير نفس التربة او الهواء او هما جميعاً فأن للأرض خواص وطبائع يقارب اختلافها اختلاف طبائع الانسان. وكثير من النبات يكون فى بعض البلاد غذاء مأكولا وفى بعضها سماً قاتلا ورب ادوية لقوم اغذية لآخرين وادوية لقوم من امراض هي ادوية لآخرين فى امراض سواها وادوية لأهل بلاد لا تناسب غيرهم ولا تنفعهم. واما خاصية السبع فانها قد وقعت قدرا وشرعا فخلق الله عز وجل السموات سبعا والأرضين سبعا والأيام سبعا والأنسان كمل خلقه فى سبعة اطوار وشرع الله لعباده الطواف سبعا والسعي بين الصفا والمروة سبعا ورمي الجمار سبعا سبعا وتكبيرات العيدين سبعا في الأولى. وقال صلى الله عليه وسلم مروه بالصلاة لسبع واذا صار للغلام سبع سنين خير

بين ابو يه فى رواية وفى رواية اخرى ابوه احق به من امه وفي ثالثة امه احق به
وامر النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه ان يصب عليه من سبع قرب وسخر الله
الريح على قوم عاد سبع ليال ودعا النبى صلى الله عليه وسلم ان يعينه الله على
قومه بسبع كسبع يوسف ومثل الله سبحانه ما يضاعف به صدقة المتصدق بحبة
انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والسنابل التي رآها صاحب يوسف سبعا
والسنين الذى زرعوها دأبا سبعا وتضاعف الصدقة الى سبعمائة ضعف الى اضعاف
كثيرة ويدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب سبعون الفا. فلا ريب ان لهذا
العدد خاصية ليست لغيره والسبعة جمعت معانى العدد كله وخواصه فان العدد شفع
اول وثان ووتر اول وثان ولا تجتمع هذه المراتب في اقل من سبعة وهي عدد
كامل جامع لمراتب العدد الأربعة اعنى الشفع والوتر والأوائل والثوانى ويعنى بالوتر
الأول الثلاثة وبالثاني الخمسة وبالشفع الأول الاثنين وبالثانى الأربعة. وللاطباء اعتناء
عظيم بالسبعة ولاسيما في البحارين وقد قال بقراط كل شيء فى هذا العالم فهو مقدر
على سبعة اجزاء والنجوم سبعة والأيام سبعة واسنان الناس سبعة اولها طفل الى سبع
ثم صبي الى اربع عشرة ثم مراهق ثم شاب ثم كهل ثم شيخ ثم هرم الى منتهى
العمر والله تعالى اعلم بحكمته وشرعه وقدره فى تخصيص هذا العدد هل هو
لهذا المعنى او لغيره. ونفع هذا العدد من هذا التمر من هذا البلد من هذه البقعة
بعينها من السم والسحر بحيث تمنع اصابته من الخواص التى لو قالها ابقراط وجالينوس
وغيرهما من الأطباء لتلقاها عنهم الأطباء بالقبول والأذعان والأنقياد مع ان القائل
انما معه الحدس والتخمين والظن فمن كلامه كله يقين وقطع وبرهان ووحي أولى
ان تتلقى اقواله بالقبول والتسليم وترك الأعتراض. وادوية السموم تارة تكون
بالخاصية كخواص كثير من الأحجار والجواهر واليواقيت والله اعلم.

(فصل) ويجوز نفع التمر المذكور في بعض السموم فيكون الحديث من العام المخصوص ويجوز نفعه لخاصية تلك البلد وتلك التربة الخاصة من كل سم ولكن ههنا امر لابد من بيانه وهو ان من شرط انتفاع العليل بالدواء قبوله واعتقاده النفع به فتقبله الطبيعة فتستعين به على دفع العلة حتى ان كثيراً من المعالجات تنفع بالأعتقاد وحسن القبول وكمال التلقي وقد شاهد الناس من ذلك عجائب وهذا لأن الطبيعة يشتد قبولها له وتفرح النفس به فتنتعش القوة ويقوى سلطان الطبيعة وينبعث الحار الغريزي فيساعد على دفع المؤذي وبالعكس يكون كثير من الأدوية نافعا لتلك العلة فيقطع عمله سوء اعتقاد العليل فيه وعدم أخذ الطبيعة له بالقبول فلا تجدي عليها شيئا واعتبر هذا بأعظم الأدوية والأسقية وانفعها للقلوب والأبدان والمعاش والمعاد والدنيا والآخرة وهو القرآن الذى هو شفاء من كل داء كيف لاينفع القلوب التى لا تعتقد فيه الشفاء والنفع بل لا يزيدها الا مرضا على مرضها وليس لشفاء القلوب دواء قط انفع من القرآن فانه شفائها التام الكامل الذى لايغادر فيها سقما الا ابرأه ويحفظ عليها صحتها المطلقة ويحميها الحمية التامة من كل مؤذ ومضر ومع هذا فأعراض اكثر القلوب عنه وعدم اعتقادها الجازم الذى لاريب فيه انه كذلك وعدم استعماله والعدول عنه الى الأدوية التى ركبها بنو جنسها. حال بينها وبين الشفاء به وغلبت العوائد واشتد الأعراض وتمكنت العلل والأدواء المزمنة من القلوب وتربى المرضى والاطباء على علاج بني جنسهم وما وصفه لهم شيوخهم ومن يعظمونه ويحسنون به ظنونهم فعظم المصاب واستحكم الدواء وتركبت امراض وعلل اعيا عليهم علاجها وكلما عالجوها بتلك العلاجات الحادثة تفاقم امرها وقويت ولسان الحال ينادي عليهم

ومن العجائب والعجائب جمة * قرب الشفاء وما اليه وصول

كالعيس في البيداء يقتلها الظما * والماء فوق ظهورها محمول

فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في دفع ضرر الأغذية والفاكهة (واصلاحها بما يدفع ضررها ويقوى نفعها)

ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن جعفر قال رأيت رسول الله صلى عليه وسلم يأكل الرُطب بالقثاء. والرُطب حار رطب في الثانية يقوى المعدة الباردة ويوافقها ويزيد في الباه ولكنه سريع التعفن معطش معكر للدم مصدع مولد السدد ووجع المثانة ومضر بالأسنان والقثاء بارد رطب في الثانية مسكن للعطش منعش للقوى بشمه لما فيه من العطرية مطفئ لحرارة المعدة الملتهبة واذا جفف بزره ودق واستحلب بالماء وشرب سكن العطش وأدر البول ونفع من وجع المثانة. واذا دق ونخل ودلك به الأسنان جلاها واذا دق ورقه وعمل منه ضماد مع الميفختج نفع من عضة الكلب الكَلِب. وبالجملة فهذا حار وهذا بارد وفى كل منهما صلاح الآخر وازالة لأكثر ضرره ومقاومة كل كيفية بضدها ودفع سورتها بالأخرى. وهذا اصل العلاج كله وهو اصل في حفظ الصحة بل علم الطب كله يستفاد من هذا وفي استعمال ذلك وامثاله في الأغذية والأدوية اصلاح لها وتعديل ودفع لما فيها من الكيفيات المضرة لما يقابلها وفي ذلك عون على صحة البدن وقوته وخصبه. قالت عائشة رضي الله عنها سمنوني بكل شيئ فلم اسمن فسمنوني بالقثاء والرطب فسمنت وبالجملة فدفع ضرر البارد بالحار والحار بالبارد والرطب باليابس واليابس بالرطب وتعديل احدهما بالآخر من ابلغ انواع العلاجات وحفظ الصحة. ونظير هذا ما تقدم من امره بالسنا والسنوت وهو العسل الذى فيه شيئ من السمن يصلح به السنا ويعدله فصلوات الله وسلامه على من بعث بعمارة القلوب والأبدان وبمصالح الدنيا والآخرة.

فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في الحمية

الدواء كله شيآن حمية وحفظ صحة فاذا وقع التخليط احتيج الى الأستفراغ الموافق وكذلك مدار الطب كله على هذه القواعد الثلاث والحمية حميتان حمية عما يجلب المرض وحمية عما يزيده فيقف على حاله. فالأولى حمية الأصحاء والثانية حمية المرضى فان المريض اذا احتمى وقف مرضه عن التزايد واخذت القوي في دفعه والأصل في الحمية قوله تعالى (وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط اولامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) فحمى المريض من استعمال الماء لأنه يضره. وفي سنن ابن ماجه وغيره عن ام المنذر بنت قيس الأنصارية قالت دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عليّ وعليّ ناقه من مرض ولنا دوال معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل منها وقام علي يأكل منها فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى انك ناقه حتى كف. قالت وصنعت شعيراً وسلقا فجئت به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلى من هذا اصب فانه انفع لك. وفي لفظ فقال من هذا فاصب فانه اوفق لك. وفي سنن ابن ماجه ايضا عن صهيب قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال ادن فكل فاخذت تمرا فأكلت فقال اتأكل تمرا وبك رمد فقلت يارسول الله امضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي حديث محفوظ عنه صلى الله عليه وسلم ان الله اذا احب عبدا حماه من الدنيا كما يحمى احدكم مريضه عن الطعام والشراب وفي لفظ ان الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا. واما الحديث الدائر على السنة كثير من الناس الحمية رأس الدواء والمعدة بيت الداء وعودوا كل جسم ما اعتاد فهذا الحديث انما هو من كلام الحٰرث ابن كلدة طبيب العرب ولا يصح رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قاله غير

واحد من ائمة الحديث. ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا سقمت المعدة صدرت العروق بالسقم. وقال الحرث رأس الطب الحمية والحمية عندهم للصحيح فى المضرة بمنزلة التخليط المريض والناقه وانفع ما تكون الحمية للناقه من المرض فأن طبيعته لم ترجع بعد الى قوتها والقوة الهاضمة ضعيفة والطبيعة قابلة والأعضاء مستعدة فتخليطه يوجب انتكاسها وهو اصعب من ابتداء مرضه. واعلم ان فى منع النبي صلى الله عليه وسلم لعلى من الأكل من الدوالي وهو ناقه احسن من التدبير فان الدوالى اقناء من الرطب تعلق فى البيت للأكل بمنزلة عناقيد العنب والفاكهة تضر بالناقه من المرض لسرعة استحالتها وضعف الطبيعة عن دفعها فانها بعد لم تتمكن قوتها وهي مشغولة بدفع آثار العلة وازالتها من البدن. وفى الرطب خاصة نوع ثقل على المعدة فتشتغل بمعالجته واصلاحه عما هى بصدده من ازالة بقية المرض وآثاره فاما ان تقف تلك البقية واما ان تتزايد فلما وضع بين يديه السلق والشعير امره ان يصيب منه فانه من انفع الأغذية للناقه فان في ماء الشعير من التبريد والتغذية والتلطيف والتليين وتقوية الطبيعة ما هو اصلح للناقه ولا سيما اذا طبخ باصول السلق فهذا من اوفق الغذاء لمن فى معدته ضعف ولا يتولد عنه من الأخلاط ما يخاف منه. وقال زيد بن اسلم حمى عمر رضى الله عنه مريضا له حتى انه من شدة ما حماه كان يمص النوى. وبالجملة فالحمية من اكبر الأدوية قبل الداء فتمنع حصوله واذا حصل فتمنع تزايده وانتشاره

(فصل) ومما ينبغى ان يعلم ان كثيراً مما يحمى عنه العليل والناقه والصحيح اذا اشتدت الشهوة اليه ومالت اليه الطبيعة فتناول منه الشئ اليسير الذى لا تعجز الطبيعة عن هضمه لم يضره تناوله بل ربما انتفع به فان الطبيعة والمعدة

تتلقيانه بالقبول والمحبة فيصلحان ما يخشى من ضرره وقد يكون انفع من تناول ما تكرهه الطبيعة وتدفعه من الدواء ولهذا اقر النبي صلى الله عليه وسلم صهيبا وهو ارمد على تناول التمرات اليسيرة وعلم انها لا تضره. ومن هذا ما يروى عن علي انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ارمد وبين يدى النبي صلى الله عليه وسلم تمر يأكله فقال يا علي تشتهيه ورمى اليه بتمرة ثم بأخرى حتى رمى اليه سبعا ثم قال حسبك يا علي. ومن هذا ما رواه ابن ماجه في سننه من حديث عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم عاد رجلا فقال له ما تشتهى فقال اشتهى خبز بر وفي لفظ اشتهي كعكا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من كان عنده خبز بر فليبعث الى اخيه ثم قال اذا اشتهى مريض احدكم شيأ فليطعمه ففى هذا الحديث سر طبي لطيف فان المريض اذا تناول ما يشتهيه عن جوع صادق طبيعى وكان فيه ضررٌ ما كان انفع واقل ضررا مما لا يشتهيه وان كان نافعا في نفسه فان صدق شهوته ومحبة الطبيعة له تدفع ضرره وبغض الطبيعة وكراهتها المنافع قد يجلب لها منه ضررا وبالجملة فاللذيذ المشتهى تقبل الطبيعة عليه بعناية فتهضمه على احمد الوجوه سيما عند انبعاث اليه بصدق الشهوة وصحة القوة والله اعلم

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في علاج الرمد بالسكون والدعة وترك الحركة والحمية مما يهيج الرمد وقد تقدم ان النبى صلى الله عليه وسلم حمى صهيبا من التمر وانكر عليه اكله وهو ارمد وحمى عليا من الرطب لما اصابه الرمد. وذكر ابونعيم فى كتاب الطب النبوى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا رمدت عين امرأة من نسائه لم يأتها حتى تبرأ عينها. الرمد ورم حار يعرض في الطبقة الملتحمة من العين وهو بياضها الظاهر وسببه انصباب احد الاخلاط الأربعة او ريح حارة

تكثر كميتها في الرأس والبدن فينبعث منها قسط الى جوهر العين او ضربة تصيب العين فترسل الطبيعة اليها من الدم والروح مقدارا كثيرا تروم بذلك شفاءها مما عرض لها ولأجل ذلك يورم العضو المضروب والقياس يوجب ضده.
واعلم انه كما يرتفع من الارض الى الجو بخاران احدهما حار يابس والآخر حار رطب فينعقدان سحابا متراكما يمنعان ابصارنا من ادراك السماء فكذلك يرتفع من قعر المعدة الى منتهاها مثل ذلك فيمنعان النظر ويتولد عنهما علل شتى فان قويت الطبيعة على ذلك ودفعته الى الخياشيم احدث الزكام وان دفعته الى اللهاة والمنخرين احدث الخناق وان دفعته الى الجنب احدث الشوصة وان دفعته الى الصدر احدث النزلة وان انحدر الى القلب احدث الخبطة وان دفعته الى العين احدث رمدا وان انحدر الى الجوف احدث السيلان وان دفعته الى منازل الدماغ احدث النسيان وان ترطبت اوعية الدماغ منه وامتلأت به عروقه احدث النوم الشديد ولذلك كان النوم رطباً والسهر يابسا وان طلب البخار النفوذ من الرأس فلم يقدر عليه اعقبه الصداع والسهر وان مال البخار الى احد شقي الرأس اعقبه الشقيقة وان ملك قمة الرأس ووسط الهامة اعقبه داء البيضة وان برد منه حجاب الدماغ او سخن او ترطب وهاجت منه ارياح احدث العطاس وان اهاج الرطوبة البلغمية فيه حتى غلب الحار الغريزى احدث الأغماء والسكتات وان اهاج المرة السوداء حتى اظلم هواء الدماغ احدث الوسواس وان فاض ذلك الى مجارى العصب احدث الصرع الطبيعى وان ترطبت مجامع عصب الرأس وفاض ذلك في مجاريه اعقبه الفالج وان كان البخار من مرة صفراء ملتهبة محمية للدماغ احدث البرسام فان شركه الصدر في ذلك كان سرساما فافهم هذا الفصل. والمقصود ان اخلاط البدن والرأس تكون متحركة هائجة فى حال الرمد والجماع مما يزيد حركتها وثورانها فأنه حركة كلية للبدن

والروح والطبيعة فاما البدن فيسخن بالحركة لا محالة والنفس تشتد حركتها طلبا للذة واستكمالها والروح تتحرك تبعا لحركة النفس والبدن فأن اول تعلق الروح من البدن بالقلب ومنه ينشأ الروح وينبث في الأعضاء . واما حركة الطبيعة فلأن ترسل ما يجب ارساله من المنى على المقدار الذى يجب ارساله وبالجملة فالجماع حركة كلية عامة يتحرك فيها البدن وقواه وطبيعته واخلاطه والروح والنفس فكل حركة فهي مثيرة للأخلاط مرققة لها توجب دفعها وسيلانها الى الأعضاء الضعيفة. والعين فى حال رمدها اضعف ما يكون فأضر ما عليها حركة الجماع .قال ابقراط فى كتاب الفصول وقد يدل ركوب السفن ان الحركة تثور الأبدان هذا مع ان في الرمد منافع كثيرة منها ما يستدعيه من الحمية والأستفراغ وتنقية الرأس والبدن من فضلاتها وعفوناتها والكف عما يؤذى النفس والبدن من الغضب والهم والحزن والحركات العنيفة والأعمال الشاقة وفى اثر سلفى لا تكرهوا الرمد فانه يقطع عروق العمى . ومن اسباب علاجه ملازمة السكون والراحة وترك مس العين والأشتغال بها فان اضداد ذلك يوجب انصباب المواد اليها. وقد قال بعض السلف مثل اصحاب محمد مثل العين ودواء العين ترك مسها وقد روي في حديث مرفوع الله اعلم به علاج الرمد تقطير الماء البارد فى العين وهو من اكبر الادوية الرمد الحار فان الماء دواء بارد يستعان به على طفي حرارة الرمد اذا كان حارا ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لامرأته زينب وقد اشتكت عينها لو فعلت كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خيرا لك واجدر ان تشفى تنضحين في عينك الماء ثم تقولين اذهب الباس رب الناس واشف انت الشافي لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما وهذا مما تقدم مرارا انه خاص ببعض البلاد وبعض اوجاع العين

فلا تجعل كلام النبوة الجزئى الخاص كليا عاماً ولا الكلي العام جزئيا خاصا فيقع من الخطأ وخلاف الصواب ما يقع والله اعلم

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) في علاج الخدران الكلى الذي يجمد معه البدن . ذكر ابو عبيد في غريب الحديث من حديث ابى عثمان النهدي ان قوما مروا بشجرة فأكلوا منها فكانما مرت بهم ريح فاجمدتهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم قرسوا الماء في الشنان وصبوا عليهم فيما بين الأذانين ثم قال ابو عبيد قرسوا يعنى برد واوقول الناس قدقرس البرد انما هو من هذا بالسين ليس بالصاد والشنان الأسقية والقرب الخلقان يقال للسقاء شن وللقربة شنة وانما ذكر الشنان دون الجرة لانها اشد تبريدا للماء وقوله بين الأذانين يعنى اذان الفجر والأقامة فسمي الأقامة اذانا انتهى كلامه . قال بعض الاطباء وهذا العلاج من النبي صلى الله عليه وسلم من افضل علاج هذا الداء اذا كان وقوعه بالحجاز وهي بلاد حارة يابسة والحار الغريزي ضعيف فى بواطن سكانها وصب الماء البارد عليهم فى الوقت المذكور وهو ابرد اوقات اليوم يوجب جمع الحار الغريزي المنتشر في البدن الحامل لجميع قواه فتقوى القوة الدافعة ويجتمع من اقطار البدن الى باطنه الذي هو محل ذلك الداء ويستظهر بباقي القوى على دفع المرض المذكور فيدفعه باذن الله عز وجل ولو ان ابقراط اوجالنيوس اوغيرهما وصف هذا الدواء لهذا الداء لخضعت له الأطباء وعجبوا من كمال معرفته .

﴿ فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في اصلاح الطعام الذى يقع فيه الذباب وارشاده الى دفع مضرات السموم باضدادها ﴾

في الصحيحين من حديث ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وقع الذباب في اناء احدكم فامقلوه فأن فى احد جناحيه داء وفي الآخر شفاء وفي سنن ابن

ماجه عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احد جناحي الذباب سم والآخر شفاء فاذا وقع في الطعام فامقلوه فانه يقدم السم ويؤخر الشفاء هذا الحديث فيه امران امر فقهي وامر طبي فاما الفقهي فهو دليل ظاهر الدلالة جدا على ان الذباب اذا مات في ماء او مائع فانه لا ينجسه وهذا قول جمهور العلماء ولا يعرف في السلف مخالف في ذلك . ووجه الاستدلال به ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بمقله وهو غمسه في الطعام ومعلوم انه يموت من ذلك ولا سيما اذا كان الطعام حارا فلو كان ينجسه لكان امرا بافساد الطعام وهو صلى الله عليه وسلم انما امر باصلاحه ثم عدا هذا الحكم الى كل ما لا نفس له سائلة كالنحلة والزنبور والعنكبوت واشباه ذلك اذا الحكم يعم بعموم علته وينتفي لانتفاء سببه فلما كان سبب التنجيس هو الدم المحتقن في الحيوان بموته وكان ذلك مفقوداً فيما لا دم له سائل انتفى الحكم في التنجيس لانتفاء علته ثم قال من لم يحكم بنجاسة عظم الميتة اذا كان هذا ثابتا في الحيوان الكامل مع ما فيه من الرطوبات والفضلات وعدم الصلابة فثبوته في العظم الذى هو ابعد عن الرطوبات والفضلات واحتقان الدم اولى وهذا في غاية القوة فالمصير اليه اولى. واول من حفظ عنه في الاسلام انه تكلم بهذه اللفظة فقال ما لا نفس له سائلة ابراهيم النخعي رضي الله عنه وعنه تلقاها الفقهاء. والنفس في اللغة يعبر بها عن الدم ومنه نفست المرأة بفتح النون اذا حاضت ونفست بضمها اذا ولدت. واما المعنى الطبى فقال ابو عبيد معنى امقلوه اغمسوه ليخرج الشفاء منه كما خرج الداء يقال للرجلين هما يتماقلان اذا تغاطا في الماء. واعلم ان في الذباب عندهم قوة سمية يدل عليها الورم والحكة العارضة عن لسعه وهي بمنزلة السلاح فاذا سقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقابل تلك السمية بما اودعه الله سبحانه

في جناحه الآخر من الشفاء فيغمس كله في الماء والطعام فيقابل المادة السمية المادة النافعة فيزول ضررها وهذا طب لا يهتدى اليه كبار الاطباء وأئمتهم بل هو خارج من مشكاة النبوة ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج ويقر لمن جاء به بانه اكمل الخلق على الأطلاق وانه مؤيد بوحي الهى خارج عن القوى البشرية . وقد ذكر غير واحد من الأطباء ان لسع الزنبور والعقرب اذا دلك موضعه بالذباب نفع منه نفعا بينا وسكنه وماذاك الا للمادة التي فيه من الشفاء واذا دلك به الورم الذي يخرج في شعر العين المسمى شعرة بعد قطع رؤس الذباب ابرأه .

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في علاج البثرة . ذكر ابن السني في كتابه عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج في اصبعي بثرة فقال عندك ذريرة قلت نعم قال ضعيها عليها وقال قولى اللهم مصغر الكبير ومكبر الصغير صغر مابي.

الذريرة دواء هندي يتخذ من قصب الذريرة وهي حارة يابسة تنفع من اورام المعدة والكبد والأستسقاء وتقوى القلب لطيبها . وفي الصحيحين عن عائشة انها قالت طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي بذريرة في حجة الوداع للحل والأحرام . والبثرة خراج صغير يكون عن مادة حارة تدفعها الطبيعة فتسترق مكانا من الجسد تخرج منه فهي محتاجة الى ما ينضجها ويخرجها . والذريرة احد ما يفعل بها ذلك فان فيها انضاجا واخراجا مع طيب رائحتها مع ان فيها تبريدا للنارية التى فى تلك المادة ولذلك قال صاحب القانون انه لا افضل لحرق النار من الذريرة بدهن الورد والخل

﴿ فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم في علاج الأورام والخراجات (التى تبرأ بالبط والبزل) ﴾

يذكر عن علي انه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل

يعوده بظهره ورم فقالوا يارسول الله بهذه مدة قال بطوا عنه قال علي فما برحت حتى بطت والنبي صلى الله عليه وسلم شاهد. ويذكر عن ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر طبيبا ان يبط بطن رجل اجوي البطن فقيل يارسول الله هل ينفع الطب قال الذي انزل الداء انزل الشفاء فيما شاء. الورم مادة في حجم العضو لفضل مادة غير طبيعية تنصب اليه وتوجد فى اجناس الأمراض كلها والمواد التي يكون عنها من الأخلاط الأربعة والمائية والريح واذا اجتمع الورم سمي خراجا وكل ورم حار يؤل امره الى احد ثلاثة اشياء اما تحلل واما جمع مدة واما استحالة الى الصلابة. فان كانت القوة قوية استولت علي مادة الورم وحللته وهى اصلح الحالات التى يؤل حال الورم اليها. وان كانت دون ذلك انضجت المادة واحالتها مدة بيضاء وفتحت لها مكانا اسالتها منه وان نقصت عن ذلك احالت المادة مدة غير مستحكمة النضج وعجزت عن فتح مكان في العضو تدفعها منه فيخاف على العضو الفساد بطول لبثها فيه فيحتاج حينئذ الي اعانة الطبيب بالبط او غيره لأخراج تلك المادة الرديئة المفسدة للعضو. وفي البط فائدتان احداهما اخراج المادة الرديئة المفسدة والثانية منع اجتماع مادة اخرى اليها تقويها.

واما قوله في الحديث الثانى انه امر طبيبا ان يبط بطن رجل اجوي البطن فالجوي يقال علي معان منها الماء المنتن الذي يكون في البطن يحدث عنه الأستسقاء.

وقد اختلف الأطباء في بزله لخروج هذه المادة فمنعه طائفة منهم لخطره وبعد السلامة معه وجوزته طائفة اخرى وقالت لا علاج له سواه وهذا عندهم انما هو في الأستسقاء الزقى فانه كما تقدم ثلاثة انواع طبلى وهو الذى ينتفخ معه البطن بمادة ريحية اذا ضربت عليه سمع له صوت كصوت الطبل ولحمي وهو الذى يربو معه لحم جميع البدن بمادة بلغمية تفشو مع الدم في الأعضاء وهو اصعب من الاول

وزق وهو الذى يجتمع معه في البطن الاسفل مادة رديئة لها عند الحركة خضخضة كخضخضة الماء في الزق وهو اردى انواعه عند الاكثرين من الاطباء. وقالت طائفة اردى انواعه اللحمى لعموم الآفة به. ومن جملة علاج الزق اخراج ذلك الماء بالبزل ويكون ذلك بمنزلة فصد العروق لأخراج الدم الفاسد لكنه خطر كما تقدم وان ثبت هذا الحديث فهو دليل على جواز بزله والله اعلم.

﴿ فصل في هديه صلى الله عليه وسلم فى علاج المرضى ﴾
﴿ بتطييب نفوسهم وتقوية قلوبهم ﴾

روى ابن ماجه في سننه من حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل فان ذلك لا يرد شيأ وهو يطيب نفس المريض. في هذا الحديث نوع شريف جدا من اشرف انواع العلاج وهو الأرشاد الى ما يطيب نفس العليل من الكلام الذى تقوى به الطبيعة وتنتعش به القوة وينبعث به الحار الغريزي فيتساعد على دفع العلة او تخفيفها الذى هو غاية تأثير الطبيب. وتفريج نفس المريض وتطييب قلبه وادخال ما يسره عليه له تأثير عجيب في شفاء علته وخفتها. فأن الأرواح والقوى تقوى بذلك فتساعد الطبيعة على دفع المؤذي وقد شاهد الناس كثيرا من المرضى تنتعش قواه بعيادة من يحبونه ويعظمونه ورؤيتهم لهم ومكالمتهم اياهم وهذا احد فوائد عيادة المرضى التى تتعلق بهم فان فيها اربعة انواع من الفوائد نوع يرجع الى المريض ونوع يعود على العائد ونوع يعود على اهل المريض ونوع يعود على العامة. وقد تقدم في هديه صلى الله عليه وسلم انه كان يسأل المريض عن شكواه وكيف يجده ويسأله عما يشتهيه ويضع يده على جبهته وربما وضعها بين ثدييه ويدعو له ويصف له ما ينفعه فى علته وربما توضأ وصب على المريض

من وضوئه وربما كان يقول المريض لا بأس عليك طهور ان شاء الله تعالى وهذا من كمال اللطف وحسن العلاج والتدبير .

فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم في علاج الأبدان بما اعتادته من الأدوية والأغذية دون مالم تعتده

هذا اصل عظيم من اصول العلاج وانفع شيء فيه واذا اخطأه الطبيب ضر المريض من حيث يظن انه ينفعه ولا يعدل عنه الى ما يجده من الأدوية في كتب الطب الاطبيب جاهل فان ملاءمة الأدوية والأغذية للأبدان بحسب استعدادها وقبولها. وهؤلاء اهل البوادى والأكارون وغيرهم لا ينجع فيهم شراب الينوفر والورد الطرى ولا المغالى ولا يؤثر فى طباعهم شيئا بل عامة ادوية اهل الحضر واهل الرفاهية لا تجدى عليهم والتجربة شاهدة بذلك . ومن تأمل ما ذكرناه من العلاج النبوي رآه كله موافقا لعادة العليل وارضه وما نشأ عليه فهذا اصل عظيم من اصول العلاج يجب الاعتناء به وقد صرح به افاضل اهل الطب حتى قال طبيب العرب بل اطبهم الحرث بن كلدة وكان فيهم كابقراط فى قومه الحمية راس الدواء والمعدة بيت الداء وعودوا كل بدن ما اعتاد وفى لفظ عنه الأزم دواء. والأزم الأمساك عن الأكل يعنى به الجوع وهو من اكبر الأدوية في شفاء الامراض الأمتلائية كلها بحيث انه افضل فى علاجها من المستفرغات اذا لم يخف من كثرة الأمتلاء وهيجان الأخلاط وحدتها وغليانها وقوله المعدة بيت الداء. المعدة عضو عصبى مجوف كالقرعة فى شكله مركب من ثلاث طبقات مؤلفة من شظايا دقيقة عصبية تسمى الليف ويحيط بها لحم. وليف احدى الطبقات بالطول والأخرى بالعرض والثالثة بالوراب وفم المعدة اكثر عصبا وقعرها اكثر لحما وفى باطنها خمل وهي محصورة في وسط البطن

واميل الى الجانب الأيمن قليلا خلقت على هذه الصفة لحكمة لطيفة من الخالق الحكيم سبحانه وهي بيت الداء وكانت محلا للهضم الأول وفيها ينضج الغذاء وينحدر منها بعد ذلك الى الكبد والأمعاء ويتخلف منه فيها فضلات عجزت القوة الهاضمة عن تمام هضمها اما لكثرة الغذاء او لرداءته او لسوء ترتيب فى استعماله له او لمجموع ذلك. وهذه الأشياء بعضهـا مما لا يتخلص الانسان منه غالبا فتكون المعدة بيت الداء لذلك وكأنه يشير بذلك الى الحث على تقليل الغذاء ومنع النفس من اتباع الشهوات والتحرز عن الفضلات واما العادة فلأنها كالطبيعة للانسان ولذلك يقال العادة طبع ثان وهي قوة عظيمة في البدن حتى ان امرا واحدا اذا قيس الى ابدان مختلفة العادات كان مختلف النسبة اليها وان كانت تلك الأبدان متفقة فى الوجوه الأخرى. مثال ذلك ابدان ثلاثة حارة المزاج في سن الشباب . احدها عود تناول الأشياء الحارة .والثانى عود تناول الأشياء المتوسطة فان الأول متى تناول عسلا لم يضر به الثانى متى تناوله اضر به والثالث يضر به قليلا فالعادة ركن عظيم في حفظ الصحة ومعالجة الأمراض ولذلك جاء العلاج النبوى بأجراء كل بدن على عادته فى استعمال الأغذية والأدوية وغير ذلك

فصل في هديه صلى الله عليه وسلم فى تغذية المريض
(بألطف ما اعتاده من الأغذية)

فى صحيح مسلم من حديث عروة عن عائشة انها كانت اذا مات الميت من اهلها فاجتمع لذلك النساء ثم تفرقن الا اهلها وخاصتها امرت ببرمة من تلبينة فطبخت ثم صنع ثريد فصبت التلبينة عليها ثم قالت كلن منها فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن. وفى السنن من حديث عائشة ايضا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالبغيض

النافع التلبين. قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى احد من اهله لم تزل البرمة على النار حتى ينتهى احد طرفيه يعنى يبرأ او يموت. وعنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قيل له ان فلانا وجع لا يطعم الطعام قال عليكم بالتلبينة فحسوه اياها ويقول والذي نفسى بيده انها تغسل بطن احدكم كما تغسل احداكن وجهها من الوسخ. التلبين هو الحساء الرقيق الذى هو في قوام اللبن ومنه اشتق اسمه قال الهروي سميت تلبينة لشبهها باللبن لبياضها ورقتها وهذا الغذاء هو النافع للعليل وهو الرقيق النضيج لا الغليظ النيء واذا شئت ان تعرف فضل التلبينة فاعرف فضل ماء الشعير بل هي افضل من ماء الشعير لهم فانها حساء متخذ من دقيق الشعير بنخالته والفرق بينها وبين ماء الشعير انه يطبخ صحاحا والتلبينة تطبخ منه مطحونا وهي انفع منه لخروج خاصية الشعير بالطحن. وقد تقدم ان للعادات تأثيرا في الانتفاع بالأدوية والأغذية وكانت عادة القوم القوم ان يتخذوا ماء الشعير منه مطحونا لا صحاحا وهو اكثر تغذية واقوى فعلا واعظم جلاء وانما اتخذه اطباء المدن منه صحاحا ليكون ارق والطف فلا يثقل على طبيعة المريض وهذا بحسب طبائع اهل المدن ورخاوتها وثقل ماء الشعير المطحون عليها. والمقصود ان ماء الشعير مطبوخا صحاحا ينفذ سريعا ويجلو جلاء ظاهرا ويغذي غذاء لطيفا واذا شرب حاراً كان اجلاؤه اقوى ونفوذه اسرع وانماؤه للحرارة الغريزية اكثر وتمليسه لسطوح المعدة اوفق. وقوله صلى الله عليه وسلم فيها مجمة لفؤاد المريض يروى بوجهين بفتح الميم والجيم وبضم الميم وكسر الجيم والأول اشهر ومعناه انها مريحة له اي تريحه وتسكنه من الأجمام وهو الراحة وقوله ويذهب ببعض الحزن هذا والله اعلم لأن الغم والحزن يبردان المزاج ويضعفان الحرارة الغريزية لميل الروح الحامل لها الى جهة القلب الذي هو

منشأها وهذا الحساء يقوى الحرارة الغريزية بزيادته فى مادتها فتزيل اكثر ما عرض له من الغم والحزن وقد يقال وهو اقرب انها تذهب ببعض الحزن بخاصية فيها من جنس خواص الأغذية المفرحة فان من الاغذية مايفرح بالخاصية والله اعلم وقد يقال ان قوى الحزين تضعف بأستيلاء اليبس على اعضائه وعلى معدته خاصة لتقليل الغذاء وهذا الحساء يرطبها ويقويها ويغذيها ويفعل مثل ذلك بفؤاد المريض لكن المريض كثيرا ما يجتمع فى معدته خلط مرارى او بلغمى او صديدي وهذا الحساء يجلو ذلك عن المعدة ويسروه ويحدره ويميعه ويعدل كيفيته ويكسر سورته فيريحها ولا سيما لمن عادته الأغتذاء بخبز الشعير وهي عادة اهل المدينة اذ ذاك وكان هو غالب قوتهم وكانت الحنطة عزيزة عندهم والله اعلم

فصل في هديه صلى عليه وسلم في علاج السم (الذى اصابه بخيبر من اليهود)

ذكر عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ان امرأة يهودية اهدت الى النبى صلى الله عليه وسلم شاة مصلية بخيبر فقال ما هذا قالت هدية وحذرت ان تقول من الصدقة فلا يأكل منها فأكل منها النبي صلى الله عليه وسلم واكل الصحابة ثم قال امسكوا ثم قال للمرأة هل سممت هذه الشاة قالت من اخبرك بهذا قال هذا العظم لساقها وهو فى يده قالت نعم قال لِمَ قالت اردت ان كنت كاذبا ان يستريح منك الناس وان كنت نبياً لم يضرك قال فاحتجم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة على الكاهل وأمر اصحابه ان يحتجموا فاحتجموا فمات بعضهم. وفي طريق اخرى واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من اجل الذى اكل من الشاة حجمه ابو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبني بياضة من الأنصار وبقي بعد ذلك ثلاث سنين حتى

كان وجعه الذى توفي فيه فقال مازلت اجد فى الأكلة التى اكلت من الشاة يوم خيبر حتى كأن هذا أوان انقطاع الأبهر مني فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً . قال موسى بن عقبة معالجة السم تكون بالاستفراغات وبالأدوية التى تعارض فعل السم وتبطله اما بكيفياتها واما بخواصها فمن عدم الدواء فليبادر الي الأستفراغ الكلي وانفعه الحجامة لاسيما اذا كان البلد حاراً والزمان حاراً فأن القوة السمية تسري الى الدم فتنبعث في العروق والمجاري حتى تصل الى القلب فيكون الهلاك فالدم هو المنفذ الموصل للسم الى القلب والاعضاء فاذا بادر المسموم واخرج الدم خرجت معه تلك الكيفية السمية التى خالطته فان كان استفراغا تاما لم يضره السم بل اما ان يذهب واما ان يضعف فتقوى عليه الطبيعة فتبطل فعله او تضعفه ولما احتجم النبي صلى الله عليه وسلم احتجم فى الكاهل وهو اقرب المواضع التى تمكن فيها الحجامة الى القلب فخرجت المادة السمية مع الدم لاخروجاً كليا بل بقي اثرها مع ضعفه لمايريد الله سبحانه من تكميل مراتب الفضل كلها له فلما اراد الله اكرامه بالشهادة ظهر تأثير ذلك الأثر الكامن من السم ليقضي الله امراً كان مفعولا وظهر سر قوله تعالى لأعدائه من اليهود (او كلما جاءكم رسول بما لا تهوي انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) فجاء بلفظ كذبتم بالماضي الذى قد وقع منه وتحقق وجاء بلفظ تقتلون بالمستقبل الذى يتوقعونه وينتظرونه والله اعلم

﴿ فصل في هديه صلى الله عليه وسلم فى علاج السحر الذى سحرته اليهودية ﴾

قد انكر هذا طائفة من الناس وقالوا لا يجوز هذا عليه وظنوه نقصا وعيبا وليس الأمر كما زعموا بل هو من جنس ما كان يعتريه صلى الله عليه وسلم من الأسقام والأوجاع وهو مرض من الأمراض واصابته به كاصابته بالسم لافرق بينهما وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها انها قالت سحر رسول

الله صلى الله عليه وسلم حتى ان كان ليخيل اليه انه يأتى نساءه ولم يأتهن وذلك اشد ما يكون من السحر قال القاضى عياض والسحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه صلى الله عليه وسلم كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما كونه يخيل اليه انه فعل الشيء ولم يفعله فليس فى هذا ما يدخل عليه داخلة فى شئي من صدقه لقيام الدليل والأجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طرده عليه في امر دنياه التي لم يبعث لسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد انه يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان. والمقصود ذكر هديه في علاج هذا المرض وقد روى عنه نوعان . احدهما وهو ابلغهما استخراجه وتبطيله كما صح عنه صلى الله عليه وسلم انه سأل ربه سبحانه فى ذلك فدل عليه فاستخرجه من بئر فكان فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر فلما استخرجه ذهب ما به حتى كأنما نشط من عقال. فهذا من ابلغ ما يعالج به المطبوب وهذا بمنزلة ازالة المادة الخبيثة وقلعها من الجسد بالأستفراغ. والنوع الثانى الأستفراغ فى المحل الذى يصل اليه اذى السحر فان للسحر تأثيرا في الطبيعة وهيجان اخلاطها وتشويش مزاجها فاذا ظهر اثره في عضو وامكن استفراغ المادة الرديئة من ذلك العضو نفع جدا وقد ذكر ابو عبيد فى كتاب غريب الحديث له باسناده عن عبد الرحمن ابن ابى ليلى ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم على رأسه بقرن حين طُبَّ قال ابو عبيد معنى طب اي سحر وقد اشكل هذا على من قل علمه وقال ما للحجامة والسحر وما الرابطة بين هذا الداء وهذا الدواء ولو وجد هذا القائل ابقراط او ابن سينا او غيرهما قد نص على هذا العلاج لتلقاه بالقبول والتسليم وقال قد نص عليه من لا نشك فى معرفته وفضله.

فاعلم ان مادة السحر الذى اصيب به النبي صلى الله عليه وسلم انتهت الى رأسه الى احدى قواه التي فيه بحيث كان يخيل اليه انه يفعل الشيء ولم يفعله وهذا تصرف من الساحر فى الطبيعة والمادة الدموية بحيث غلبت تلك المادة على البطن المقدم منه فغيرت مزاجه عن طبيعته الأصلية. والسحر مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة وانفعال القوى الطبيعية عنها وهو سحر التمريجات وهو اشد ما يكون من السحر ولاسيما في الموضع الذي انتهى اليه السحر واستعمال الحجامة على ذلك المكان الذى تضررت افعاله بالسحر من انفع المعالجة اذا استعملت على القانون الذى ينبغى قال ابقراط الاشياء التى ينبغى ان تستفرغ يجب ان تستفرغ في المواضع التي هى اليها اميل بالأشياء التي تصلح لأستفراغها. وقالت طائفة من الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب بهذا الداء وكان يخيل اليه انه فعل الشيء ولم يفعله ظن ان ذلك عن مادة دموية او غيرها مالت الى جهة الدماغ وغلبت على البطن المقدم منه فازالت مزاجه عن الحالة الطبيعية له وكان استعمال الحجامة اذ ذاك من ابلغ الأدوية وانفع المعالجة فاحتجم وكان ذلك قبل ان يوحى اليه ان ذلك من السحر فلما جاءه الوحي من الله تعالى واخبره انه قد سحر عدل الى العلاج الحقيقى وهو استخراج السحر وابطاله فسأل الله سبحانه فدله على مكانه فاستخرجه فقام كأنما نشط من عقال وكان غاية هذا السحر فيه انما هو فى جسده وظاهر جوارحه لا على عقله وقلبه ولذلك لم يكن يعتقد صحة ما يخيل اليه من اتيان النساء بل يعلم انه خيال لا حقيقة له ومثل هذا قد يحدث من بعض الامراض والله اعلم

(فصل) ومن انفع علاجات السحر الأدوية الالهية بل هي ادويته النافعة بالذات فأنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية . ودفع تأثيرها يكون بما

يعارضها ويقاومها من الأذكار والآيات والدعوات التى تبطل فعلهاوتأثيرها وكلما كانت اقوى واشد كانت ابلغ فى النشرة وذلك بمنزلة التقاء جيشين مع كل واحد منهما عدته وسلاحه فايهما غلب الآخر قهره وكان الحكم له فالقلب اذا كان ممتلئا من الله مغمورا بذكره وله من التوجهات والدعوات والأذكار والتعوذات ورد لا يخل به يطابق فيه قلبه لسانه كان هذا من اعظم الأسباب التى تمنع اصابة السحر له ومن اعظم العلاجات له بعد ما يصيبه وعند السحرة ان سحرهم انما يتم تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة والنفوس الشهوانية التى هي معلقة بالسفليات ولهذا غالب ما يؤثر فى النساء والصبيان والجهال واهل البوادى ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد ومن لا نصيب له من الأوراد الآلهية والدعوات والتعوذات النبوية . وبالجملة فسلطان تأثيره فى القلوب الضعيفة المنفعلة التى يكون ميلها الى السفليات . قالوا والمسحور هو الذى يعين على نفسه فانا نجد قلبه متعلقا بشيء كثير الألتفات اليه فيتسلط على قلبه بما فيه من الميل والألتفات . والأرواح الخبيثة انما تتسلط على ارواح تلقاها مستعدة لتسلطها عليها بميلها الى ما يناسب تلك الارواح الخبيثة وبفراغها من القوة الآلهية وعدم اخذها للعدة التى تحاربها بها فتجدها فارغة لا عدة معها وفيها ميل الى ما يناسبها فتتسلط عليها ويتمكن تأثيرها فيها بالسحر وغيره والله اعلم

﴿ فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم في الأستفراغ بالقيء ﴾

روى الترمذي في جامعه عن معدان بن ابى طلحة عن ابى الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قاء فتوضأ فلقيت ثوبان فى مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال صدق انا صببت له وضوءه . قال الترمذي وهذا اصح شيء في الباب . القيء احد الأستفراغات الخمسة التى هي اصول الأستفراغ وهي الأسهال والقيء واخراج

الدم وخروج الأبخرة من العروق وقد جاءت بها السنة . اما الأسهال فقد مر فى حديث خير ما تداويتم به المشي وفى حديث السناء واما اخراج الدم فقد تقدم في احاديث الحجامة واما استفراغ الابخرة فنذكره عقيب هذا الفصل ان شاء الله. واما الأستفراغ بالعروق فلا يكون غالبا في الفصد بل بدفع الطبيعة له الى ظاهر الجسد فتصادف المسام مفتحة فيخرج منها. والقيءُ استفراغ من اعلى المعدة والحقنة من اسفلها والدواء من اعلاها واسفلها. والقيءُ نوعان نوع بالغلبة والهيجان ونوع بالأستدعاء والطلب فاما الأول فلا يسوغ حبسه ودفعه الا اذا افرط وخيف منه التلف فيقطع بالأشياء التى تمسكه واما الثاني فانفعه عند الحاجة اذا روعى زمانه وشروطه التى تذكر واسباب القيءُ عشرة . احدها غلبة المرة الصفراء وطفوها على رأس المعدة فتطلب الصعود . الثاني من غلبة بلغم لزج قد تحرك فى المعدة واحتاج الى الخروج . الثالث ان يكون من ضعف المعدة فى ذاتها فلا تهضم الطعام فتقذفه الى جهة فوق . الرابع ان يخالطها خلط ردئ ينصب اليها فيسيءُ هضمها ويضعف فعلها . الخامس ان يكون من زيادة المأكول او المشروب على القدر الذى تحتمله المعدة فتعجز عن امساكه فتطلب دفعه وقذفه. السادس ان يكون من عدم موافقة المأكول والمشروب لها وكراهتها له فتطلب دفعه وقذفه . السابع ان يحصل فيها ما يثور الطعام بكيفيته وطبيعته فتقذف به. الثامن القرف وهو موجب غثيان النفس وتهوعها. التاسع من الاعراض النفسانية كالهم الشديد والغم والحزن وغلبة اشتغال الطبيعة والقوى الطبيعية به واهتمامها بوروده عن تدبير البدن واصلاح الغذاء وانضاجه وهضمه فتقذفه المعدة. وقد يكون لأجل تحرك الأخلاط عند تخبط النفس فان كل واحد من النفس والبدن ينفعل عن صاحبه ويؤثر كيفيته في كيفيته . العاشر نقل الطبيعة

بان يري من يتقيأ فيغلبه وهو القيء من غير استدعاء فأن الطبيعة نقالة. واخبرني بعض حذاق الأطباء قال كان لى ابن اخت حذق فى الكحل فجلس كحالا فكان اذا فتح عين الرجل ورأى الرمد وكحله رمد وتكرر ذلك منه فترك الجلوس قلت له فما سبب ذلك قال نقل الطبيعة فانها نقالة. قال واعرف آخر كان رأى خراجا فى موضع من جسم رجل يحكه فحك هو ذلك الموضع فخرجت فيه خراجة قلت وكل هذا لا بد فيه من استعداد الطبيعة وتكون المادة ساكنة فيها غير متحركة فتتحرك لسبب من هذه الأسباب. فهذه اسباب لتحرك المادة لأنها هي الموجبة لهذا العارض.

(فصل) ولما كانت الأخلاط في البلاد الحارة والأزمنة الحارة ترق وتنجذب الي فوق كان القيئ فيها انفع ولما كانت فى الأزمنة الباردة والبلاد الباردة تغلظ ويصعب جذبها الى فوق كان استفراغها بالأسهال انفع. وازالة الأخلاط ودفعها يكون بالجذب والأستفراغ. والجذب يكون من ابعد الطرق والأستفراغ من اقربها والفرق بينهما ان المادة اذا كانت عاملة فى الأنصباب او الترقي لم تستقر بعد فهي محتاجة الى الجذب فان كانت متصاعدة جذبت من اسفل وان كانت منصبة جذبت من فوق. واما اذا استقرت فى موضعها استفرغت من اقرب الطرق اليها فمتى اضرت المادة بالأعضاء العليا اجتذبت من اسفل ومتى اضرت بالأعضاء السفلى اجتذبت من فوق ومتى استقرت استفرغت من اقرب مكان اليها واهذا احتجم النبي صلى الله عليه وسلم على كاهله تارة وفى رأسه اخرى وعلى ظهر قدمه تارة فكان يستفرغ مادة الدم المؤذي من اقرب مكان اليه والله اعلم

(فصل) والقيئ ينقي المعدة ويقويها ويحد البصر ويزيل ثقل الرأس وينفع قروح الكلي والمثانة والأمراض المزمنة كالجذام والأستسقاء والفالج والرعشة وينفع

اليرقان وينبغى ان يستعمله الصحيح فى الشهر مرتين متواليتين من غير حفظ دور ليتدارك الثانى ما قصر عنه الأول وينقي الفضلات التى انصبت بسببه. والأكثار منه يضر المعدة ويجعلها قابلة للفضول ويضر بالأسنان والبصر والسمع وربما صدع عرقاً ويجب ان يجتنبه من به ورم في الحلق او ضعف في الصدر او دقيق الرقبة او مستعد لنفث الدم او عسر الأجابة له. واما مايفعله كثير من سيء التدبير وهو ان يمتلىء من الطعام ثم يقذفه ففيه آفات عديدة منها انه يعجل الهرم ويوقع فى امراض رديئة ويجعل القيء له عادة. والقيء مع اليبوسة وضعف الأحشاء وهزال المراق او ضعف المستقى خطر. واحمد اوقاته الصيف والربيع دون الشتاء والخريف وينبغي عند القي ان يعصب العينين ويقمط البطن ويغسل الوجه بماء بارد عند الفراغ وان يشرب عقبه شراب التفاح مع يسير من مصطكى وماء الورد ينفعه نفعاً بينا والقيء يستفرغ من اعلى المعدة ويجذب من اسفل والأسهال بالعكس قال ابقراط وينبغي ان يكون الأستفراغ فى الصيف من فوق اكثر من الأستفراغ بالدواء وفى الشتاء من اسفل .

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم فى الأرشاد الى معالجة احذق الطبيبين)

ذكر مالك في موطئه عن زيد بن اسلم ان رجلا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرح فاحتقن الدم وان الرجل دعا رجلين من بني انمار فنظرا اليه فزعم ان رسول الله صلى عليه وسلم قال لهما ايكما اطب فقالا أوفى الطب خير يارسول الله فقال الذى انزل الدواء انزل الداء ففي هذا الحديث انه ينبغى الأستعانة في كل علم وصناعة بأحذق من فيها فالأحذق فأنه الى الأصابة اقرب وهكذا يجب على المستفتى ان يستعين على مانزل به بالأعلم فالأعلم لأنه اقرب اصابة ممن هو دونه وكذلك من خفيت عليه القبلة فانه يقلد اعلم من يجده وعلى هذا فطر الله عباده

كما ان المسافر فى البر والبحر انما سكون نفسه وطمأنينته الى احذق الدليلين واخبرهما وله يقصد وعليه يعتمد فقد اتفقت على هذا الشريعة والفطرة والعقل وقوله صلى الله عليه وسلم انزل الدواء الذى انزل الداء قد جاء مثله عنه في احاديث كثيرة . فمنها مارواه عمرو بن دينار عن هلال بن يساف قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مريض يعوده فقال ارسلوا الى طبيب فقال قائل وانت تقول ذلك يارسول الله قال نعم ان الله عز وجل لم ينزل داء الا انزل له دواء. وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة يرفعه ما انزل الله من داء الا انزل له شفاء. وقد تقدم هذا الحديث وغيره واختلف في معنى انزل الداء والدواء فقالت طائفة انزاله اعلام العباد به وليس بشيء فان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بعموم الأنزال لكل داء ودوائه واكثر الخلق لا يعلمون ذلك ولهذا قال علمه من علمه وجهله من جهله. وقالت طائفة انزالهما خلقهما ووضعهما فى الأرض كما في الحديث الآخر ان الله لم يضع داء الا وضع له دواء . وهذا وان كان اقرب من الذى قبله فلفظة الأنزال اخص من لفظة الخلق والوضع فلا ينبغى اسقاط خصوصية اللفظة بلا موجب. وقالت طائفة انزالهما بواسطة الملائكة الموكلين بمباشرة الخلق من داء ودواء وغير ذلك فان الملائكة موكلة بامر هذا العالم وامر النوع الانسانى من حين سقوطه في رحم امه الى حين موته فانزال الداء والدواء مع الملائكة وهذا اقرب من الوجهين قبله. وقالت طائفة ان عامة الأدواء والأدوية هي بواسطة انزال الغيث من السماء الذى تتولد به الأغذية والأقوات والأدوية والأدواء وآلات ذلك كله واسبابه ومكملاته وما كان منها من المعادن العلوية فهي تنزل من الجبال وما كان منها من الأدوية والبهار والثمار فداخل في اللفظ على طريق التغليب والاكتفاء عن الفعلين بفعل واحد يتضمنها وهو

معروف من لغة العرب بل وغيرها من الأمم كقول الشاعر

علفتها تبنا وماء باردا * حتى غدت همالة عيناها

وقال الآخر

ورأيت زوجك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا

وقال الآخر ﴿وزججن الحواجب والعيونا﴾ وهذا احسن مما قبله من الوجوه والله اعلم. وهذا من تمام حكمة الرب عز وجل وتمام ربوبيته فانه كما ابتلى عباده بالأدواء اعانهم عليها بما يسره لهم من الأدويه. وكما ابتلاهم بالذنوب اعانهم عليها بالتوبة والحسنات الماحية والمصائب المكفرة. وكما ابتلاهم بالأرواح الخبيثة من الشياطين اعانهم عليها بجند من الأرواح الطيبة وهم الملائكة وكما ابتلاهم بالشهوات اعانهم على قضائها بما يسره لهم شرعا وقدراً من المشتهيات اللذيذة النافعة فما ابتلاهم سبحانه بشيء الا اعطاهم ما يستعينون به على ذلك البلاء ويدفعونه به ويبقى التفاوت بينهم في العلم بذلك والعلم بطريق حصوله والتوصل اليه وبالله المستعان

فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في تضمين من طب الناس (وهو جاهل بالطب)

روى ابو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطبب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن. هذا الحديث يتعلق به ثلاثة امور امر لغوي وامر فقهي وامر طبي فاما اللغوي فالطب بكسر الطاء في لغة العرب يقال على معان منها الأصلاح يقال طببته اذا اصلحته ويقال له طب بالأمور اي لطف وساس قال الشاعر

واذا تغير من تميم امرها * كنت الطبيب لها برأى ثاقب

ومنها الحذق قال الجوهري كل حاذق طبيب عند العرب قال ابو عبيد اصل

الطب الحذق بالأشياء والمهارة بها يقال للرجل طب وطبيب اذا كان كذلك وان كان في غير علاج المريض وقال غيره رجل طبيب اي حاذق سمي طبيباً لحذقه وفطنته قال علقمة

فان تسألوني بالنساء فأنني * خبير بأدواء النساء طبيب
اذاشاب رأس المرء او قلّ ماله * فليس له في ودهن نصيب

وقال عنترة

ان تُغدِفي دونى القناع فاننى * طب بأخذ الفارس المستلئم

اى ان ترخي عنى قناعك وتسترى وجهك رغبة عنى فانى خبير حاذق بأخذ الفارس الذى قد لبس لأمة حربه . ومنها العادة يقال ليس ذلك بطبي اى عادتي قال فروة بن مسيك

فما ان طبنا جبن ولكن * منايانا ودولة آخرينا

وقال احمد بن الحسين

وما التيه طبي فيهم غير اننى * بغيض اليّ الجاهل المتغافل

ومنها السحر يقال رجل مطبوب اي مسحور وفى الصحيح من حديث عائشة لما سحرت يهود رسول الله صلى الله اعليه وسلم وجاس الملكان عند رأسه وعند رجليه فقال احدهما ما بال الرجل قال الأخر مطبوب قال من طبه قال فلان اليهودي قال ابو عبيد انما قالوا المسحور مطبوب لأنهم كنوا بالطب عن السحر كما كنوا عن اللديغ فقالوا سليم تفاؤلا بالسلامة وكما كنوا بالمفازة عن الفلاة المهلكة التى لا ماء فيها فقالوا مفازة تفاؤلا بالفوز من الهلاك ويقال الطب لنفس الدواء قال ابن ابى الأسلب

الا من مبلغ حسان عنى * أسحر كان طبك ام جنون

واما قول الحماسي

فان كنت مطبوبا فلا زلت هكذا * وان كنت مسحورا فلا برئ السحر

فانه اراد بالمطبوب الذي قد سحر واراد بالمسحور العليل بالمرض قال الجوهرى ويقال للعليل مسحور وانشد البيت ومعناه ان كان هذا الذى قد عرانى منك ومن حبك اسأل الله دوامه ولا اريد زواله سواء كان سحراً اومرضاً .

والطب مثلث الطاء فالمفتوح الطاء هو العالم بالأمور وكذلك الطبيب يقال له طب ايضاً والطب بكسر الطاء فعل الطبيب والطب بضم الطاء اسم موضع قاله ابن السكيت وانشد

فقلت هل انهلتم بطب ركابكم * بجائزة الماء التي طاب طيبها

وقوله صلى الله عليه وسلم من تطبب ولم يقل من طب لان لفظ التفعل يدل على تكلف الشيء والدخول فيه بعسر وكلفة وانه ليس من اهله كتحلم وتشجع وتصبر ونظائرها وكذلك بنوا تكلف على هذا الوزن قال الشاعر . وقيس غيلان ومن تقيسا.

واما الأمر الشرعي فايجاب الضمان على الطبيب الجاهل فاذا تعاطى علم الطب وعمله ولم يتقدم له به معرفة فقد هجم بجهله على أتلاف الانفس وأقدم بالتهور على مالم يعلمه فيكون قد غرر بالعليل فيلزمه الضمان لذلك وهذا اجماع من اهل العلم. قال الخطابى لا اعلم خلافا في ان المعالج اذا تعدى فتلف المريض كان ضامنا والمتعاطي علما او عملا لا يعرفه متعد فاذا تولد من فعله التلف ضمن الدية وسقط عنه القود لا يستبد بذلك بدون اذن المريض. وجناية المتطبب في قول عامة الفقهاء على عاقلته قلت الأقسام خمسة احدها طبيب حاذق اعطى الصنعة حقها ولم تجن يده فتولد من فعله المأذون من جهة الشارع ومن جهة من يطبه تلف العضو او النفس او ذهاب صفة فهذا الاضمان عليه اتفاقا فانها سراية مأذون فيه. وهكذا كما اذا ختن الصبي في وقت وسنه قابل للختان واعطى الصنعة

حقها فتلف العضو اوالصبي لم يضمن وكذلك اذا بط من عاقل اوغيره ما ينبغى بطه في وقته على الوجه الذي ينبغي فتلف به لم يضمن وهكذا سراية كل مأذون فيه لم يتعد الفاعل فى سببها كسراية الحد بالاتفاق وسراية القصاص عند الجمهور خلافا لأبى حنيفة رحمه الله في ايجابه للضمان بها وسراية التعزير وضرب الرجل امرأته والمعلم الصبي والمستأجر الدابة خلافا لأبي حنيفة والشافعي رحمهما الله في ايجابهما الضمان فى ذلك. واستثنى الشافعى رحمه الله ضرب الدابة وقاعدة الباب اجماعا ونزاعا ان سراية الجناية مضمونة بالاتفاق وسراية الواجب مهدرة بالاتفاق وما بينهما ففيه النزاع فأبو حنيفة رحمه الله اوجب ضمانه مطلقا واحمد ومالك رحمهما الله اهدرا ضمانه وفرق الشافعي رحمه الله بين المقدر فاهدر ضمانه وبين غير المقدر فأوجب ضمانه فأبو حنيفة رحمه الله نظر الى ان الأذن فى الفعل انما وقع مشروطا بالسلامة واحمد ومالك رحمهما الله نظرا الى ان الاذن اسقط الضمان والشافعى رحمه الله نظر الى ان المقدر لايمكن النقصان منه فهو بمنزلة النص واما المقدر كالتعزيرات والتأديبات فاجتهادية فاذا تلف بهما ضمن لأنه في مظنة العدوان

(فصل) القسم الثاني متطبب جاهل باشرت يده من يطبه فتلف به فهذا ان علم المجني عليه انه جاهل لا علم له واذن له في طبه لم يضمن ولا يخالف هذه الصورة ظاهر الحديث فان السياق وقوة الكلام يدل على انه غر العليل واوهمه انه طبيب وليس كذلك وان ظن المريض انه طبيب واذن له في طبه لأجل معرفته ضمن الطبيب ما جنت يده وكذلك ان وصف له دواء يستعمله والعليل يظن انه وصفه لمعرفته وحذقه فتلف به ضمنه والحديث ظاهر فيه اوصريح

(فصل) القسم الثالث طبيب حاذق اذن له واعطى الصنعة حقها لكنه اخطأت يده وتعدت الى عضو صحيح فاتلفه مثل ان سبقت يد الخاتن الى الكمرة فهذا

يضمن لأنها جناية خطأ ثم ان كانت الثلاث فما زاد فهو على عاقلته فان لم يكن عاقلته فهل تكون الدية في ماله او في بيت المال على قولين هما روايتان عن احمد وقيل ان كان الطبيب ذميا ففى ماله وان كان مسلما ففيه الروايتان فان لم يكن بيت المال او تعذر تحميله فهل تسقط الدية او تجب في مال الجاني فيه وجهان اشهرهما سقوطها

(فصل) القسم الرابع الطبيب الحاذق الماهر بصناعته اجتهد فوصف المريض دواء فاخطأ فى اجتهاده فقتله فهذا يخرج على روايتين احداهما ان دية المريض فى بيت المال والثانية انها على عاقلة الطبيب . وقد نص عليها الأمام احمد فى خطأ الأمام والحاكم

(فصل) القسم الخامس طبيب حاذق أعطى الصنعة حقها فقطع سلعة من رجل او صبي او مجنون بغير اذنه او اذن وليه او ختن صبيا بغير اذن وليه فتلف فقال بعض اصحابنا يضمن لانه تولد من فعل غير مأذون فيه وان اذن له البالغ او ولي الصبي والمجنون لم يضمن . ويحتمل ان لا يضمن مطلقا لأنه محسن وما على المحسنين من سبيل وايضا فانه ان كان متعديا فلا اثر لأذن الوليّ فى اسقاط الضمان وان لم يكن متعديا فلا وجه لضمانه . فان قلت هو متعد عند عدم الأذن غير متعد عند الأذن قلت العدوان وعدمه انما يرجع الى فعله هو فلا اثر للأذن وعدمه فيه وهذا موضع نظر .

(فصل) والطبيب في هذا الحديث يتناول من يطبه بوصفه وقوله وهو الذي يخص باسم الطبائعي وبمروده وهو الكحال وبمبضعه ومراهمه وهو الجرائحي وبموساه وهو الخاتن وبريشته وهو الفاصد وبمحاجمه ومشرطه وهو الحجام وبخلعه ووصله ورباطه وهو المجبر وبمكواته وناره وهو الكواء وبقربته وهو الحاقن وسواء كان طبه لحيوان بهيم او انسان فاسم الطبيب يطلق لغة على هؤلاء

كلهم كما تقدم وتخصيص الناس له ببعض انواع الأطباء عرف حادث كتخصيص لفظ الدابة بما يخصها به كل قوم

(فصل) والطبيب الحاذق هو الذي يراعي في علاجه عشرين امرا . احدها النظر فى نوع المرض من اي الامراض هو . الثانى النظر في سببه من اي شيء حدث والعلة الفاعلة التى كانت سبب حدوثه ماهي . الثالث قوة المريض وهل هي مقاومة للمرض او اضعف منه فان كانت مقاومة للمرض مستظهرة عليه تركها والمرض ولم يحرك بالدواء ساكنا . الرابع مزاج البدن الطبيعى ماهو . الخامس المزاج الحادث على غير المجرى الطبيعي . السادس سن المريض . السابع عادته . الثامن الوقت الحاضر من فصول السنة وما يليق به . التاسع بلد المريض وتربته العاشر حال الهواء فى وقت المرض . الحادي عشر النظر فى الدواء المضاد لتلك العلة . الثانى عشر النظر فى قوة الدواء ودرجته والموازنة بينهما وبين قوة المريض . الثالث عشر ان لا يكون كل قصده ازالة تلك العلة فقط بل ازالتها على وجه يأمن معه حدوث اصعب منها فمتى كان ازالتها لا يؤمن معها حدوث علة اخرى اصعب منها ابقاها على حالها وتلطيفها هو الواجب . وهذا كمرض افواه العروق فانه متى عولج بقطعه وحبسه خيف حدوث ماهو اصعب منه .

الرابع عشر ان تعالج بالأسهل فالأسهل فلا ينتقل من العلاج بالغذاء الى الدواء الا عند تعذره ولا ينتقل الى الدواء المركب الا عند تعذر الدواء البسيط . فمن سعادة الطبيب علاجه بالأغذية بدل الأدوية وبالأدوية البسيطة بدل المركبة .

الخامس عشر ان ينظر في العلة هل هي مما يمكن علاجها اولا فان لم يمكن علاجها حفظ صناعته وحرمته ولا يحمله الطمع على علاج لا يفيد شيئا وان امكن علاجها نظر هل يمكن زوالها ام لا فان علم انه لا يمكن زوالها نظر هل يمكن تخفيفها

وتقليلها ام لا فان لم يمكن تقليلها ورأى ان غاية الأمكان ايقافها وقطع زيادتها قصد بالعلاج ذلك واعان القوة واضعف المادة . السادس عشر ان لا يتعرض للخلط قبل نضجه باستفراغ بل يقصد انضاجه فاذا تم نضجه بادر الى استفراغه. (السابع عشر) ان يكون له خبرة بأعتلال القلوب والأرواح وادويتها وذلك اصل عظيم فى علاج الأبدان فان انفعال البدن وطبيعته عن النفس والقلب امر مشهود. والطبيب اذا كان عارفا بامراض القلب والروح وعلاجهما كان هو الطبيب الكامل والذي لا خبرة له بذلك وان كان حاذقا فى علاج الطبيعة واحوال البدن نصف طبيب. وكل طبيب لا يداوي العليل بتفقد قلبه وصلاحه وتقوية ارواحه وقواه بالصدقة وفعل الخير والأحسان والأقبال على الله والدار الآخرة فليس بطبيب بل متطبب قاصر. ومن اعظم علاجات المرض فعل الخير والاحسان والذكر والدعاء والتضرع والأبتهال الى الله والتوبة ولهذه الامور تأثير في دفع العلل وحصول الشفاء اعظم من الأدوية الطبيعية ولكن بحسب استعداد النفس وقبولها وعقيدتها فى ذلك ونفعه (الثامن عشر) التلطف بالمريض والرفق به كالتلطف بالصبي (التاسع عشر) ان يستعمل انواع العلاجات الطبيعية والآلهية والعلاج بالتخييل فان لحذاق الأطباء فى التخييل امورا عجيبة لا يصل اليها الدواء فالطبيب الحاذق يستعين على المرض بكل معين (العشرون) وهو ملاك امر الطبيب ان يجعل علاجه وتدبيره دائرا على ستة اركان حفظ الصحة الموجودة ورد الصحة المفقودة بحسب الامكان وازالة العلة او تقليلها بحسب الامكان واحتمال ادنى المفسدتين لأزالة اعظمهما وتفويت ادنى المصلحتين لتحصيل اعظمهما فعلى هذه الأصول الستة مدار العلاج. وكل طبيب لا تكون هذه أخيته التي يرجع اليها فليس بطبيب والله اعلم .

(فصل) ولما كان للمرض اربعة احوال ابتداء وصعود وانتهاء وانحطاط تعين على الطبيب مراعاة كل حال من احوال المرض بما يناسبها ويليق بها ويستعمل فى كل حال ما يجب استعماله فيها فاذا رأى فى ابتداء المرض ان الطبيعة محتاجة الى ما يحرك الفضلات ويستفرغها لنضجها بادر اليه فأن فاته تحريك الطبيعة فى ابتداء المرض لعائق منع من ذلك اولضعف القوة وعدم احتمالها للأستفراغ او لبرودة الفصل او لتفريط وقع فينبغي ان يحذر كل الحذر ان يفعل ذلك فى صعود المرض لأنه ان فعله تحيرت الطبيعة لأشتغالها بالدواء وتخلت عن تدبير المرض ومقاومته بالكلية. ومثاله ان يجئ الى فارس مشغول بمواقعة عدوه فيشغله عنه بامر آخر. ولكن الواجب فى هذه الحال ان يعين الطبيعة على حفظ القوة ما امكنه فاذا انتهى المرض ووقف وسكن اخذ فى استفراغه واستئصال اسبابه فاذا اخذ في الأنحطاط كان اولى بذلك. ومثال هذا مثال العدو اذا انتهت قوته وفرغ سلاحه كان اخذه سهلا فاذا ولّى واخذ في الهرب كان اسهل اخذاً وحدته وشوكته انما هي في ابتدائه وحال استفراغه وسعة قوته فهكذا الداء والدواء سواء

(فصل) ومن حذق الطبيب انه حيث امكن التدبير بالأسهل فلا يعدل الى الأصعب ويتدرج من الأضعف الى الأقوى الاّ ان يخاف فوت القوة حينئذ فيجب ان يبتدأ بالأقوى ولا يقيم فى المعالجة على حال واحدة فتألفها الطبيعة ويقل انفعالها عنه ولا تجسر على الأدوية القوية فى الفصول القوية وقد تقدم انه اذا امكنه العلاج بالغذاء فلا يعالج بالدواء. واذا اشكل عليه المرض أحار هو ام بارد فلا يقدم حتى يتبين له ولا يجربه بما يخاف عاقبته ولا بأس بتجربته بما لا يضر اثره واذا اجتمعت امراض بدأ بما تخصه واحدة من ثلاث خصال. احدها ان يكون برء الآخر موقوفاً علي برئه كالورم والقرحة فانه يبدأ بالورم.

الثاني ان يكون احدهما سببا للآخر كالسدة والحمى العفنة فانه يبدأ بازالة السبب . الثالث ان يكون احدهما اهم من الآخر كالحاد والمزمن فيبدأ بالحاد ومع هذا فلا يغفل عن الآخر واذا اجتمع المرض والعرض بدأ بالمرض الا ان يكون العرض اقوى كالقولنج فيسكن الوجع اولا ثم يعالج السدة واذا امكنه ان يعتاض عن المعالجة بالاستفراغ بالجوع او الصوم او النوم لم يستفرغه وكل صحة اراد حفظها حفظها بالمثل او الشبه وان اراد نقلها الى ماهو افضل منها نقلها بالضد

فصل في هديه صلى الله عليه وسلم فى التحرز من الأدواء المعدية بطبعها وارشاده الأصحاء الى مجانبة اهلها

ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله انه كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فارسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقد بايعناك وروى البخاري فى صحيحه تعليقا من حديث ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فر من المجذوم كما تفر من الأسد وفي سنن ابن ماجه من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتديموا النظر الى المجذومين. وفي الصحيحين من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايوردن ممرض على مصح ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح او رمحين . الجذام علة رديئة تحدث من انتشار المرة السوداء في البدن كله فيفسد مزاج الاعضاء وهيأتها وشكلها وربما فسد في آخره اوصالها حتى تتأ كل الاعضاء وتسقط ويسمى داء الاسد وفي هذه التسمية ثلاثة اقوال للاطباء . احدها انها لكثرة ما يعتري الاسد . والثانى لان هذه العلة تجهم وجه صاحبها وتجعله في سحنة الأسد . والثالث انه يفترس من يقربه او يدنو منه بدائه افتراس الأسد

وهذه العلة عند الاطباء من العلل المعدية المتوارثة ومقارب المجذوم وصاحب السل يسقم برائحته فالنبي صلى الله عليه وسلم لكمال شفقته على الأمة ونصحه لهم نهاهم عن الاسباب التي تعرضهم لوصول العيب والفساد الى اجسامهم وقلوبهم ولا ريب انه قد يكون فى البدن تهيؤ واستعداد كامن لقبول هذا الداء وقد تكون الطبيعة سريعة الانفعال قابلة للاكتساب من ابدان من تجاوره وتخالطه فانها نقالة وقد يكون خوفها من ذلك ووهمها من اكثر اسباب اصابة تلك العلة لها فان الوهم فعال مستول على القوى والطبائع. وقد تصل رائحة العليل الى الصحيح فتسقمه وهذا معاين فى بعض الامراض. والرائحة احد اسباب العدوى ومع هذا كله فلا بد من وجود استعداد البدن وقبوله لذلك الداء وقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فلما اراد الدخول بها وجد بكشحها بياضا فقال الحقى بأهلك وقد ظن طائفة من الناس ان هذه الاحاديث معارضة باحاديث آخر تبطلها وتناقضها فمنها ما رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بيد رجل مجذوم فادخلها معه في القصعة وقال كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه ورواه ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله وبما ثبت في الصحيح عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا عدوى ولا طيرة ونحن نقول لا تعارض بحمد الله بين احاديثه الصحيحة فاذا وقع التعارض فاما ان يكون احد الحديثين ليس من كلامه صلى الله عليه وسلم وقد غلط فيه بعض الرواة مع كونه ثقة ثبتا فالثقة يغلط او يكون احد الحديثين ناسخاً للآخر فاذا كان مما يقبل النسخ او التعارض فى فهم السامع لا نفس كلامه صلى الله عليه وسلم فلا بد من وجه من هذه الوجوه الثلاثة واما حديثان صحيحان صريحان متناقضان من كل وجه ليس احدهما ناسخا

للآخر فهذا لا يوجد اصلا ومعاذ الله ان يوجد في كلام الصادق والمصدوق
الذى لايخرج من بين شفتيه الاّ الحق ٣ والآفة من التقصير فى معرفة المنقول
والتمييز بين صحيحه ومعلوله اومن القصورفي فهم مراده صلى الله عليه وسلم
وحمل كلامه على غير ما عناه به او منهما معا ومن ههنا وقع من الاختلاف
والفساد ما وقع وبالله التوفيق. قال ابن قتيبة في كتاب اختلاف الحديث له حكاية
من اعداء الحديث واهله قالوا حديثان متناقضان رويتم عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لاعدوى ولاطيرة. وقيل له ان النقبة تقع بمشفر البعير فيجرب لذلك الابل قال
فما اعدى الاول ثم رويتم لا يورد ذوعاهة على مصح وفر من المجذوم فرارك من الأسد
واتاه رجل مجذوم ليبايعه على الأسلام فارسل اليه البيعة وامره بالأنصراف
ولم يأذن له وقال الشؤم فى المرأة والدار والدابة قالوا وهذا كله مختلف لا
يشبه بعضه بعضا قال ابو محمد ونحن نقول انه ليس في هذا اختلاف ولكل معنى
منها وقت وموضع فاذا وضع موضعه زال الأختلاف. والعدوى جنسان. احدهما
عدوي الجذام فان المجذوم يشتد رائحته حتى يسقم من اطال مجالسته ومحادثته وكذلك
المرأة تكون تحت المجذوم فتضاجعه في شعار واحد فيوصل اليها الاذى وربما
جذمت وكذلك ولده ينزعون في الكبر اليه وكذلك من كان به سل ودق
ونقب والاطباء تأمر ان لا يجالس المسلول ولا المجذوم ولا يريدون بذلك معنى
العدوى وانما يريدون به معنى تغير الرائحة وانها قد تسقم من اطال اشتمامها والاطباء
ابعد الناس عن الايمان بيمن وشؤم. وكذلك النقبة تكون بالبعير وهو جرب
رطب فاذا خالط الابل او حاكها واوى في مباركها وصل اليها بالماء الذى يسيل
منه وبالنطف نحو ما به فهذا هو المعنى الذى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم
لا يورد ذوعاهة على مصح كره ان يخالط المعتوه الصحيح لئلا يناله من نطفه

وخلقه نحوما به. قال واما الجنس الآخر من العدوى فهو الطاعون ينزل ببلد فيخرج منه خوف العدوى وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا وقع ببلد وانتم به فلا تخرجوا منه واذا كان ببلد فلا تدخلوه يريد بقوله لا تخرجوا من البلد اذا كان فيه كأنكم تظنون ان الفرار من قدر الله ينجيكم من الله ويريد اذا كان ببلد فلا تدخلوه اى مقامكم في الموضع الذى لا طاعون فيه اسكن لقلوبكم واطيب لعيشكم. ومن ذلك المرأة تعرف بالشؤم او الدار فينال الرجل مكروه او جائحة فيقول اعدتني بشؤمها فهذا هو العدوى الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى. وقالت فرقة اخرى بل الأمر باجتناب المجذوم والفرار منه على الأستحباب والأختيار والأرشاد واما الاكل معه ففعله لبيان الجواز وان هذا ليس بحرام وقالت فرقة اخرى بل الخطاب بهذين الخطابين جزئي لا كلي فكل واحد خاطبه النبي صلى الله عليه بما يليق بحاله فبعض الناس يكون قوي الايمان قوي التوكل يدفع قوة توكله قوة العدوى كما تدفع قوة الطبيعة قوة العلة فتبطلها وبعض الناس لا يقوى على ذلك فخاطبه بالأحتياط والأخذ بالتحفظ وكذلك صلى الله عليه وسلم فعل الحالتين معا لتقتدي به الأمة فيهما فيأخذ من قوي من امته بطريقة التوكل والثقة بالله ويأخذ من ضعف منهم بطريقة التحفظ والأحتياط وهما طريقان صحيحان احدهما للمؤمن القوى والآخر للمؤمن الضعيف فتكون لكل واحد من الطائفتين حجة وقدوة بحسب حالهم وما يناسبهم وهذا كما انه صلى الله عليه وسلم كوى وأثنى على تارك الكي وقرن تركه بالتوكل وترك الطيرة ولهذا نظائر كثيرة وهذه طريقة لطيفة حسنة جدا من اعطاها حقها ورزق فقه نفس فيها ازالت عنه تعارضا كثيرا يظنه بالسنة الصحيحة. وذهبت فرقة اخرى الى ان الأمر بالفرار منه ومجانبته لأمر طبيعي وهو انتقال الداء

منه بواسطة الملامسة والمخالطة والرائحة الى الصحيح وهذا يكون مع تكرير المخالطة والملامسة واما اكله معه مقداراً يسيراً من الزمان لمصلحة راجحة فلا بأس به ولا تحصل العدوى من مرة واحدة ولحظة واحدة فنهى سداً للذريعة وحماية للصحة وخالطه مخالطة ما للحاجة والمصلحة فلا تعارض بين الأمرين وقالت طائفة أخرى يجوز ان يكون هذا المجذوم الذى اكل معه به من الجذام امر يسير لا يعدى مثله وليس الجذمى كلهم سواء ولا العدوى حاصلة من جميعهم بل منهم من لا تضر مخالطته ولا تعدى وهو من اصابه من ذلك شيء يسير ثم وقف واستمر على حاله ولم يعد بقية جسمه فهو ان لا يعدى غيره اولى واحرى . وقالت فرقة اخرى ان الجاهلية كانت تعتقد ان الامراض المعدية تعدى بطبعها من غير اضافة الى الله سبحانه ابطل النبي صلى الله عليه وسلم اعتقادهم ذلك واكل مع المجذوم ليبين لهم ان الله سبحانه هو الذى يمرض ويشفى ونهى عن القرب منه ليتبين لهم ان هذه من الاسباب التى جعلها الله مفضية الى مسبباتها ففى نهيه اثبات الأسباب وفى فعله بيان انها لا تستقل بشيء بل الرب سبحانه ان شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئاً وان شاء ابقى عليها قواها فاثرت . وقالت فرقة اخرى بل هذه الأحاديث فيها الناسخ والمنسوخ فينظر فى تاريخها فان علم المتأخر منها حكم بانه الناسخ والا توقفنا فيها . وقالت فرقة اخرى بل بعضها محفوظ وبعضها غير محفوظ وتكلمت فى حديث لا عدوى وقالت قد كان ابو هريرة يرويه اولاً ثم شك فيه فتركه وراجعوه فيه وقالوا اه سمعناك تحدّث فابى ان يحدث به قال ابو سلمة فلا ادرى أنسي ابو هريرة ام نسخ احد الحديثين الأخر . واما حديث جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم اخذ بيد مجذوم فأدخلها معه فى القصعة فحديث لا يثبت ولا يصح وغاية ما قال فيه الترمذي انه غريب لم يصححه ولم يحسنه

وقد قال شعبة وغيره اتقوا هذه الغرائب قال الترمذي ويروي هذا من فعل عمر وهو اثبت. فهذا شأن هذين الحديثين اللذين عورض بهما احاديث النهي احدهما رجع ابو هريرة عن التحديث به وانكره والثاني لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم. وقد اشبعنا الكلام فى هذه المسألة في كتاب المفتاح بأطول من هذا وبالله التوفيق .

فصل في هديه صلى الله عليه وسلم فى المنع من التداوي بالمحرمات

روى ابو داود في سننه من حديث ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل الداء والدواء وجعل لكل دواء فتداووا ولا تداووا بالمحرم . وذكر البخاري في صحيحه عن ابي مسعود ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم وفي السنن عن ابى هريرة قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء الخبيث . وفي صحيح مسلم عن طارق بن سويد الجعفى انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه اوكره ان يصنعها فقال انما اصنعها للدواء فقال انه ليس بدواء ولكنه داء . وفي السنن انه صلى الله عليه وسلم سئل عن الخمر يجعل في الدواء فقال انها داء وليست بالدواء رواه ابو داود والترمذي . وفى صحيح مسلم عن طارق بن سويد الحضرمي قال قلت يارسول الله ان بارضنا اعنابا نعتصرها فنشرب منها قال لا فراجعته قلت انا نستشفي المريض قال ان ذلك ليس بشفاء ولكنه داء. وفى سنن النسائي ان طبيباً ذكر ضفدعاً فى دواء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاه عن قتلها. ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من تداوي بالخمر فلا شفاه الله . المعالجة بالمحرمات قبيحة عقلا وشرعاً اما الشرع فما ذكرنا من هذه الاحاديث وغيرها واما العقل فهو ان الله سبحانه انما حرمه لخبثه فانه لم يحرم على هذه الأمة طيبا عقوبة لها

كما حرمه على بني اسرائيل بقوله (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم) وانما حرم على هذه الأمة ما حرم لخبثه وتحريمه له حمية لهم وصيانة عن تناوله فلا يناسب ان يطاب به الشفاء من الأسقام والعلل فانه وان اثر في ازالتها لكنه يعقب سقما اعظم منه في القلب بقوة الخبث الذى فيه فيكون المداوى به قد سعى في ازالة سقم البدن بسقم القلب. وايضا فان تحريمه يقتضي تجنبه وابعد عنه بكل طريق وفي اتخاذه دواء حض على الترغيب فيه وملابسته وهذا ضد مقصود الشارع وايضا فانه داء كما نص عليه صاحب الشريعة فلا يجوز ان يتخذ دواء وايضا فانه يكسب الطبيعة والروح صفة الخبث لأن الطبيعة تنفعل عن كيفية الدواء انفعالاً بينا فاذا كانت كيفية خبيثة اكسب الطبيعة منه خبثا فكيف اذا كان خبيثاً في ذاته. ولهذا حرم الله سبحانه على عباده الأغذية والأشربة والملابس الخبيثة لما تكتسب النفس من هيأة الخبث وصفته وايضا فان فى اباحة التداوي به ولا سيما اذا كانت النفوس تميل اليه ذريعة الى تناول الشهوة واللذة لا سيما اذا عرفت النفوس انه نافع لها مزيل لأسقامها جالب اشفائها فهذا احب شيء اليها والشارع سد الذريعة الى تناوله بكل ممكن ولا ريب ان بين سد الذريعة الى تناوله وفتح الذريعة الى تناوله تناقضاً وتعارضاً وايضا فأن فى هذا الدواء المحرم من الأدواء ما يزيد على ما يظن فيه من الشفاء. وليفرض الكلام في ام الخبائث التى ماجعل الله لنا فيها شفاء قط فانها شديدة المضرة بالدماغ الذى هو مركز العقل عند الأطباء وكثير من الفقهاء والمتكلمين.

قال ابقراط فى اثناء كلامه فى الأمراض الحادة ضرر الخمرة بالرأس شديد لأنه يسرع الأرتفاع اليه ويرتفع بأرتفاعه الأخلاط التى تعلو في البدن وهو لذلك يضر بالذهن. وقال صاحب الكامل ان خاصية الشراب الأضرار بالدماغ والعصب

واما غيره من الأدوية المحرمة فنوعان احدهما تعافه النفس ولا تنبعث لمساعدته الطبيعة على دفع المرض كالسموم ولحوم الافاعي وغيرها من المستقذرات فيبقى كلاً على الطبيعة مثقلا لها فيصير حينئذ داء لادواء والثاني مالا تعافه النفس كالشراب الذي تستعمله الحوامل مثلا فهذا ضرره اكثر من نفعه والعقل يقضى بتحريم ذلك فالعقل والفطرة مطابق للشرع في ذلك. وههنا سر لطيف في كون المحرمات لا يستشفى بها فأن شرط الشفاء بالدواء تلقيه بالقبول واعتقاد منفعته وما جعل الله فيه من بركة الشفاء فان النافع هو المبارك وانفع الاشياء ابركها والمبارك من الناس أينما كان هو الذي ينتفع به حيث حل. ومعلوم ان اعتقاد المسلم تحريم هذه العين مما يحول بينه وبين اعتقاد بركتها ومنفعتها وبين حسن ظنه بها وتلقى طبعه لها بالقبول بل كلما كان العبد اعظم ايمانا كان اكره لها واسوأ اعتقاداً فيها وطبعه اكره شيء لها فاذا تناولها في هذه الحال كانت داء له لا دواء الا أن يزول اعتقاد الخبث فيها وسوء الظن والكراهة لها بالمحبة وهذا ينافي الايمان فلا يتناولها المؤمن قط الا على وجه داء والله اعلم

﴿ فصل في هديه صلى الله عليه وسلم فى علاج القمل ﴾
﴿ الذي فى الرأس وازالته ﴾

في الصحيحين عن كعب ابن عجرة قال كان بى أذى من رأسي فحملت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال ما كنت أرى الجهد قد بلغ بك ما أرى وفي رواية فأمره ان يحلق رأسه وان يطعم فرقاً بين ستة او يهدي شاة اويصوم ثلاثة أيام. القمل يتولد فى الرأس والبدن من شيئين خارج عن البدن وداخل فيه فالخارج الوسخ والدنس المركب في سطح الجسد والثاني من خلط ردئ عفن تدفعه الطبيعة بين الجلد واللحم فيتعفن بالرطوبة الدموية في البشرة

بعد خروجها من المسام فيكون منه القمل واكثر ما يكون ذلك بعد العلل والأسقام وبسبب الأوساخ وانما كان فى رؤس الصبيان اكثر لكثرة رطوباتهم وتعاطيهم الأسباب التى تولد القمل ولذلك حلق النبي صلى الله عليه وسلم رؤس بني جعفر. ومن اكبر علاجه حلق الرأس لينفتح مسام الأبخرة فتتصاعد الأبخرة الرديئة فتضعف مادة الخلط. وينبغي ان يطلى الرأس بعد ذلك بالأدوية التى تقتل القمل وتمنع تولده. وحلق الرأس ثلاثة انواع احدهما نسك وقربة. والثانى بدعة وشرك. والثالث حاجة ودواء فالاول الحلق في احد النسكين الحج اوالعمرة والثانى حلق الرأس لغير الله سبحانه كما يحلقها المريدون لشيوخهم فيقول احدهم انا حلقت رأسي لفلان وأنت حلقته لفلان وهذا بمنزلة ان يقول سجدت لفلان فان حلق الرأس خضوع وعبودية وذل ولهذا كان من تمام الحج حتى انه عند الشافعي رحمه الله ركن من اركانه لا يتم الا به فانه وضع النواصى بين يدي ربها خضوعاً لعظمته وتذللاً لعزته وهو من ابلغ انواع العبودية ولهذا كانت العرب اذا ارادت اذلال الأسير منهم وعتقه حلقوا رأسه واطلقوه فجاء شيوخ الضلال والمزاحمون للربوبية الذين أساس مشيختهم على الشرك والبدعة فارادوا من مريديهم ان يتعبدوا لهم فزينوا لهم كما زينوا لهم السجود لهم وسموه بغير اسمه وقالوا هو وضع الرأس بين يدي الشيخ ولعمر الله ان السجود لله هو وضع الرأس بين يديه سبحانه وزينوا لهم ان ينذروا لهم ويتوبوا لهم ويحلفوا بأسمائهم وهذا هو اتخاذهم أربابا وألهة من دون الله قال تعالى (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذا أنتم مسلمون)

واشرف العبودية عبودية الصلاة وقد تقاسمها الشيوخ والمتشبهون بالعلماء والجبابرة فاخذ الشيوخ منها اشرف مافيها وهو السجود وأخذ المتشبهون بالعلماء منها الركوع فاذا لقي بعضهم بعضاً ركع له كما يركع المصلي لربه سواء. واخذ الجبابرة منهم القيام فيقوم الأحرار والعبيد على رؤوسهم عبودية لهم وهم جلوس وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الامور الثلاثة على التفصيل فتعاطيها مخالفة صريحة له فنهى عن السجود لغير الله وقال لا ينبغي لأحد ان يسجد لأحد وأنكر على معاذ لما سجد له وقال مه وتحريم هذا معلوم من دينه بالضرورة وتجويز من جوز لغير الله مراغمة لله ورسوله وهو من ابلغ انواع العبودية فاذا جوز هذا النوع للبشر فقد جوز عبودية غير الله وقد صح انه قيل له الرجل يلقى اخاه أينحني له قال لا قيل أيلتزمه ويقبله قال لا قيل أيصافحه قال نعم وايضاً فالأنحناء عند التحية سجود ومنه قوله تعالى (وادخلوا الباب سجداً) اي منحنين والا فلا يمكن السجود والدخول على الجباه. وصح عنه النهي عن القيام وهو جالس كما تعظم الأعاجم بعضها بعضا حتى منع ذلك في الصلاة وامرهم اذا صلى جالساً ان يصلوا جلوساً وهم اصحاء لاعذر لهم لئلا يقوموا على رأسه وهو جالس مع ان قيامهم لله فكيف اذا كان القيام تعظيماً وعبودية لغيره سبحانه. والمقصود ان النفوس الجاهلة الضالة اسقطت عبودية الله سبحانه واشركت فيها من يعظمه من الخلق فسجدت لغير الله وركعت له وقامت بين يديه قيام الصلاة وحلفت بغيره ونذرت لغيره وحلقت لغيره وذبحت لغيره وطافت لغير بيته وعظمته بالحب والخوف والرجاء والطاعة كما يعظم الخالق بل اشد وسوت من تعبده من المخلوقين برب العالمين وهؤلاء هم المضادون لدعوة الرسل وهم الذين بربهم يعدلون وهم الذين يقولون وهم في النار مع آلهتهم يختصمون (تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب

العالمين) وهم الذين قال فيهم (ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حباً لله) وهذا كله من الشرك والله لا يغفر ان يشرك به فهذا فصل معترض في هديه في حلق الرأس ولعله اهم مما قصد من الكلام فيه والله اعلم

فصول

في هديه صلى الله عليه وسلم في العلاج بالأدوية الروحانية الالهية المفردة والمركبة منها ومن الأدوية الطبيعية

فصل في هديه صلى الله عليه وسلم فى علاج المصاب بالعين

روى مسلم فى صحيحه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وفي صحيحه ايضاً عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص في الرقية من الحمة والعين والنملة وفي الصحيحين من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق وفي سنن ابى داود عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين وفي الصحيحين عن عائشة قالت امرنى النبي صلي الله عليه وسلم أو أمر ان يسترقى من العين. وذكر الترمذي من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرقي أن أسماء بنت عميس قالت يارسول الله ان بنى جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم فقال نعم فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين. قال الترمذي حديث حسن صحيح وروى مالك رحمه الله عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال رأى عامر ابن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل فقال والله مارأيت كاليوم ولا جلد مخبأة عذراء قال فلبط سهل فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عامراً فتغيظ عليه وقال علام يقتل أحدكم اخاه ألا برّكت اغتسل له فغسل له عامر وجهه ويديه ومرفقيه

وركبتيه وأطراف رجليه وداخله ازاره فى قدح ثم صب عليه فراح مع الناس
وروى مالك رحمه الله ايضاً عن محمد بن ابى امامه بن سهل عن أبيه مرفوعاً
العين حق ولوكان شيء سابق القدر لسبقته العين فأذا استغسل احدكم فليغتسل
ووصله صحيح قال الترمذى يؤمر الرجل العائن بقدح فيدخل كفه في فيه
فيتمضمض ثم يمجه في القدح ويغسل وجهه في القدح ثم يدخل يده اليسرى
فيصب على ركبته اليمنى في القدح ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى
ثم يغسل داخله ازاره ولا يوضع القدح في الارض ثم يصب على رأس الرجل
الذي يصيبه من خلفه صبة واحدة. والعين عينان عين انسية وعين جنية فقد صح
عن أم سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في بيتها جارية في وجهها سعفة
فقال استرقوا لها فان بها النظرة قال الحسين بن مسعود الفراء وقوله سعفة اى
نظرة يعني من الجن يقول بها عين اصابتها من نظر الجن انفذ من أسنة الرماح
ويذكر عن جابر يرفعه ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر. وعن ابى
سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الجان ومن عين الانسان
فابطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل امر العين وقالوا انما ذلك أوهام
لاحقيقة لها وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل ومن أغلظهم حجاباً واكثفهم
طباعاً وأبعدهم من معرفة الأرواح والنفوس وصفاتها وافعالها وتأثيراتها. وعقلاء
الامم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع امر العين ولا تنكره وان اختلفوا فى
سببه وجهة تأثير العين فقالت طائفة ان العائن اذا تكيفت نفسه بالكيفية الرديئة
انبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيتضرر قالوا ولا يستنكر هذا كما لا
يستنكر انبعاث قوة سمية من الأفعى تتصل بالانسان فيهلك وهذا امر قد اشتهر
عن نوع من الأفاعي انها اذا وقع بصرها على الانسان هلك فكذلك العائن

وقالت فرقة اخرى لا يستبعد ان ينبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية فتتصل بالمعين وتتخلل مسام جسمه فيحصل له الضرر. وقالت فرقة اخرى قد أجرى الله العادة بخلق ما يشاء من الضرر عند مقابلة عين العائن لمن يعينه من غير ان يكون منه قوة ولاسبب ولا تأثير أصلاً وهذا مذهب منكري الاسباب والقوى والتأثيرات فى العالم وهؤلاء قد سدوا على انفسهم باب العلل والتأثيرات والاسباب وخالفوا العقلاء اجمعين. ولا ريب ان الله سبحانه خلق فى الأجسام والأرواح قوى وطبائع مختلفة وجعل فى كثير منها خواص وكيفيات مؤثرة ولايمكن العاقل انكار تأثير الأرواح في الأجسام فانه امر مشاهد محسوس وانت ترى الوجه كيف يحمر حمرة شديدة اذا نظر اليه من يحتشمه ويستحى منه ويصفر صفرة شديدة عند نظر من يخافه اليه وقد شاهد الناس من يسقم من النظر وتضعف قواه وهذا كله بواسطة تأثير الأرواح ولشدة ارتباطها بالعين نسبت اليها وليست هي الفاعلة وانما التأثير للروح. والأرواح مختلفة فى طبائعها وقواها وكيفياتها وخواصها. فروح الحاسد مؤذية للمحسود أذى بينا ولهذا امر الله سبحانه رسوله ان يستعيذ به من شره وتأثير الحاسد في اذى المحسود امر لا ينكره الا من هو خارج عن حقيقة الأنسانية وهو اصل الأصابة بالعين فان النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة وتقابل المحسود فتؤثر بتلك الخاصة وأشبه الاشياء بهذا الأفعى فان السم كامن فيها بالقوة فاذا قابلت عدوها انبعث منها قوة غضبية وتكيفت نفسها بكيفية خبيثة مؤذية فمنها ما تشتد كيفيتها وتقوى حتى تؤثر فى اسقاط الجنين ومنها ما يؤثر في طمس البصر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الأبتروذي الطفيتين من الحيات انهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبل ومنها ما تؤثر في الانسان كيفيتها بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة

خبث تلك النفس وكيفيتها الخبيثة المؤثرة والتأثير غير موقوف على الأتصالات الجسمية كما يظنه من قل علمه ومعرفته بالطبيعة والشريعة بل التأثير يكون تارة بالأتصال وتارة بالمقابلة وتارة بالرؤية وتارة بتوجه الروح نحو من يؤثر فيه وتارة بالأدعية والرقى والتعوذات وتارة بالوهم والتخيل ونفس العائن لايتوقف تأثيرها على الرؤية بل قد يكون اعمى فيوصف له الشيء فتؤثر نفسه فيه وان لم يره وكثير من العائنين يؤثر في المعين بالوصف من غير رؤية وقد قال تعالى لنبيه (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر) وقال (قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن النفاثات فى العقد ومن شر حاسد اذا حسد) فكل عائن حاسد وليس كل حاسد عائنا فلما كان الحاسد اعم من العائن كانت الأستعاذة منه استعاذة من العائن وهي سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تصيبه تارة وتخطئه تارة فان صادفته مكشوفا لا وقاية عليه أثرت فيه ولا بد وان صادفته حذرا شاكي السلاح لا منفذ فيه للسهام لم تؤثر فيه وربما ردت السهام على صاحبها وهذا بمثابة الرمي الحسى سواء فهذا من النفوس والأرواح وذاك من الأجسام والأشباح وأصله من اعجاب العائن بالشيء ثم يتبعه كيفية نفسه الخبيثة ثم تستعين على تنفيذ سمها بنظرة الى المعين وقد يعين الرجل نفسه وقد يعين بغير ارادته بل بطبعه وهذا اردى مايكون من النوع الأنسانى وقد قال أصحابنا وغيرهم من الفقهاء من عرف بذلك حبسه الأمام وأجرى له ماينفق عليه الى الموت وهذا هو الصواب قطعا (فصل) والمقصود العلاج النبوي لهذه العلة وهو انواع وقد روى ابو داود في سننه عن سهل بن حنيف قال مررنا بسيل فدخلت فاغتسلت فيه فخرجت محموما فنمي ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مروا ابا ثابت يتعوذ

قال فقلت ياسيدي والرقى صالحة فقال لارقية الا في نفس اوحمة او لدغة والنفس العين يقال اصابت فلانا نفس اى عين والنافس العائن واللدغة بدال مهملة وغير معجمة وهي ضربة العقرب ونحوها فمن التعوذات والرقي الأكثار من قراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب وآية االكرسي ومنها التعوذات النبوية نحو اعوذ بكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر مايعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر مايخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يارحمان (ومنها) اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون (ومنها) اللهم اني اعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامات من شر ماانت آخذ بناصيته اللهم انت تكشف المأتم والمغرم اللهم انه لا يهزم جندك ولا يخلف وعدك سبحانك وبحمدك (ومنها) اعوذ بوجه الله العظيم الذى لاشيء اعظم منه وبكلماته التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر وبأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر لااطيق شره ومن شر كل ذي شر انت آخذ بناصيته ان ربي علي صراط مستقيم (ومنها) اللهم انت ربي لا آله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة الا بالله اعلم ان الله علي كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا اللهم اني اعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم . وان شاء قال تحصنت بالله الذى لا آله الا هو آلهي وآله كل شيء واعتصمت بربي ورب كل شيء وتوكلت على الحي الذى لايموت واستدفعت الشر بلا حول ولا قوة

الابالله حسبي الله ونعم الوكيل حسبي الرب من العباد حسبي الخالق من المخلوق حسبي الرزاق من المرزوق حسبي الله هو حسبي حسبي الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا وليس وراء الله مرمى حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

ومن جرب هذه الدعوات والعوذ عرف مقدار منفعتها وشدة الحاجة اليها وهي تمنع وصول اثر العائن وتدفعه بعد وصوله بحسب قوة ايمان قائلها وقوة نفسه واستعداده وقوة توكله وثبات قلبه فانها سلاح والسلاح بضاربه .

(فصل) واذا كان العائن يخشى ضرر عينه واصابتها للمعين فليدفع شرها بقوله اللهم بارك عليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعامر بن ربيعة لما عان سهل ابن حنيف الا برّكت اى قلت اللهم بارك عليه ومما يدفع به اصابة العين قول ما شاء الله لا قوة الا بالله. روي هشام بن عروة عن ابيه انه كان اذا رأى شيئاً يعجبه او دخل حائطاً من حيطانه قال ما شاء الله لا قوة الا بالله ومنها رقية جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم التى رواها مسلم في صحيحه باسم الله ارقيك من كل داء يؤذيك من شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك باسم الله ارقيك. ورأى جماعة من السلف ان يكتب له الآيات من القرآن ثم يشربها قال مجاهد لا بأس ان يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض. ومثله عن ابي قلابة ويذكر عن ابن عباس انه امر ان يكتب لأمرأة يعسر عليها ولادها آيتين من القرآن ثم يغسل ويسقى وقال ايوب رأيت ابا قلابة كتب كتاباً من القرآن ثم غسله بماء وسقاه رجلا كان به وجع .

(فصل) ومنها ان يؤمر العائن بغسل مغابنه واطرافه وداخله ازاره وفيه قولان احدهما انه فرجه والثاني انه طرف ازاره الداخل الذى يلي جسده من الجانب

الأيمن ثم يصب على رأس المعين من خلفه بغتة وهذا مما لا يناله علاج الأطباء ولا ينتفع به من انكره او سخر منه او شك فيه او فعله مجربا لا يعتقد ان ذلك ينفعه واذا كان في الطبيعة خواص لا تعرف الاطباء عللها البتة بل هي عندهم خارجة عن قياس الطبيعة تفعل بالخاصية فما الذى ينكره زنادقتهم وجهلتهم من الخواص الشرعية هذا مع ان فى المعالجة بهذا الاستغسال ما تشهد له العقول الصحيحة وتقر لمناسبته فاعلم ان ترياق سم الحية في لحمها وان علاج تأثير النفس الغضبية في تسكين غضبها واطفاء ناره بوضع يدك عليه والمسح عليه وتسكين غضبه وذلك بمنزلة رجل معه شعلة من نار وقد اراد ان يقذفك بها فصببت عليها الماء وهى فى يده حتى طفئت ولذلك امر العائن ان يقول اللهم بارك عليه ليدفع تلك الكيفية الخبيثة بالدعاء الذى هو احسان الى المعين فان دواء الشيء بضده ولما كانت هذه الكيفية الخبيثة تظهر فى المواضع الرقيقة من الجسد لانها تطلب النفوذ فلا تجد ارق من المغابن وداخلة الازار ولا سيما ان كان كناية عن الفرج فاذا غسلت بالماء بطل تأثيرها وعملها فهذه المواضع للأرواح الشيطانية بها اختصاص. والمقصود ان غسلها بالماء يطفى تلك النارية ويذهب بتلك السمية وفيه امر آخر وهو وصول اثر الغسل الى القلب من أرق المواضع واسرعها تنفيذاً فيطفئ تلك النارية والسمية بالماء فيشفى المعين وهذا كما ان ذوات السموم اذا قتلت بعد لسعها خف اثر اللسعة عن الملسوع ووجد راحته فان انفسها تمد اذاها بعد لسعها وتوصله الى الملسوع فاذا قتلت خف الألم وهذا مشاهد وان كان من اسبابه فرح الملسوع واشتفاء نفسه بقتل عدوه فتقوى الطبيعة على الألم فتدفعه. وبالجملة غسل العائن يذهب تلك الكيفية التى ظهرت منه وانما ينفع غسله عند تكيف نفسه بتلك الكيفية. فان قيل فقد ظهرت مناسبة الغسل فما مناسبة

صب ذلك الماء على المعين قيل هو في غاية المناسبة فان ذلك الماء اطفأ تلك النارية
وابطل تلك الكيفية الرديئة من الفاعل فكما طفئت به النار القائمة بالفاعل طفئت
به وابطلت عن المحل المتأثر بعد ملابسته المؤثر العائن والماء الذى يطفاء به الحديد
يدخل في ادوية عدة طبيعية ذكرها الأطباء فهذا الذى طفئ به نارية العائن
لا يستنكر ان يدخل فى دواء يناسب هذا الدواء . وبالجملة فطب الطبائعية
وعلاجهم بالنسبة الى العلاج النبوى كطب الطرقية بالنسبة الى طبهم بل اقل
فأن التفاوت الذى بينهم وبين الأنبياء اعظم واعظم من التفاوت الذي بينهم
وبين الطرقية بما لا يدرك الأنسان مقداره فقد ظهر لك عقد الأخاء الذى
بين الحكمة والشرع وعدم مناقضة احدهما للآخر والله يهدي من يشاء الى الصواب
ويفتح لمن ادام قرع باب التوفيق منه كل باب وله النعمة السابقة والحجة البالغة
(فصل) ومن علاج ذلك ايضاً والأحتراز منه ستر محاسن من يخاف عليه العين
بما يردها عنه كما ذكر البغوي فى كتاب شرح السنة ان عثمان رضي الله عنه رأى
صبيا مليحاً فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين ثم قال في تفسيره ومعنى دسموا
نونته اي سودوا نونته والنونة النقرة التى تكون في ذقن الصبي الصغير .
وقال الخطابي في غريب الحديث له عن عثمان انه رأى صبياً تأخذه العين فقال دسموا
نونته فقال ابو عمر وسألت احمد بن يحيي عنه فقال اراد بالنونة النقرة التى فى
ذقنه والتدسيم التسويد اراد سودوا ذلك الموضع من ذقنه ليرد العين. قال ومن
هذا حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم وعلى
رأسه عمامة دسماء اي سوداء اراد الأستشهاد عن اللفظة ومن هذا اخذ الشاعر قوله

ما كان احوج ذا الكمال الى * عيب يوقيه من العين

(فصل) ومن الرقى التي ترد العين ما ذكر عن ابى عبد الله التياحي انه كان في

بعض اسفاره للحج او الغزو على ناقة فارهة وكان في الرفقة رجل عائن فما نظر الى شيء الا اتلفه فقيل لأبي عبد الله احفظ ناقتك من العائن فقال ليس له الى ناقتي سبيل فاخبر العائن بقوله فتحين غيبة ابي عبدالله فجاء الي رحله فنظر الى الناقة فاضطربت وسقطت فجاء ابو عبد الله فاخبر ان العائن قد عانها وهي كما ترى فقال داوني عليه فدل فوقف عليه وقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه وعلى احب الناس اليه فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير فخرجت حدقتا العائن وقامت الناقة لا بأس بها .

فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في العلاج العام لكل شكوى بالرقية الألهية

روى ابو داود في سننه من حديث ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشتكى منكم شيئاً او اشتكاه اخ له فليقل (ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك وامرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض واغفر لنا حوبنا وخطايانا انت رب الطيبين انزل رحمة من عندك وشفاء من شفائك على هذا الوجع) فيبرأ باذن الله وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم فقال جبريل عليه السلام (باسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك باسم الله ارقيك)

فان قيل فما تقولون في الحديث الذى رواه ابو داود لا رقية الا من عين او حمة والحمة ذوات السموم كلها فالجواب انه صلى الله عليه وسلم لم يرد به نفي جواز الرقية في غيرها بل المراد به لا رقية اولى وانفع منها في العين والحمة ويدل عليه سياق

الحديث فان سهل بن حنيف قال له لما اصابته العين أو في الرقي خير فقال لا رقية الا في نفس او حمة يدل عليه سائر احاديث الرقى العامة والخاصة وقد روى ابو داود من حديث انس قال قال رسول صلى الله عليه وسلم لارقية الاّ من عين او حمة او دم لايرقا وفى صحيح مسلم عنه ايضا رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقية من العين والحمة والنملة .

فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في رقية اللديغ بالفاتحة

أخرجا في الصحيحين من حديث ابى سعيد الخدرى قال انطلق نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من احياء العرب فاستضافوهم فابوا ان يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء فقال بعضهم لو اتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعلهم ان يكون عند بعضهم شيء فأتوهم فقالوا يا ايها الرهط ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه شيء فهل عند احد منكم من شيء فقال بعضهم نعم والله اني لأرقي ولكن استضفنا كم فلم تضيفونا فما أنا براق حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقرأ الحمد لله رب العالمين فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشى وما به قلبة قال فأوفوهم جُعلهم الذى صالحوهم عليه فقال بعضهم اقتسموا فقال الذى رقي لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذى كان فننظر ما يأمرنا فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ذلك فقال وما يدريك انها رقية ثم قال قد اصبتم اقتسموا واضربوا لى معكم سهما. وقد روى ابن ماجه فى سننه من حديث علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الدواء القرآن. ومن المعلوم ان بعض الكلام له خواص ومنافع مجربة فما الظن بكلام رب العالمين الذي فضله على كل كلام كفضل الله على خلقه الذي هو الشفاء

التام والعصمة النافعة والنور الهادى والرحمة العامة الذى لو انزل على جبل لتصدع من عظمته وجلالته قال تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) ومن ههنا لبيان الجنس لا للتبعيض هذا أصح القولين كقوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجراً عظيما) وكلهم من الذين آمنوا وعملوا الصالحات فما الظن بفاتحة الكتاب التى لم ينزل فى القرآن ولا في التوراة ولا فى الأنجيل ولا في الزبور مثلها المتضمنة لجميع معانى كتب الله المشتملة على ذكر اصول اسماء الرب ومجامعها وهي الله والرب والرحمن والرحيم واثبات المعاد وذكر التوحيدين توحيد الربوبية وتوحيد الالهية وذكر الافتقار الى الرب سبحانه في طلب الأعانة وطلب الهداية وتخصيصه سبحانه بذلك وذكر افضل الدعاء على الأطلاق وانفعه وافرضه وما العباد احوج شيءٍ اليه وهو الهداية الى صراطه المستقيم المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر به واجتناب مانهي عنه والأستقامة عليه الى الممات ويتضمن ذكر أصناف الخلائق وانقسامهم الى منعم عليه بمعرفته الحق والعمل به ومحبته وايثاره ومغضوب عليه بعدوله عن الحق بعد معرفته له وضال بعدم معرفته له وهؤلاء اقسام الخليقة مع تضمنها لأثبات القدر والشرع والأسماء والصفات والمعاد والنبوات وتزكية النفوس واصلاح القلوب وذكر عدل الله واحسانه والرد على جميع اهل البدع والباطل كما ذكرنا ذلك في كتابنا الكبير فى شرحها .

وحقيق بسورة هذا بعض شأنها ان يستشفى بها من الأدواء ويرقي بها اللديغ . وبالجملة فما تضمنته الفاتحة من اخلاص العبودية والثناء على الله وتفويض الأمر كله اليه والأستعانة به والتوكل عليه وسؤاله مجامع النعم كلها وهي الهداية التى تجلب النعم وتدفع النقم من اعظم الأدوية الشافية الكافية وقد قيل ان موضع الرقية منها (اياك نعبد واياك نستعين) ولا ريب ان هاتين الكلمتين من اقوى اجزاء

هذا الدواء فان فيهما من عموم التفريض والتوكل والألتجاء والأستعانة والأفتقار والطلب والجمع بين اعلى الغايات وهي عبادة الرب وحده واشرف الوسائل وهي الأستعانة به على عبادته ما ليس فى غيرها ولقد مر بي وقت بمكة سقمت فيه وفقدت الطبيب والدواء فكنت أتعالج بها آخذ شربة من ماء زمزم واقرؤها عليها مراراً ثم أشرب فوجدت بذلك البرء التام ثم صرت اعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع فأنتفع بها غاية الأنتفاع .

(فصل) وفى تأثير الرقى بالفاتحة وغيرها فى علاج ذوات السموم سر بديع فان ذوات السموم اثرت بكيفيات نفوسها الخبيثة كما تقدم وسلاحها حماتها التى تلدغ بها وهي لا تلدغ حتى تغضب فاذا غضبت ثار فيها السموم فتقذفه بالنهار وقد جعل الله سبحانه لكل داء دواء ولكل شيءٍ ضداً ونفس الراقي تفعل فى نفس المرقي فيقع بين نفسهما فعل وانفعال كما يقع بين الداء والدواء فتقوي نفس المرقي وقوته بالرقية على ذلك الداء فيدفعه بأذن الله. ومدار تأثير الأدوية والأدواء على الفعل والأنفعال وهو كما يقع بين الداء والدواء الطبيعيين يقع بين الداء والدواء الروحانيين والروحاني والطبيعي وفي النفث والتفل استعانة بتلك الرطوبة والهواء والنفس المباشر للرقية والذكر والدعاء فان الرقية تخرج من قلب الراقي وفمه فاذا صاحبها شيءٌ من اجزاء باطنه من الريق والهواء والنفس كانت اتم تاثيراً واقوى فعلا ونفوذاً ويحصل بالأزدواج بينهما كيفية مؤثرة شبيهة بالكيفية الحادثة عند تركيب الأدوية . وبالجملة فنفس الراقي تقابل تلك النفوس الخبيثة وتزيد بكيفية نفسه وتستعين بالرقية وبالنفس على ازالة ذلك الأثر وكلما كانت كيفية نفس الراقي اقوى كانت الرقية اتم واستعانته بنفثه كاستعانة تلك النفوس الرديئة بلسعها وفي النفس سر آخر فانه مما تستعين به

الأرواح الطيبة والخبيثة ولهذا تفعله السحرة كما يفعله اهل الأيمان قال تعالى ومن شر (النفاثات فى العقد) وذلك لأن النفس تتكيف بكيفية الغضب والمحاربة وترسل انفاسها سهاما لها وتمدها بالنفث والتفل الذى معه شيء من ريق مصاحب لكيفية مؤثرة. والسواحر تستعين بالنفث استعانة بينة وان لم يتصل بجسم المسحور بل ينفث على العقدة ويعقدها ويتكلم بالسحر فيعمل ذلك بالمسحور بتوسط الأرواح السفلية الخبيثة فتقابلها الروح الزكية الطيبة بكيفية الدفع والتكلم بالرقية وتستعين بالنفث فأيهما قوى كان الحكم له. ومقابلة الأرواح بعضها لبعض ومحاربتها وآلتها من جنس مقابلة الأجسام ومحاربتها وآلتها سواء بل الأصل فى المحاربة والتقابل للأرواح والأجسام آلتها وجندها ولكن من غلب عليه الحس لا يشعر بتأثيرات الأرواح وافعالها وانفعالاتها لاستيلاء سلطان الحس عليه وبعده من عالم الأرواح واحكامها وافعالها. والمقصود ان الروح اذا كانت قوية وتكيفت بمعاني الفاتحة واستعانت بالنفث والتفل قابلت ذلك الأثر الذى حصل من النفوس الخبيثة فازالته والله اعلم.

﴿ فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم في علاج لدغة العقرب بالرقية ﴾

روى ابن ابى شيبة فى مسنده من حديث عبد الله بن مسعود قال بينا رسول صلى الله عليه وسلم يصلى اذ سجد فلدغته عقرب في اصبعه فانصرف رسول صلى الله عليه وسلم وقال لعن الله العقرب ما تدع نبياً ولا غيره قال ثم دعا بأناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة في الماء والملح ويقرأ قل هو الله احد والمعوذتين حتى سكنت. في هذا الحديث العلاج بالدواء المركب من الأمرين الطبيعي والألهي فان فى سورة الأخلاص من كمال التوحيد العلمى الأعتقادى واثبات الأحدية لله المستلزمة نفي كل شركة عنه واثبات الصمدية المستلزمة لأثبات

كل كمال له مع كون الخلائق تصمد اليه في حوائجها اي تقصده الخليقة وتتوجه اليه علويها وسفليها ونفي الوالد والولد والكفؤ عنه المتضمن لنفي الأصل والفرع والنظير والمماثل مما اختصت به وصارت تعدل ثلث القرآن ففى اسمه الصمد اثبات كل الكمال وفي نفي الكفؤ التنزيه عن الشبيه والمثال وفي الأحد نفي كل شريك لذي الجلال وهذه الأصول الثلاثة هي مجامع التوحيد وفي المعوذتين الأستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا فان الأستعاذة من شر ما خلق تعم كل شر يستعاذ منه سواء كان فى الاجسام او الأرواح والأستعاذة من شر الغاسق وهو الليل وآيته وهو القمر اذا غاب يتضمن الأستعاذة من شر ما ينتشر فيه من الأرواح الخبيثة التي كان نور النهار يحول بينها وبين الأنتشار فلما اظلم الليل عليها وغاب القمر انتشرت وعاثت والأستعاذة من شر النفاثات في العقد تتضمن الأستعاذة من شر السواحر وسحرهن والأستعاذة من شر الحاسد تتضمن الأستعاذة من النفوس الخبيثة المؤذية بحسدها ونظرها والسورة الثانية تتضمن الأستعاذة من شر شياطين الأنس والجن فقد جمعت السورتان الأستعاذة من كل شر ولهما شأن عظيم في الأحتراس والتحصن من الشرور قبل وقوعها ولهذا اوصى النبي صلى الله عليه وسلم عقبة بن عامر بقراءتهما عقب كل صلاة ذكره الترمذى فى جامعه . وفي هذا سر عظيم في استدفاع الشرور من الصلاة الى الصلاة وقال ما تعوذ المتعوذون بمثلهما وقد ذكر انه صلى الله عليه وسلم سحر في احدى عشرة عقدة وان جبريل نزل عليه بهما فجعل كلما يقرأ آية منهما انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها وكأنما نشط من عقال . واما العلاج الطبيعي فيه فان فى الملح نفعاً لكثير من السموم ولاسيما لدغة العقرب قال صاحب القانون يضمد به مع بذر الكتان للسع العقرب وذكره غيره أيضا وفى الملح من القوة الجاذبة

المحللة ما يجذب السموم ويحللها ولما كان في لسعها قوة نارية تحتاج الى تبريد وجذب واخراج جمع بين الماء المبرد لنار اللسعة والملح الذى فيه جذب واخراج وهذا أتم ما يكون من العلاج وأيسره وأسهله وفيه تنبيه على ان علاج هذا الداء بالتبريد والجذب والاخراج والله اعلم . وقد روي مسلم فى صحيحه عن ابي هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله مالقيت من عقرب لدغتني البارحة فقال أما لو قلت حين امسيت (اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك) واعلم ان الأدوية الألهية تنفع من الداء بعد حصوله وتمنع من وقوعه وان وقع لم يقع وقوعاً مضراً وان كان مؤذياً. والأدوية الطبيعية انما تنفع بعد حصول الداء فالتعوذات والأذكار اما ان تمنع وقوع هذه الأسباب واما ان تحول بينها وبين كمال تأثيرها بحسب كمال المتعوذ وقوته وضعفه فالرقي والعوذ تستعمل لحفظ الصحة ولأزالة المرض . اما الاول فكما فى الصحيحين من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى الى فراشه نفث فى كفيه بقل هو الله احد والمعوذتين ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يده من جسده وكما في حديث عوذة أبي الدرداء المرفوع اللهم انت ربي لا آله الا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم وقد تقدم . وفيه من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسى ومن قالها آخر نهاره لم تصبه مصيبة حتى يصبح وكما في الصحيحين من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليله كفتاه وكما في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من نزل منزلا فقال اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيئ حتى يرتحل من منزله ذلك. وكما فى سنن ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في السفر يقول بالليل ياأرض ربى وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر

ما يدب عليك اعوذ بالله من اسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن ساكن البلد ومن والد وماولد.

واما الثاني فكما تقدم من الرقية بالفاتحة والرقية للعقرب وغيرها مما يأتي .

﴿ فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في رقية النملة ﴾

قد تقدم من حديث أنس الذي في صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم رخص في الرقية من الحمة والعين والنملة. وفي سنن أبي داود عن الشفاء بنت عبد الله قالت دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا عند حفصة فقال الا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة. النملة قروح تخرج في الجنبين وهو داء معروف وسمي نملة لأن صاحبه يحس في كلامه كأن نملة تدب عليه وتعضه .

واصنافها ثلاثة قال ابن قتيبة وغيره كان المجوس يزعمون ان ولد الرجل من اخته اذا حط على النملة شفي صاحبها ومنه قول الشاعر

ولا عيب فينا غير حط لمشعر * كرام وانا لانحط على النمل

وروي الخلال ان الشفاء بنت عبد الله كانت ترقى في الجاهلية من النملة فلما هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم وكانت قد بايعته بمكة قالت يارسول الله اني كنت ارقى في الجاهلية من النملة واني اريد ان اعرضها عليك فعرضتها فقالت بسم الله صلت حتى يعود من افواهها ولا تضر احد اللهم اكشف الباس ورب الناس قال ترقى بها على عود سبع مرات وتقصد مكانا نظيفا وتدلكه على حجر بخل خمر حاذق وتطليه على النملة. وفي الحديث دليل على جواز تعليم النساء الكتابة

﴿ فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في رقية الحية ﴾

قد تقدم قوله لارقية الافي عين اوحمة الحمة بضم الحاء وفتح الميم وتخفيفها وفي سنن ابن ماجه من حديث عائشة رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقية

من الحية والعقرب ويذكر عن ابن شهاب الزهري قال لدغ بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حية فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل من راق فقالوا يارسول الله ان آل حزم كانوا يرقون رقية الحية فلما نهيت عن الرقي تركوها فقال ادعوا عمارة بن حزم فدعوه فعرض عليه رقاه فقال لابأس بها فأذن له فيها فرقاه

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم فى رقية القرحة والجرح)

اخرجا في الصحيحين عن عائشة قالت كان رسول صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى الأنسان او كانت به قرحة او جرح قال بأصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا ليشفي سقيمنا بأذن ربنا . هذا من العلاج السهل الميسر النافع المركب وهي معالجة لطيفة يعالج بها القروح والجراحات الطرية لا سيما عند عدم غيرها من الأدوية اذ كانت موجودة بكل أرض. وقد علم ان طبيعة التراب الخالص باردة يابسة مجففة لرطوبات القروح والجراحات التى تمنع الطبيعة من جودة فعلها وسرعة اندمالها لاسيما فى البلاد الحارة واصحاب الأمزجة الحارة. فان القروح والجراحات يتبعها في اكثر الأمر سوء مزاج حار فيجتمع حرارة البلد والمزاج والجراح وطبيعة التراب الخالص باردة يابسة أشد من برودة جميع الأدوية المفردة الباردة فتقابل برودة التراب حرارة المرض لا سيما ان كان التراب قدغسل وجفف ويتبعها ايضاً كثرة الرطوبات الرديئة والسيلان والتراب مجفف لها مزيل لشدة يبسه وتجفيفه المرطوبة الرديئة المانعة من برئها ويحصل به مع ذلك تعديل مزاج العضو العليل ومتى اعتدل مزاج العضو قويت قواه المدبرة ودفعت عنه الألم بأذن الله. ومعنى الحديث انه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء فيمسح به على الجرح ويقول هذا الكلام لما

فيه من بركة اسم الله وتفويض الأمر اليه والتوكل عليه فينضم احد العلاجين
الى الآخر فيقوي التأثير وهل المراد بقوله تربة ارضنا جميع الارض أو أرض
المدينة خاصة فيه قولان ولا ريب ان من التربة ما تكون فيه خاصية ينفع
بخاصيته من أدواء كثيرة ويشفى بها اسقاماً رديئة قال جالينوس رأيت بالأسكندرية
مطحولين ومستسقين كثيرا يستعملون طين مصر ويطلون به على سوقهم وافخاذهم
وسواعدهم وظهورهم واضلاعهم فينتفعون به منفعة بينة قال وعلى هذا النحو
فقد يقع هذا الطلاء للأورام العفنة والمترهلة الرخوة. قال وانى لأعرف قوماً
ترهلت ابدانهم كلها من كثرة استفراغ الدم من أسفل انتفعوا بهذا الطين نفعاً
بينا وقوماً آخرين شفوا به اوجاعاً مزمنة كانت متمكنة في بعض الأعضاء تمكنا
شديداً فبرأت وذهبت أصلا. وقال صاحب الكتاب المسيحي قوة الطين المجلوب
من كنوس وهي جزيرة المصطكى قوة تجلو او تغسل وتنبت اللحم في القروح
وتختم القروح انتهى. واذا كان هذا في هذه التربات فما الظن باطيب تربة على
وجه الارض وابركها وقد خالطت ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقارنت
رقيته باسم ربه وتفويض الأمر اليه وقد تقدم ان قوى الرقية وتأثيرها بحسب
الراقي وانفعال المرقي عن رقيته وهذا امر لا ينكره طبيب فاضل عاقل مسلم
فان انتفى أحد الاوصاف فليقل ما شاء.

فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج الوجع بالرقية

روى مسلم في صحيحه عن عثمان بن ابي العاص انه شكى الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجعاً يجده في جسده منذ اسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ضع
يدك على الذى تألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات اعوذ بعزة
الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر. ففى هذا العلاج من ذكر اسم الله والتفويض

اليه والاستعاذة بعزته وقدرته من شر الألم مايذهب به. وتكراره ليكون انجم
وابلغ كتكرار الدواء لاخراج المادة وفي السبع خاصية لاتوجد فى غيرها وفي الصحيحين
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعود بعض اهله يمسح عليه بيده اليمنى ويقول اللهم رب
الناس اذهب الباس واشف انت الشافي لاشفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما
ففى هذه الرقية توسل الى الله بكمال ربوبيته وكمال رحمته بالشفاء وانه وحده
الشافى وانه لا شفاء الا شفاؤه فتضمنت التوسل اليه بتوحيده واحسانه وربوبيته

فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم في علاج حر المصيبة وحزنها

قال تعالى (وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون) وفى المسند عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال ما من احد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون
اللهم اجرنى في مصيبتى واخلف لى خيراً منها الا آجره الله في مصيبته واخلف
له خيرا منها وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب وانفعه له في عاجلته وآجلته فانها
تتضمن أصلين عظيمين اذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته. احدهما ان
العبد واهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة وقد جعله عند العبد عارية فأذا
اخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير وايضا فانه محفوف بعدمين عدم
قبله وعدم بعده وملك العبد له متعه معاره في زمن يسير. وايضاً فأنه ليس هو الذى
اوجده عن عدمه حتى يكون ملكه حقيقة ولا هو الذى يحفظه من الآفات
بعد وجوده ولا يبقى عليه وجوده فليس له فيه تأثير ولا ملك حقيقى وايضاً
فانه متصرف فيه بالأمر تصرف العبد المأمور المنهى لا تصرف الملاك ولهذا
لايباح له من التصرفات فيه الا ما وافق امر مالكه الحقيقى. والثاني ان مصير
العبد ومرجعه الى الله مولاه الحق ولا بد ان يخلف الدينار وراء ظهره ويجيء ربه

فرداً كما خلقه اول مرة بلا اهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات. فأذا كانت هذه بداية العبد وما خوله ونهايته فكيف يفرح بموجود او يأسى على مفقود ففكرة العبد في مبدئه ومعاده من اعظم علاج هذا الداء. ومن علاجه ان يعلم علم اليقين ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه قال تعالى (ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور) ومن علاجه ان ينظر الى ما اصيب به فيجد ربه قد ابقى عليه مثله او افضل منه وأدخر له ان صبر ورضي ما هو اعظم من فوات ذلك المصيبة بأضعاف مضاعفة وانه لو شاء لجعلها اعظم مما هي. ومن علاجه ان يطفي نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب وليعلم انه في كل واد بنو سعد ولينظر يمنة فهل يرى الا محنة ثم ليعطف يسرة فهل يرى الا حسرة وانه لو فتش العالم لم ير فيهم الا مبتلى اما بفوات محبوب او حصول مكروه وان سرور الدنيا احلام نوم او كظل زائل ان اضحكت قليلا ابكت كثيراً وان سرت يوماً ساءت دهراً وان متعت قليلاً منعت طويلاً وما ملأت داراً خيرة الا ملأتها عبرة ولا سرته بيوم سرور الا خبأت له يوم شرور. قال ابن مسعود رضي الله عنه لكل فرحة ترحة وما ملئ بيت فرحاً الا ملئ ترحاً. وقال ابن سيرين ما كان ضحك قط الا كان من بعده بكاء. وقالت هند بنت النعمان لقد رأيتنا ونحن من اعز الناس واشدهم ملكا ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن اقل الناس وانه حق على الله ان لا يملأ داراً خيرة الا ملأها عبرة. وسألها رجل ان تحدثه عن امرها فقالت اصبحنا ذات صباح وما في العرب احد الا يرجونا ثم أمسينا وما في العرب احد الا يرحمنا وبكت أختها حرقة بنت النعمان يوما وهي في عزها

فقيل لها ما يبكيك لعل احداً آذاك قالت لا ولكن رأيت غضارة في اهلي وقلما امتلأت دار سروراً الا امتلأت حزناً قال اسحق بن طلحة دخلت عليها يوماً فقلت لها كيف رأيت عبرات الملوك فقالت ما نحن فيه اليوم خير مما كنا فيه بالأمس انا نجد في الكتب انه ليس من اهل بيت يعيشون فى خيرة الا سيعقبون بعدها عبرة وان الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه الا بطن لهم بيوم يكرهونه ثم قالت

فبينا نسوس الناس والأمر امرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف

ومن علاجها ان يعلم ان الجزع لا يردها بل يضاعفها وهو في الحقيقة من تزايد المرض. ومن علاجها ان يعلم ان فوت ثواب الصبر والتسليم وهو من الصلاة والرحمة والهداية التى ضمنها الله على الصبر والأسترجاع اعظم من المصيبة فى الحقيقة. ومن علاجها ان يعلم ان الجزع يشمت عدوه ويسؤ صديقه ويغضب ربه ويسر شيطانه ويحبط اجره ويضعف نفسه. واذا صبر واحتسب اقصى شيطانه ورده خاسئاً وارضى ربه وسر صديقه وساء عدوه وحمل عن اخوانه وعزاهم هو قبل ان يعزوه فهذا هو الثبات والكمال الأعظم لا لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور والسخط على المقدور. ومن علاجها ان يعلم ان ما يعقبه الصبر والأحتساب من اللذة والمسرة اضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما اصيب به لو بقي عليه ويكفيه من ذلك بيت الحمد الذى يبني له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه فلينظر ايّ المصيبتين اعظم مصيبة العاجلة او مصيبة فوات بيت الحمد في جنة الخلد. وفي الترمذى مرفوعاً يودّ ناس يوم القيامة ان جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا لما يرون من ثواب اهل البلاء. وقال بعض السلف لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس. ومن علاجها ان يروح قلبه بروح رجاء الخلف من

الله فانه من كل شيء عوض الا الله فما منه عوض كما قيل

من كل شيء اذا ضيعته عوض * وما من الله ان ضيعته عوض

ومن علاجها ان يعلم ان حظه من المصيبة ما يحدثه له فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط فحظك منها ما احدثته لك فاختر اما خير الحظوظ او شرها فان احدثت له سخطاً وكفراً كتب في ديوان الهالكين وان احدثت له جزعاً وتفريطاً في ترك واجب او في فعل محرم كتب في ديوان المفرطين وان احدثت له شكاية وعدم صبر كتب في ديوان المغبونين وان احدثت له اعتراضاً على الله وقدحاً في حكمته فقد قرع باب الزندقة أو ولجه وان احدثت له صبراً وثباتاً لله كتب في ديوان الراضين وان احدثت له الحمد والشكر كتب في ديوان الشاكرين وكان تحت لواء الحمد مع الحمادين وان احدثت له محبة واشتياقاً الى لقاء ربه كتب في ديوان المحبين المخلصين. وفي مسند الامام احمد والترمذى من حديث محمود بن لبيد يرفعه ان الله اذا احب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط زاد أحمد ومن جزع فله الجزع. ومن علاجها أن يعلم انه وان بلغ فى الجزع غايته فآخر امره الى صبر الأضطرار وهو غير محمود ولا مثاب. قال بعض الحكماء العاقل يفعل فى اول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد ايام. ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم وفي الصحيح مرفوعاً الصبر عند الصدمة الأولى. وقال الأشعث ابن قيس انك ان صبرت ايماناً واحتساباً والأسلوت سلو البهائم. ومن علاجها أن يعلم ان أنفع الأدوية له موافقة ربه وآلهه فيما احبه ورضيه له وان خاصية المحبة وسرها موافقة المحبوب فمن ادعى محبة محبوب ثم سخط ما يحبه واحب ما يسخط فقد شهد على نفسه بكذبه وتمقت الى محبوبه. وقال ابو الدرداء ان الله اذا قضى قضاء أحب ان يرضي به وكان عمران بن الحصين يقول في علته أحبه الي

احبه اليه وكذلك قال ابو العالية . وهذا دواء وعلاج لا يعمل الا مع المحبين ولا يمكن كل احد ان يتعالج به . ومن علاجها ان يوازن بين اعظم اللذتين والتمتعين وأدومهما لذة تمتعه بما اصيب به ولذة تمتعه بثواب الله له فان ظهر له الرجحان فآثر الراجح فليحمد الله على توفيقه وان آثر المرجوح من كل وجه فليعلم ان مصيبته فى عقله وقلبه ودينه اعظم من مصيبته التي اصيب بها فى دنياه . ومن علاجها ان يعلم ان الذى ابتلاه بها احكم الحاكمين وارحم الراحمين وانه سبحانه لم يرسل اليه البلاء ليهلكه ولا ليعذبه به ولا ليجتاحه وانما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وايمانه وليسمع تضرعه وابتهاله وليراه طريحاً ببابه لائذاً بجنابه مكسور القلب بين يديه رافعاً قصص الشكوى اليه قال الشيخ عبد القادر يابني ان المصيبة ما جاءت لتهلكك وانما جاءت لتمتحن صبرك وايمانك يابني القدر سبع والسبع لا يأكل الميتة . والمقصود ان المصيبة كير العبد الذى يسبك به حاصله فاما ان يخرج ذهباً أحمر واما ان يخرج خبثاً كله كما قيل

سبكناه ونحسبه لجينا * فابدى الكير عن خبث الحديد

فان لم ينفعه هذا الكير في الدنيا فبين يديه الكير الأعظم فاذا علم العبد ان ادخاله كير الدنيا ومسبكها خير له من ذلك الكير والمسبك وانه لابد من احد الكيرين فليعلم قدر نعمة الله عليه في الكير العاجل . ومن علاجها ان يعلم انه لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من ادواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلا فمن رحمة ارحم الراحمين ان يتفقده فى الأحيان بانواع من ادوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء وحفظاً لصحة عبوديته واستفراغا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلى بنعمائه كما قيل

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

فلولا انه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والأبتلاء لطغوا وبغوا وعتوا والله سبحانه اذا أراد بعبد خيرا سقاه دواء من الأبتلاء والأمتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة حتى اذا هذبه ونقاه وصفاه اهّله لأشرف مراتب الدنيا وهي عبوديته وارفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه . ومن علاجها ان يعلم ان مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة يقلبها الله سبحانه كذلك. وحلاوة الدنيا بعينها مرارة الآخرة ولأن ينتقل من مرارة منقطعة الى حلاوة دائمة خير له من عكس ذلك . فان خفي عليك هذا فانظر الى قول الصادق المصدوق حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات. وفي هذا المقام تفاوتت عقول الخلائق وظهرت حقائق الرجال فاكثرهم آثر الحلاوة المنقطعة على الحلاوة الدائمة التى لا تزول ولم يحتمل مرارة ساعة بحلاوة الأبد ولاذل ساعة لعز الأبد ولا محنة ساعة لعافية الأبد فان الحاضر عنده شهادة والمنتظر غيب والأيمان ضعيف وسلطان الشهوة حاكم فتولد من ذلك ايثار العاجلة ورفض الآخرة وهذا حال النظر الواقع على ظواهر الأمور واوائلها ومباديها. واما النظر الثاقب الذي يخرق حجب العاجلة ويجاوزه الى العواقب والغايات فله شأن آخر فادع نفسك الى ما أعد الله لأوليائه واهل طاعته من النعيم المقيم والسعادة الأبدية والفوز الأكبر وما اعد لأهل البطالة والأضاعة من الخزي والعقاب والحسرات الدائمة ثم اختر أي القسمين أليق بك وكل يعمل على شاكلته وكل احد يصبو الى ماينا سبه وما هو الأولى به ولا تستطل هذا العلاج فشدة الحاجة اليه من الطبيب والعليل دعت الى بسطه وبالله التوفيق

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج الكرب والهم والغم والحزن)

اخرجا في الصحيحين من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا آله الا الله العظيم الحليم لا آله الا الله رب العرش العظيم لا آله الا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم. وفي جامع الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر قال (ياحي ياقيوم برحمتك استغيث) وفيه عن ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أهمه الامر رفع طرفه الى السماء فقال (سبحان الله العظيم) واذا اجتهد فى الدعاء قال (ياحي ياقيوم) وفي سنن ابى داود عن ابى بكر الصديق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوات المكروب (اللهم رحمتك ارجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لى شأنى كله لا آله الا انت. وفيها ايضاً عن اسماء بنت عميس قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك كلمات تقوليهن عند الكرب اوفى الكرب (الله ربي لا اشرك به شيئاً) وفي رواية انها تقال سبع مرات. وفي مسند الأمام احمد عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اصاب عبداً هم ولا حزن فقال (اللهم انى عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احداً من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي) الاَّ اذهب الله حزنه وهمه وابدله مكانه فرحاً وفي الترمذي عن سعد بن ابى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة ذي النون اذ دعا ربه وهو في بطن الحوت (لا آله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين) لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط الا استجيب له وفي رواية انى لأعلم كلمة

لايقولها مكروب الا فرج الله عنه كلمة اخي يونس وفي سنن ابي داود عن ابي داود عن ابى سعيد الخدري قال يا ابا أمامة مالي اراك فى المسجد فى غير وقت الصلاة فقال هموم لزمتنى وديون يا رسول الله فقال الا اعلمك كلاماً اذا انت قلته اذهب الله عز وجل همك وقضى دينك قال قلت بلى يارسول الله قال قل اذا اصبحت واذا امسيت اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال ففعلت ذلك فأذهب الله عز وجل همي وقضى عني ديني. وفى سنن ابي داود عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لزم الأستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب. وفي المسند ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة وقد قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وفى السنن عليكم بالجهاد فانه من ابواب الجنة يدفع الله به عن النفوس الهم والغم. ويذكر عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من كثرت همومه وغمومه فليكثر من قول لاحول ولا قوة الا بالله. وثبت في الصحيحين انها كنز من كنوز الجنة. وفي الترمذي انها باب من ابواب الجنة . هذه الأدوية تتضمن خمسة عشر نوعاً من الدواء فان لم تقو على اذهاب داء الهم والغم والحزن فهو داء قد استحكم وتمكنت اسبابه ويحتاج الى استفراغ كلي الأول توحيد الربوبية الثانى توحيد الآلهية الثالث التوحيد العلمي الأعتقاد الرابع تنزيه الرب تعالى عن ان يظلم عبده او يأخذه بلا سبب من العبد يوجب ذلك. الخامس اعتراف العبد بانه هو الظالم السادس التوسل الى الرب تعالى بأحب الأشياء اليه وهو اسماؤه وصفاته. ومن اجمعها لمعاني الأسماء والصفات الحي القيوم. السابع الأستعانة به وحده الثامن اقرار

العبد له بالرجاء. التاسع تحقيق التوكل عليه والتفويض اليه والأعتراف له بأن ناصيته فى يده يصرفه كيف يشاء وانه ماض فيه حكمه عدل فيه قضاؤه. العاشر ان يرتع قلبه في رياض القرآن ويجعله لقلبه كالربيع للحيوان وان يستضيء به في الشبهات والشهوات وان يتسلى به عن كل فائت ويتعزى به عن كل مصيبة ويستشفى به من ادواء صدره فيكون جلاء حزنه وشفاء همه وغمه. الحادي عشر الأستغفار. الثانى عشر التوبة. الثالث عشر الجهاد. الرابع عشر الصلاة. الخامس عشر البراءة من الحول والقوة وتفويضهما الى من هما بيده

فصل في بيان جهة تأثير هذه الأدوية فى هذه الأمراض

خلق الله سبحانه ابن آدم واعضاءه وجعل لكل عضو منها كمالاً اذا فقده أحس بالألم وجعل لملكها وهو القلب كمالا اذا فقده حضرته أسقامه وآلامه من الهموم والغموم والأحزان فاذا فقدت العين ما خلقت له من قوة الأبصار وفقدت الأذن ما خلقت له من قوة السمع واللسان ما خلق له من قوة الكلام فقدت كمالها والقلب خلق لمعرفة فاطره ومحبته وتوحيده والسرور به والأبتهاج بحبه والرضا عنه والتوكل عليه والحب فيه والبغض فيه والموالاة فيه والمعاداة فيه ودوام ذكره ان يكون أحب اليه من كل ما سواه وأرجى عنده من كل ما سواه وأجل في قلبه من كل ما سواه ولا نعيم له ولا سرور ولا لذة بل ولا حياة الا بذلك وهذا له بمنزلة الغذاء والصحة والحياة فاذا فقد غذاءه وصحته وحياته فالهموم والغموم والأحزان مسارعة من كل صوب اليه ورهن مقيم عليه ومن اعظم ادوائه الشرك والذنوب والغفلة والأستهانة بمحابه ومراضيه وترك التفويض اليه وقلة الأعتماد عليه والركون الى ماسواه والسخط بمقدوره والشك في وعده ووعيده واذا تأملت امراض القلب وجدت هذه الامور وامثالها

هي اسبابها لا سبب لهاسواها فدواؤه الذى لا دواء له سواه ما تضمنته هذه العلاجات النبوية من الأمور المضادة لهذا الأدواء فان المرض يزال بالضد والصحة تحفظ بالمثل فصحته تحفظ بهذه الأمور النبوية وأمراضه باضدادها. فالتوحيد يفتح للعبد باب الخير والسرور واللذة والفرح والأبتهاج . والتوبة استفراغ للأخلاط والمواد الفاسدة التي هي سبب اسقامه وحمية له من التخليط فهي تغلق عنه باب الشرور فيفتح له باب السعادة والخير بالتوحيد ويغلق باب الشرور بالتوبة والاستغفار . قال بعض المتقدمين من أئمة الطب من اراد عافية الجسم فليقلل من الطعام والشراب ومن اراد عافية القلب فليترك الأنام . وقال ثابت بن قرة راحة الجسم في قلة الطعام وراحة الروح في قلة الآثام وراحة اللسان في قلة الكلام والذنوب للقلب بمنزلة السموم ان لم تهلكه اضعفته ولا بد. واذا اضعفت قوته لم يقدر على مقاومة الامراض. قال طبيب القلوب عبد الله بن المبارك

رأيت الذنوب تميت القلوب * وقد يورث الذل ادمانها
وترك الذنوب حياة القلوب * وخير لنفسك عصيانها

فالهوى اكبر أدوائها ومخالفته اعظم ادويتها والنفس في الأصل خلقت جاهلة ظالمة لجهلها تظن شفائها في اتباع هواها وانما فيه تلفها وعطبها ولظلمها لا تقبل من الطبيب الناصح بل تضع الداء موضع الدواء فتعتمده ويضع الدواء موضع الداء فتجتنبه فيتولد من بين ايثارها للداء واجتنابها للدواء انواع من الأسقام والعلل التى تعي الأطباء ويتعذر معها الشفاء . والمصيبة العظمى انها تركت ذلك على القدر فتبرئ نفسها وتلوم ربها بلسان الحال دائماً ويقوي اللوم حتى يصرح به اللسان. واذا وصل العليل الى هذه الحال فلا يطمع في برئه الا ان تتداركه رحمة من ربه فيحييه حياة جديدة ويرزقه طريقة حميدة فلهذا كان حديث بن

عباس في دعاء الكرب مشتملاً على توحيد الالهية والربوبية ووصف الرب سبحانه بالعظمة والحلم وهاتان الصفتان مستلزمتان لكمال القدرة والرحمة والأحسان والتجاوز ووصفه بكمال ربوبيته للعالم العلوى والسفلى والعرش الذى هو سقف المخلوقات واعظمها والربوبية التامة تستلزم توحيده وانه الذي لا تنبغي العبادة والحب والخوف والرجاء والأجلال والطاعة الا له وعظمته المطلقة تستلزم اثبات كل كمال له وسلب كل نقص وتمثيل عنه. وحلمه يستلزم كمال رحمته واحسانه الى خلقه. فعلم القلب ومعرفته بذلك توجب محبته واجلاله وتوحيده فيحصل له من الأبتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه ألم الكرب والهم والغم. وانت تجد المريض اذا ورد عليه ما يسره ويفرحه ويقوى نفسه كيف تقوي الطبيعة على دفع المرض الحسي فحصول هذا الشفاء للقلب أولى واحرى.

ثم اذا قابلت بين ضيق الكرب وسعة هذه الأوصاف التى تضمنها دعاء الكرب وجدته فى غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق وخروج القلب منه الى سعة البهجة والسرور وهذه الأمور انما يصدق بها من أشرقت فيه انوارها وباشر قلبه حقائقها وفي تأثير قوله (ياحي ياقيوم برحمتك أستغيث) في دفع هذا الداء مناسبة بديعة فان صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى هو اسم الحي القيوم والحياة التامة تضاد جميع الأسقام والآلام ولهذا لما كملت حياة اهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن ولا شيء من الآفات. ونقصان الحياة تضر بالأفعال وتنافى القيومية فكمال القيومية لكمال الحياة فالحي المطلق التام لا يفوته الكمال البتة والقيوم لا يتعذر عليه فعل ممكن البتة فالتوسل بصفة الحياة والقيومية له تأثير في ازالة مايضاد الحياة ويضر بالأفعال

ونظير هذا توسل النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه بربوبيته لجبريل وميكائيل واسرافيل ان يهديه لما اختلف فيه من الحق باذنه فأن حياة القلب بالهداية وقد وكل الله سبحانه هؤلاء الأملاك الثلاثة بالحياة فجبريل موكل بالوحي الذي هو حياة القلوب وميكائيل بالقطر الذي هو حياة الأبدان والحيوان واسرافيل بالنفخ في الصور الذى هو سبب حياة العالم وعود الأرواح الى اجسادها فالتوسل اليه سبحانه بربوبيته هذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة له تأثير في حصول المطلوب. والمقصود ان لأسم الحي القيوم تأثيراً خاصا في اجابة الدعوات وكشف الكربات وفى السنن وصحيح ابى حاتم مرفوعاً اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين (والهكم اله واحد لا آله الاهو الرحمن الرحيم) وفاتحة آل عمران (الم الله لا آله الا هو الحي القيوم) قال الترمذى حديث صحيح وفي السنن وصحيح ابن حبان ايضاً من حديث أنس ان رجلاً دعا فقال اللهم اني أسألك بان لك الحمد لا آله الا أنت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياحي ياقيوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد في الدعاء قال ياحي ياقيوم. وفى قوله (اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى الى نفسى طرفة عين واصلح لى شأنى كله لا آله الا انت من تحقيق الرجاء لمن الخير كله بيديه والاعتماد عليه وحده وتفويض الأمر اليه والتضرع اليه ان يتولي اصلاح شأنه ولا يكله الى نفسه والتوسل اليه بتوحيده مما له تأثير قوى فى دفع هذ الداء وكذلك قوله (الله ربى لا اشرك به شيئاً) وأما حديث ابن مسعود (اللهم اني عبدك ابن عبدك ففيه من المعارف الالهية واسرار العبودية مالا يتسع له كتاب فأنه يتضمن الأعتراف بعبوديته وعبودية آبائه وأمهاته وان ناصيته بيده يصرفها كيف

يشاء فلا يملك العبد دونه لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا
لان من ناصيته بيد غيره فليس اليه شيء من امره بل هو عان فى قبضته ذليل
تحت سلطان قهره وقوله ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك متضمن لأصلين
عظيمين عليهما مدار التوحيد أحدهما اثبات القدر وان احكام الرب تعالى نافذة
فى عبده ماضية فيه لا انفكاك له عنها ولا حيلة له فى دفعها والثانى انه سبحانه عدل
في هذه الأحكام غير ظالم لعبده بل لايخرج فيها عن موجب العدل والاحسان
فان الظلم سببه حاجة الظالم او جهله او سفهه فيستحيل صدوره ممن هو بكل
شيء عليم ومن هو غني عن كل شيء وكل شيء فقير اليه ومن هو احكم الحاكمين
فلا تخرج ذرة من مقدوراته عن حكمته وحمده كما لم يخرج عن قدرته ومشيئته
فحكمته نافذة حيث نفدت مشيئته وقدرته ولهذا قال نبي الله هود صلى الله
على نبينا وعليه وسلم وقد خوفه قومه بآلهتهم (اشهد الله واشهدوا انى برئ مما
تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لاتنظرون انى توكلت على الله ربى وربكم
ما من دابة الاهو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم) اي مع كونه سبحانه
آخذاً بنواصي خلقه وتصريفهم كما يشاء فهو على صراط مستقيم لا يتصرف فيهم
الا بالعدل والحكمة والأحسان والرحمة فقوله ماض فيّ حكمك مطابق لقوله
ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها وقوله عدل فيّ قضاؤك مطابق لقوله ان ربى
على صراط مستقيم ثم توسل الى ربه باسمائه التي سمى بها نفسه ماعلم العباد منها
ومالم يعلموا ومنها ما استأثره في علم الغيب عنده فلم يطلع عليه ملكا مقرباً ولا
نبياً مرسلا وهذه الوسيلة اعظم الوسائل وأحبها الى الله وأقربها تحصيلاً للمطلوب
ثم سأله ان يجعل القرأن لقلبه كالربيع الذى يرتع فيه الحيوان وكذلك القرآن
ربيع القلوب وان يجعله شفاء همه وغمه فيكون له بمنزله الدواء الذي يستأصل الداء

ويعيد البدن الى صحته واعتداله وان يجعله لحزنه كالجلاء الذي يجلو الطبوع والأصدية وغيرها فأحر بهذا العلاج اذا صدق العليل في استعماله ان يزيل عنه داءه ويعقبه شفاء تاماً وصحة وعافية والله الموفق .

واما دعوة ذي النون فان فيها من كمال التوحيد والتنزيه للرب تعالى واعتراف العبد بظلمه وذنبه ما هو من ابلغ ادوية الكرب والهم والغم وابلغ الوسائل الى الله سبحانه في قضاء الحوائج . فان التوحيد والتنزيه يتضمنان اثبات كل كمال لله وسلب كل نقص وعيب وتمثيل عنه . والأعتراف بالظلم يتضمن ايمان العبد بالشرع والثواب والعقاب ويوجب انكساره ورجوعه الى الله واستقالة عثرته والأعتراف بعبوديته وافتقاره الى ربه . فههنا اربعة امور قد وقع التوسل بها التوحيد والتنزيه والعبودية والأعتراف. واما حديث ابى امامة اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن فقد تضمن الأستعاذة من ثمانية اشياء كل اثنين منها قرينان مزدوجان فالهم والحزن اخوان والعجز والكسل اخوان والجبن والبخل اخوان وضلع الدين وغلبة الرجال اخوان فان المكروه المؤلم اذا ورد على القلب فأما ان يكون سببه امراً ماضياً فيوجب له الحزن وان كان امراً متوقعاً في المستقبل اوجب الهم وتخلف العبد عن مصالحه. وتفويتها عليه اما ان يكون من عدم القدرة وهو العجز او من عدم الأرادة وهو الكسل وحبس خيره ونفعه عن نفسه وعن بنى جنسه اما ان يكون منع نفعه ببدنه فهو الجبن او بماله فهو البخل وقهر الناس له اما بحق فهو ضلع الدين او بباطل فهو غلبة الرجال فقد تضمن الحديث الأستعاذة من كل شر. واما تأثير الأستغفار فى دفع الهم والغم والضيق فلما اشترك في العلم به اهل الملل وعقلاء كل امة ان المعاصي والفساد توجب الهم والغم والخوف والحزن وضيق الصدر وامراض القلب

حتى ان اهلها اذا قضوا منها اوطارهم وسئمتها نفوسهم ارتكبوها دفعاً لما يجدونه في صدورهم من الضيق والهم والغم كما قال شيخ الفسوق

وكأس شربت على لذة * واخرى تداويت منها بها

واذا كان هذا تأثير الذنوب والآثام فى القلوب فلا دواء لها الاَّ التوبة والأستغفار واما الصلاة فشأنها في تفريح القلب وتقويته وشرحه وابتهاجه ولذته اكبر شأن وفيها من اتصال القلب والروح بالله وقربه والتنعم بذكره والأبتهاج بمناجاته والوقوف بين يديه واستعمال جميع البدن وقواه وآلاته في عبوديته واعطاء كل عضو حظه منها واشتغاله عن التعلق بالمخلوق وملابستهم ومحاورتهم وانجذاب قوى قلبه وجوارحه الى ربه وفاطره وراحته من عدوه حالة الصلاة ما صارت به من اكبر الأدوية والمفرحات والأغذية التى لا تلائم الا القلوب الصحيحة . واما القلوب العليلة فهي كالأبدان العليلة لا تناسبها الأغذية الفاضلة فالصلاة من اكبر العون على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة ودفع مفاسد الدنيا والآخرة وهي منهاة عن الأثم ودافعة لأدواء القلوب ومطردة للداء عن الجسد ومنورة للقلب ومبيضة للوجه ومنشطة للجوارح والنفس وجالبة للرزق ودافعة للظلم وناصرة المظلوم وقامعة لأخلاط الشهوات وحافظة للنعمة ودافعة للنقمة ومنزلة للرحمة وكاشفة للغمة ونافعة من كثير من اوجاع البطن . وقد روى ابن ماجه في سننه من حديث مجاهد عن ابي هريرة قال رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا نائم اشكو من وجع بطني فقال لي يا ابا هريرة اشكم درد قال قلت نعم يا رسول الله قال قم فصل فان في الصلاة شفاء وقد روى هذا الحديث موقوفاً على ابي هريرة انه هو الذى قال ذلك لمجاهد وهو اشبه ومعنى هذه اللفظة بالفارسية ايوجعك بطنك فان لم ينشرح

صدر زنديق الأطباء بهذا العلاج فيخاطب بصناعة الطب ويقال له الصلاة رياضة النفس والبدن جميعاً اذ كانت تشتمل على حركات واوضاع مختلفة من الانتصاب والركوع والسجود والتورك والانتقالات وغيرها من الأوضاع التى يتحرك معها اكثر المفاصل وينغمز معها اكثر الأعضاء الباطنة كالمعدة والأمعاء وسائر آلات النفس والغذاء فما ينكر ان في هذه الحركات تقوية وتحليلا للمواد ولا سيما بواسطة قوة النفس وانشراحها في الصلاة فتقوى الطبيعة فيندفع الألم. ولكن داء الزندقة والأعراض عما جاءت به الرسل والتعوض عنه بالالحاد داء ليس له دواء الا نار تلظى لا يصلاها الا الأشقى الذي كذب وتولى. واما تأثير الجهاد فى دفع الهم والغم فأمر معلوم بالوجدان فأن النفس متى تركت صائل الباطل وصولته واستيلاءه اشتد همها وغمها وكربها وخوفها فاذا جاهدته لله تعالي أبدل الله ذلك الهم والحزن فرحاً ونشاطا وقوة كما قال تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم) فلا شيء أذهب لجوى القلب وغمه وهمه وحزنه من الجهاد والله المستعان . واما تأثير لا حول ولا قوة الا بالله فى دفع هذا الداء فلما فيها من كمال التفويض والتبري من الحول والقوة الا به وتسليم الأمر كله له وعدم منازعته في شيء منه وعموم ذلك لكل تحول من حال الى حال فى العالم العلوي والسفلى والقوة على ذلك التحول وان ذلك كله بالله وحده فلا يقوم لهذه الكلمة شيء. وفى بعض الآثار انه ما ينزل ملك من السماء ولا يصعد اليها الا بلا حول ولا قوة الا بالله ولها تأثير عجيب في طرد الشيطان والله المستعان .

﴿ فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج الفزع والأرق المانع من النوم ﴾

روي الترمذي فى جامعه عن بريدة قال شكى خالد الى النبي صلى الله عليه وسلم

فقال يا رسول الله ما أنام الليل من الأرق فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا أويت الى فراشك فقل اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الأرضين وما أقلت ورب الشياطين وما أضلت كن لي جارا من شر خلقك كلهم جميعا ان يفرُط عليّ أحد منهم أو يبغى عليّ عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك .

وفيه ايضاً عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الفزع أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون قال وكان عبدالله بن عمر يعلمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل كتبه وعلقه عليه ولا يخفى مناسبة هذه العوذة لعلاج هذا الداء

﴿ فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج داء الحريق واطفائه ﴾

يذكر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الحريق فكبروا فأن التكبير يطفئه . لما كان الحريق سببه النار وهي مادة الشيطان التى خلق منها وكان فيه من الفساد العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله كان الشيطان اعانة عليه وتنفيذاً له وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد هذان الامران وهما العلو فى الارض والفساد هما هدي الشيطان واليهما يدعو وبهما يهلك بنى آدم فالنار والشيطان كل منهما يريد العلو في الارض والفساد وكبرياء الرب عز وجل تقمع الشيطان وفعله ولهذا كان تكبير الله عز وجل له أثر في اطفاء الحريق فان كبرياء الله عز وجل لايقوم لها شيء اذا كبر المسلم ربه أثر تكبيره في خمود النار وخمود الشيطان التى هي مادته فيطفئ الحريق وقد جربنا نحن وغيرنا هذا فوجدناه كذلك والله اعلم

﴿ فصل في هديه صلى الله عليه وسلم فى حفظ الصحة ﴾

لما كان اعتدال البدن وصحته وبقاؤه انما هو بواسطة الرطوبة المقاومة للحرارة

فالرطوبة مادته والحرارة تنضجها وتدفع فضلاتها وتصلحها وتلطفها والا افسدت البدن ولم يمكن قيامه وكذلك الرطوبة هي غذاء الحرارة فلولا الرطوبة لأحرقت البدن وايبسته وافسدته. فقوام كل واحدة منهما بصاحبتها وقوام البدن بهما جميعا وكل منهما مادة للأخرى فالحرارة مادة للرطوبة تحفظها وتمنعها من الفساد والأستحالة والرطوبة مادة للحرارة تغذوها وتحملها ومتى مالت احداهما الى الزيادة على الأخرى حصل لمزاج البدن الأنحراف بحسب ذلك فالحرارة دائماً تحلل الرطوبة فيحتاج البدن الى مابه يخلف عليه ما حللته الحرارة ضرورة بقائه وهو الطعام والشراب ومتى زاد على مقدار التحلل ضعفت الحرارة عن تحليل فضلاته فاستحالت مواد رديئة فعاثت فى البدن وافسدت فحصلت الأمراض المتنوعة بحسب تنوع موادها وقبول الأعضاء واستعدادها وهذا كله مستفاد من قوله تعالى (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) فأرشد عباده الى ادخال ما يقيم البدن من الطعام والشراب عوض ماتحلل منه وان يكون بقدر ماينتفع به البدن في الكمية والكيفية فمتي جاوز ذلك كان اسرافاً وكلاهما مانع من الصحة جالب للمرض أعنى عدم الأكل والشرب او الاسراف فيه.

فحفظ الصحة كله في هاتين الكلمتين الالهيتين ولا ريب ان البدن دائماً في التحلل والأستخلاف وكلما كثر التحلل ضعفت الحرارة لفناء مادتها فان كثرة التحلل تفنى الرطوبة وهي مادة الحرارة واذا ضعفت الحرارة ضعف الهضم ولا يزال كذلك حتى تفنى الرطوبة وتنطفئ الحرارة جملة فيستكمل العبد الأجل الذى كتب الله له ان يصل اليه فغاية علاج الأنسان لنفسه ولغيره حراسة البدن الى ان يصل الى هذه الحالة لأنه يستلزم بقاء الحرارة والرطوبة اللتين بقاء الشباب والصحة والقوة بهما فان هذا مما لم يحصل لبشر في هذه الدار وانما غاية

الطبيب ان يحمي الرطوبة عن مفسداتها من العفونة وغيرها ويحمي الحرارة عن مضعفاتها ويعدل بينهما بالعدل في التدبير الذي به قام بدن الانسان كما ان به قامت السموات والأرض . وسائر المخلوقات انما قوامها بالعدل . ومن تأمل هدي النبي صلى الله عليه وسلم وجده افضل هدي يمكن حفظ الصحة به فأن حفظها موقوف على حسن تدبير المطعم والمشرب والملبس والهواء والنوم واليقظة والحركة والسكون والمنكح والأستفراغ والأحتباس فأذا حصلت هذه على الوجه المعتدل الموافق الملائم للبدن والبلد والسن والعادة كان اقرب الى دوام الصحة والعافية او غلبتها الى انقضاء الأجل ولما كانت الصحة من اجل نعم الله على عبده واجزل عطاياه واوفر منحه بل العافية المطلقة اجل النعم على الأطلاق فحقيق لمن رزق حظاً من التوفيق مراعاتها وحفظها وحمايتها عما يضادها . وقد روى البخاري فى صحيحه من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ . وفي الترمذي وغيره من حديث عبد الله بن محصن الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح معافى في جسده آمناً في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا . وفى الترمذي ايضاً من حديث ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول مايسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم ان يقال له ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد ومن ههنا قال من قال من السلف في قوله تعالى (ثم لتسئلن يومئذٍ عن النعيم) قال عن الصحة . وفي مسند الأمام احمد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس ياعباس ياعم رسول الله سل الله العافية في الدنيا والآخرة . وفيه عن ابي بكر الصديق قال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول سلوا الله اليقين والمعافاة فما أوتي احد بعد اليقين خيراً من العافية فجمع بين عافيتي الدين والدنيا . ولا يتم

صلاح العبد في الدارين الا باليقين والعافية فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة والعافية تدفع عنه امراض الدنيا في قلبه وبدنه . وفي سنن النسائي من حديث ابي هريرة يرفعه سلوا الله العفو والعافية والمعافاة فما أوتي احد بعد يقين خيراً من معافاة. وهذه الثلاثة تتضمن ازالة الشرور الماضية بالعفو والحاضرة بالعافية والمستقبلة بالمعافاة فانها تتضمن المداومة والأستمرار على العافية . وفي الترمذي مرفوعاً ما سئل الله شيئاً احب اليه من العافية وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى عن ابي داود قلت يا رسول الله لأن اعافى فاشكر احب الىَّ من ان ابتلى فأصبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله يحب معك العافية . ويذكر عن ابن عباس ان اعرابياً جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما أسال الله بعد الصلوات الخمس فقال سل الله العافية فاعاد عليه فقال له فى الثالثة سل الله العافية فى الدنيا والآخرة واذا كان هذا شأن العافية والصحة فنذكر من هديه صلى الله عليه وسلم فى مراعاة هذه الأمور مايتبين لمن نظر فيه أنه أكمل الهدي على الاطلاق ينال به حفظ صحة البدن والقلب وحياة الدنيا والآخرة والله المستعان وعليه التكلان ولاحول ولا قوة الابالله.

﴿ فصل ﴾

فاما المطعم والمشرب فلم يكن من عادته صلى الله عليه وسلم حبس النفس على نوع واحد من الأغذية لا يتعداه الى ما سواه فان ذلك يضر بالطبيعة جداً وقد يتعذر عليها أحياناً فان لم يتناول غيره ضعف أو هلك وان تناول غيره لم تقبله الطبيعة فاستضر به فقصرها على نوع واحد دائماً ولو انه افضل الأغذية خطر بل كان يأكل ما جرت عادة اهل بلده بأكله من اللحم والفاكهة والخبز والتمر وغيره مما ذكرناه في هديه في المأكول فعليك بمراجعته ههنا واذا كان في احد

الطعامين كيفية تحتاج الى كسر وتعديل كسرها وعدلها بضدها ان أمكن كتعديله
حرارة الرطب بالبطيخ وان لم يجد ذلك تناوله على حاجة وداعية من النفس
من غير اسراف فلا تتضرر به الطبيعة. وكان اذا عافت نفسه الطعام لم يأكله ولم
يحملها اياه على كره. وهذا أصل عظيم فى حفظ الصحة فمتى أكل الانسان ما تعافه
نفسه ولا تشتهيه كان تضرره به اكثر من انتفاعه قال انس ما عاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه ولم يأكل منه. ولما
قدم اليه الضب المشوى لم يأكل منه فقيل له أهو حرام قال لا ولكن لم يكن
بأرض قومي فأجدنى اعافه. فراعي عادته وشهوته فلما لم يكن يعتاد أكله بارضه
وكانت نفسه لا تشتهيه أمسك عنه ولم يمنع من أكله من يشتهيه ومن عادته
أكله. وكان يحب اللحم وأحبه اليه الذراع ومقدم الشاة ولذلك سم فيه. وفى
الصحيحين أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت
تعجبه. وذكر أبو عبيد وغيره عن ضباعة بنت الزبير انها ذبحت في بيتها شاة
فارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطعمينا من شاتكم فقالت للرسول
ما بقي عندنا الا الرقبة واني لأستحي ان أرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرجع الرسول فاخبره فقال ارجع اليها فقل لها ارسلي بها فانها هادية
الشاة وأقرب الى الخير وأبعدها من الأذى. ولا ريب ان أخف لحم الشاة لحم
الرقبة ولحم الذراع والعضد وهو أخف على المعدة واسرع انهضاما وفي هذا
مراعاة الأغذية التى تجمع ثلاثة أوصاف كثرة نفعها وتأثيرها في القوى الثاني
خفتها على المعدة وعدم ثقلها عليها الثالث سرعة هضمها وهذا أفضل مايكون
من الغذاء. والتغذي باليسير من هذا أنفع من الكثير من غيره. وكان يحب الحلواء
والعسل وهذه الثلاثة أعنى اللحم والعسل والحلواء من أفضل الأغذية وأنفعها

للبدن والكبد والأعضاء وللأغتذاء بها نفع عظيم فى حفظ الصحة والقوة ولا
ينضر منها الا من به علة وآفة. وكان يأكل الخبز مأدوما ماوجد له اداما فتارة
يأدمه باللحم ويقول هو سيد طعام اهل الدنيا والآخرة رواه بن ماجه وغيره
وتارة بالبطيخ وتارة بالتمر فانه وضع تمرة على كسرة وقال هذا ادام هذه .
وفي هذا من تدبير الغذاء أن خبز الشعير بارد يابس والتمر حار رطب على أصح
القولين فأدم خبز الشعير به من احسن التدبير لاسيما لمن تلك عادتهم كأهل المدينة
وتارة بالخل ويقول نعم الأدام الخل وهذا ثناء عليه بحسب مقتضى الحال الحاضر
لا تفضيل له على غيره كما يظن الجهال وسبب الحديث انه دخل على اهله يوما
فقدموا له خبزا فقال هل عندكم من أدام قالوا ما عندنا الا خل فقال نعم الأدام
الخل. والمقصود أن أكل الخبز مأدوما من أسباب حفظ الصحة بخلاف الأقتصار
على أحدهما وحده وسمى الأدم ادما لأصلاحه الخبز وجعله ملائما لحفظ الصحة
ومنه قوله فى اباحته للخاطب النظر انه احرى أن يؤدم بينهما أي أقرب الى الألتئام
والموافقة فان الزوج يدخل على بصيرة فلا يندم. وكان يأكل من فاكهة بلده
عند مجيئها ولا يحتمي عنها وهذا أيضا من أكبر أسباب حفظ الصحة فان الله
سبحانه بحكمته جعل في كل بلد من الفاكهة ما ينتفع به أهلها في وقته فيكون
تناوله من أسباب صحتهم وعافيتهم ويغنى عن كثير من الأدوية وقل من احتمى
عن فاكهة بلده خشية السقم الا وهو من أسقم الناس جسما وأبعدهم من الصحة
والقوة وما في تلك الفاكهة من الرطوبات فحرارة الفصل والأرض وحرارة المعدة
تنضجها وتدفع شرها اذا لم يسرف في تناولها ولم يحمل منها الطبيعة فوق ما
تحتمله ولم يفسد بها الغذاء قبل هضمه ولا أفسدها بشرب الماء عليها وتناول
الغذاء بعد التحلي منها فان القولنج كثيرا ما يحدث عند ذلك فمن أكل منها

ما ينبغي فى الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي كانت له دواء نافعاً

فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في هيأة الجلوس للأكل

صح عنه ان قال لا آكل متكئاً وقال انما أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد وروى ابن ماجه فى سننه انه نهى ان يأكل الرجل وهو منبطح على وجهه وقد فسر الأتكاء بالتربع وفسر بالأتكاء على الشيء وهو الأعتماد عليه وفسر بالأتكاء على الجنب والأنواع الثلاثة من الأتكاء فنوع منها يضر بالأكل وهو الأتكاء على الجنب فانه يمنع مجرى الطعام الطبيعي عن هيئته ويعوقه عن سرعة نفوذه الى المعدة ويضغط المعدة فلا يستحكم فتحها للغذاء وأيضا فانها تميل ولا تبقى منتصبة فلا يصل الغذاء اليها بسهولة. وأما النوعان الآخران فمن جلوس الجبابرة المنافي للعبودية ولهذا قال آكل كما يأكل العبد وكان يأكل وهو مقع. ويذكر عنه أنه كان يجلس للأكل متوركا على ركبتيه ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر قدمه اليمنى تواضعاً لربه عز وجل وأدبا بين يديه واحتراما للطعام وللمؤاكل فهذه الهيأة انفع هيآت الأكل وافضلها لأن الأعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي الذى خلقها الله سبحانه عليه مع ما فيها من الهيأة الأدبية وأجود ما اغتذى الانسان اذا كانت اعضاؤه على وضعها الطبيعي ولا يكون كذلك الا اذا كان الأنسان منتصباً الأنتصاب الطبيعي. وأردى الجلسات للأكل الأتكاء على الجنب لما تقدم من أن المرئ واعضاء الأزدراد تضيق عند هذه الهيأة والمعدة لا تبقى على وضعها الطبيعي لانها تنعصر مما يلي البطن بالأرض ومما يلي الظهر بالحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات النفس وان كان المراد بالأتكاء الاعتماد على الوسائد والوطاء الذي تحت الجالس فيكون المعنى انى اذا أكلت لم أقعد متكئا على الأوطية والوسائد كفعل الجبابرة ومن يريد الأكثار من الطعام لكني آكل بلغة كما يأكل العبد.

(فصل) وكان يأكل بأصابعه الثلاث وهذا أنفع ما يكون من الأكلات فان الأكل بأصبع اوأصبعين لا يستلذ به الآكل ولايمريه ولا يشبعه الابعد طول ولا تفرح آلات الطعام والمعدة بما ينالها فى كل أكلة فتأخذها على أغماض كما يأخذ الرجل حبة حبة أوحبتين أو نحو ذلك فلا يلتذ بأخذه ولا يسر به والآكل بالخمسة والراحة يوجب ازدحام الطعام على آلاته وعلي المعدة وربما استدت الآلات فمات وانصبت الآلات على دفعه والمعدة على احتماله ولا يجد له لذة ولا استمراء فانفع الاكل أكله صلى الله عليه وسلم وأكل من اقتدى به بالأصابع الثلاث.

(فصل) ومن تدبيرأغذيته صلى الله عليه وسلم وما كان يأكله وحده لم يجمع قط بين لبن وسمك ولا بين لبن وحامض ولا بين غذائين حارين ولا باردين ولا لزجين ولا قابضين ولا مسهلين ولا غليظين ولا مرخيين ولا مستحيلين الى خلط واحد ولا بين مختلفين كقابض ومسهل وسريع الهضم وبطيئه ولا بين شوى وطبيخ ولا بين طري وقديد ولا بين لبن وبيض ولا بين لحم ولبن ولم يكن يأكل طعاما فى وقت شدة حرارته ولا طبيخا بائتا يسخن له بالغد ولا شيئا من الأطعمة العفنة والمالحة كالكوامخ والخللات والملوحات. وكل هذه الأنواع ضار مولد لأنواع من الخروج عن الصحة والأعتدال. وكان يصلح ضرر بعض الأغذية ببعض اذا وجد اليه سبيلا فيكسر حرارة هذا ببرودة هذا ويبوسة هذا برطوبة هذا كما فعل في القثاء والرطب وكما كان يأكل التمر بالسمن وهو الحيس ويشرب نقيع التمر يلطف به كيموسات الأغذية الشديدة. وكان يأمر بالعشاء ولو بكف من تمر ويقول ترك العشاء مهرمة ذكره الترمذي فى جامعه وابن ماجه في سننه وذكر أبو نعيم عنه انه كان ينهى عن النوم على الاكل

ويذكر أنه يقسي القلب ولهذا في وصايا الأطباء لمن اراد حفظ الصحة أن يمشي بعد العشاء خطوات ولو مائة خطوة ولا ينام عقبه فانه مضر جدا وقال مسلموهم أو يصلي عقيبه ليستقر الغذاء بقعر المعدة فيسهل هضمه ويجود بذلك ولم يكن من هديه أن يشرب على طعامه فيفسده ولا سيما ان كان الماء حاراً اوبارداً فانه رديٌ جدا قال الشاعر

لا تكن عند أكل سخن وبرد * ودخول الحمام تشرب ماء

فاذا ما اجتنبت ذلك حقاً * لم تخف ماحييت في الجوف داء

ويكره شرب الماء عقيب الرياضة والتعب وعقيب الجماع وعقيب الطعام وقبله وعقيب أكل الفاكهة وان كان الشرب عقيب بعضها أسهل من بعض وعقب الحمام وعند الأنتباه من النوم فهذا كله مناف لحفظ الصحة ولا اعتبار بالعوائد فانها طبائع ثوان

فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم فى الشراب

واما هديه فى الشراب فمن اكمل هدي يحفظ به الصحة فانه كان يشرب العسل الممزوج بالماء البارد وفي هذا من حفظ الصحة ما لا يهتدي الى معرفته الا افاضل الأطباء فان شربه ولعقه على الريق يذيب البلغم ويغسل خمل المعدة ويجلو لزوجتها ويدفع عنها الفضلات ويسخنها باعتدال ويفتح سددها ويفعل مثل ذلك بالكبد والكلي والمثانة وهو انفع للمعدة من كل حلو دخلها وانما يضر بالعرض لصاحب الصفراء لحدته وحدة الصفراء فربما هيجها ودفع مضرته لهم بالخل فيعود حينئذ لهم نافعاً جدا وشربه انفع من كثير من الأشربة المتخذة من السكر ولا سيما لمن لم يعتد هذه الأشربة ولا الفها طبعه فانه اذا شربها لا يلائمه ملائمة العسل ولا قريباً منه والمحكم في ذلك العادة فأنها تهدم اصولا وتبني اصولا واما الشراب اذا جمع وصفي الحلاوة والبرودة فمن انفع

شيء للبدن ومن اكبر اسباب حفظ الصحة وللأرواح والقوى والكبد والقلب
عشق شديد له واستمداد منه واذا كان فيه الوصفان حصلت به التغذية وتنفيذ
الطعام الى الأعضاء وايصاله اليها اتم تنفيذ. والماء البارد رطب يقمع الحرارة
ويحفظ على البدن رطوباته الأصلية ويرد عليه بدل ما تحلل منها ويرقق الغذاء
وينفذ فى العروق. واختلف الأطباء هل يغذى البدن على قولين فأثبت طائفة
التغذية به بناء على ما يشاهدونه من النمو والزيادة والقوة فى البدن به ولا
سيما عند الحاجة اليه قالوا وبين الحيوان والنبات قدر مشترك من وجوه عديدة
منها النمو والأغتذاء والأعتدال وفي النبات قوة حس وحركة تناسبه ولهذا
كان غذاء النبات بالماء فما ينكر ان يكون للحيوان نوع غذاء وان يكون جزءاً من
غذائه التام قالوا ونحن لاننكر ان قوة الغذاء ومعظمه في الطعام وانما انكرنا
ان لا يكون للماء تغذية البتة. قالوا وايضا الطعام انما يغذي بما فيه من المائية
ولولاها لما حصلت به التغذية قالوا ولأن الماء مادة حياة الحيوان والنبات ولا
ريب ان ما كان اقرب الى مادة الشيء حصلت به التغذية فكيف اذا كانت مادته
الأصلية قال الله تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حيا) فكيف ينكر حصول
التغذية بما هو مادة الحياة على الأطلاق قالوا وقد رأينا العطشان اذا حصل
له الري بالماء البارد تراجعت اليه قواه ونشاطه وحركته وصبر عن الطعام وانتفع
بالقدر اليسير منه ورأينا العطشان لاينتفع بالقدر الكثير من الطعام ولا يجد
به القوة والأغتذاء ونحن لا ننكر ان الماء ينفذ الغذاء الى اجزاء البدن والى
جميع الأعضاء وانه لايتم امر الغذاء الا به وانما ننكر على من سلبه قوة التغذية
عنه البتة ويكاد قوله عندنا يدخل فى انكار الأمور الوجدانية. وانكرت طائفة
اخرى حصول التغذية به واحتجت بأمور يرجع حاصلها الي عدم الأكتفاء به

وانه لا يقوم مقام الطعام وانه لا يزيد في نمو الأعضاء ولا يخلف عليها بدل ما حللته الحرارة ونحو ذلك مما لا ينكره اصحاب التغذية فانهم يجعلون تغذيته بحسب جوهره ولطافته ورقته وتغذية كل شيءٍ بحسبه وقد شوهد الهواء الرطب البارد اللين اللذيذ يغذى بحسبه والرائحة الطيبة تغذى نوعا من الغذاء فتغذية الماء أظهر واظهر. والمقصود انه اذا كان باردا وخالطه ما يحليه كالعسل أو الزبيب أو التمر أو السكر كان من أنفع ما يدخل البدن وحفظ عليه صحته فلهذا كان احب الشراب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم البارد الحلو والماء الفاتر ينفخ ويفعل ضد هذه الأشياء ولما كان الماء البائت أنفع من الذي يشرب وقت استقائه قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد دخل الى حائط أبي الهيثم بن التيهان هل من ماء بات في شنه فأتاه به فشرب منه رواه البخاري ولفظه ان كان عندكم ماء بات فى شنه والا كرعنا. والماء البائت بمنزلة العجين الخمير والذي شرب لوقته بمنزلة الفطير وأيضا فأن الأجزاء الترابية والأرضية تفارقه اذا بات وقد ذكر ان النبي الله عليه وسلم كان يستعذب له الماء ويختار البائت منه وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقي له الماء العذب من بئر السقيا. والماء الذي في القرب والشنان ألذ من الذي يكون في آنية الفخار والأحجار وغيرهما ولا سيما أسقية الأدم ولهذا التمس النبي صلى الله عليه وسلم ماء بات فى شنه دون غيرها من الأواني وفى الماء اذا وضع فى الشنان وقرب الأدم خاصة لطيفة لما فيها من المسام المنفتحة التى يرشح منها الماء ولهذا الماء الذي في الفخار الذي يرشح الذ منه وابرد في الذي لا يرشح فصلوات الله وسلامه على أكمل الخلق وأشرفهم نفسا وافضلهم هديا في كل شيءٍ لقد دل أمته على افضل الأمور وأنفعها لهم فى القلوب والأبدان في الدنيا والآخرة قالت عائشة رضي الله عنها

كان احب الشراب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلو البارد وهذا يحتمل أن يريد به الماء العذب كمياه العيون والآبار الحلوة فانه يستعذب له الماء ويحتمل أن يريد به الماء الممزوج بالعسل أو الذى نقع فيه التمر او الزبيب . وقد يقال وهو الأظهر يعمهما جميعا وقوله فى الحديث الصحيح ان كان عندك ماء بات فى شن والا كرعنا فيه دليل على جواز الكرع وهو الشرب بالفم من الحوض والمقراة ونحوها وهذه والله أعلم واقعة عين دعت الحاجة فيها الى الكرع بالفم أو قاله مبينا لجوازه فان من الناس من يكرهه والأطباء تكاد تحرمه ويقولون انه يضر بالمعدة وقد روى فى حديث لا أدرى ما حاله عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم نهانا أن نشرب على بطوننا وهو الكرع ونهانا أن نغترف باليد الواحدة وقال لا يلغ احدكم كما يلغ الكلب ولا يشرب بالليل من اناء حتى يختبره الا أن يكون مخمرا وحديث البخاري اصح من هذا وان صح فلا تعارض بينهما اذ لعل الشرب باليد لم يكن يمكن حينئذ فقال والا كرعنا والشرب بالفم انما يضر اذا انكب الشارب على وجهه وبطنه كالذي يشرب من النهر والغدير فأما اذا شرب منتصبا بفمه من حوض مرتفع ونحوه فلا فرق بين أن يشرب بيده أو بفمه

(فصل) وكان من هديه الشرب قاعدا هذا كان هديه المعتاد وصح عنه انه نهى عن الشرب قائماً وصح عنه أنه أمر الذى شرب قائماً ان يستقئ وصح عنه أنه شرب قائماً فقالت طائفة هذا ناسخ للنهي وقالت طائفة بل مبين ان النهي ليس للتحريم بل للأرشاد وترك الأولى وقالت طائفة لا تعارض بينهما أصلا فانه انما شرب قائماً للحاجة فانه جاء الى زمزم وهم يستقون منها فاستقى فناولوه الدلو فشرب وهو قائم وهذا كان موضع حاجة . والشرب قائماً آفات عديدة منها أنه لا يحصل به الري التام ولا يستقر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الأعضاء وينزل بسرعة وحدة

الى المعدة فيخشى منه ان يبرد حرارتها ويشوشها ويسرع النفوذ الى أسافل البدن بغير تدريج وكل هذا يضر بالشارب وأما اذا فعله نادرا أو لحاجة لم يضره ولا يعترض بالعوائد على هذا فان العوائد طبائع ثوان ولها احكام أخرى وهي بمنزلة الخارج عن القياس عند الفقهاء .

(فصل) وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتنفس في الشراب ثلاثا ويقول انه أروى وامرأ وابرأ .

الشراب في لسان الشارع وحملة الشرع هو الماء ومعنى تنفسه في الشراب ابانة القدح عن فيه وتنفسه خارجه ثم يعود الى الشراب كما جاء مصرحا به في الحديث الآخر اذا شرب أحدكم فلا يتنفس في القدح ولكن ليبن الأناء عن فيه .

وفى هذا الشرب حكم جمة وفوائد مهمة وقد نبه صلى الله عليه وسلم على مجامعها بقوله أنه أروى وامرأ وابرأ فأروى اشد ريا وابلغه وأنفعه وابرأ أفعل من البرء وهو الشفاء اي يبرئ من شدة العطش ودائه لتردده على المعدة المتلهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الأولى عن تسكينه والثالثة ما عجزت الثانية عنه وأيضاً فانه أسلم لحرارة المعدة وأبقى عليها من أن يهجم عليها البارد وهلة واحدة ونهلة واحدة وايضا فانه لا يروى لمصادفته لحرارة العطش لحظة ثم يقلع عنها ولمّا تكسر سورتها وحدّتها وان انكسرت لم تبطل بالكلية بخلاف كسرها على التمهل والتدريج وأيضا فانه أسلم عاقبة وآمن غائلة من تناول جميع مايروى دفعة واحدة فانه يخاف منه أن يطفئ الحرارة الغريزية بشدة برده وكثرة كميته أو يضعفها فيؤدي ذلك الى فساد مزاج المعدة والكبد والى أمراض رديئة خصوصاً في سكان البلاد الحارة كالحجاز واليمن ونحوهما أو فى الأزمنة الحارة كشدة الصيف فان الشرب وهلة واحدة مخوف عليهم جدا فأن الحار الغريزي ضعيف

في بواطن اهلها وفي تلك الأزمنة الحارة. وقوله وامرأ هو أفعل من مري الطعام والشراب في بدنه اذا دخله وخالطه بسهولة ولذة ونفع ومنه فكلوه هنيئاً مريئاً هنيأ في عاقبته مريئاً فى مذاقه وقيل معناه انه أسرع انحداراً عن المرى لسهولته وخفته عليه بخلاف الكثير فانه لايسهل على المرى انحداره. ومن آفات الشرب نهلة واحدة انه يخاف منه الشرق بان ينسد مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه فيغص به فاذا تنفس رويدا ثم شرب أمن من ذلك. ومن فوائده ان الشارب اذا شرب أول مرة تصاعد البخار الدخانى الحار الذي كان على القلب والكبد لورود الماء البارد عليه فاخرجته الطبيعة عنها فاذا شرب مرة واحدة اتفق نزول الماء البارد وصعود البخار فيتدافعان ويتعالجان ومن ذلك يحدث الشرق والغصة ولا يتهنى الشارب بالماء ولا يمريه ولا يتم ريه. وقد روي عبد الله بن المبارك والبيهقى وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا شرب أحدكم فليمص الماء مصا ولا يعب عبا فانه من الكباد والكباد بضم الكاف وتخفيف الباء هو وجع الكبد. وقد علم بالتجربة أن ورود الماء جملة واحدة على الكبد يؤلمها ويضعف حرارتها وسبب ذلك المضادة التى بين حرارتها وبين ما ورد عليها من كيفية المبرود وكميته ولو ورد بالتدريج شيئاً فشيئاً لم يضاد حرارتها ولم يضعفها وهذا مثاله صب الماء البارد على القدر وهي تفور لا يضرها صبه قليلا قليلا. وقد روى الترمذي في جامعه عنه صلى الله عليه وسلم لا تشربوا نفسا واحداً كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث وسموا اذا أنتم شربتم واحمدوا اذ أنتم فرغتم .

وللتسمية فى أول الطعام والشراب وحمد الله فى آخره تأثير عجيب في نفعه واستمرائه ودفع مضرته قال الامام أحمد اذا جمع الطعام اربعا فقد كمل اذا ذكر اسم الله في أوّله وحمد الله في آخره وكثرت عليه الأيدي وكان من حل .

(فصل) وقد روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول غطوا الأناء وأوكوا السقاء فان في السنة ليلة ينزل فيها وباء لايمر بأناء ليس عليه غطاء وسقاء ليس عليه وكاء الا وقع فيه من ذلك الداء. وهذا مما لا تناله علوم الأطباء ومعارفهم وقد عرفه من عرفه من عقلاء الناس بالتجربة قال الليث بن سعد احد رواة الحديث الأعاجم عندنا يتقون تلك الليلة في السنة في كانون الأول منها. وصح عنه انه امر بتخمير الأناء ولو ان يعرض عليه عوداً وفى عرض العود عليه من الحكمة انه لاينسى تخميره بل يعتاده حتى بالعود. وفيه انه ربما اراد الدبيب ان يسقط فيه فيمر على العود فيكون العود جسراً له يمنعه من السقوط فيه وصح عنه انه امر عند ايكاء الأناء بذكر اسم الله فأن ذكر اسم الله عند تخمير الأناء يطرد عنه الشيطان وايكاؤه يطرد عنه الهوام ولذلك امر بذكر اسم الله في هذين الموضعين لهذين المعنيين وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب من في السقاء. وفى هذا آداب عديدة منها ان تردد انفاس الشارب فيه يكسبه زهومة ورائحة كريهة يعاف لأجلها. ومنها انه ربما غلب الداخل الى جوفه من الماء فتضرر. ومنها انه ربما كان فيه حيوان لايشعر به فيؤذيه ومنها ان الماء ربما كان فيه قذاة او غيرها لايراها عند الشرب فتلج جوفه. ومنها ان الشرب كذلك يملأ البطن من الهواء فيضيق عن اخذ حظه من الماء او يزاحمه او يؤذيه ولغير ذلك من الحكم. فأن قيل فما تصنعون بما فى جامع الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بأداوة يوم احد فقال اختنث فم الاداوة ثم شرب منها من فيها قلنا نكتفي فيه بقول الترمذي هذا حديث ليس اسناده بصحيح وعبد الله بن عمر العمري يضعف من قبل حفظه ولا ادرى سمع من

عيسى او لا انتهى يريد عيسى بن عبد الله الذى رواه عنه عن رجل من الانصار
(فصل) وفي سنن ابي داود من حديث ابي سعيد الخدري قال نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الشرب من ثلمة القدح وان ينفخ فى الشراب وهذا
من الآداب التى يتم بها مصلحة الشارب فان الشرب من ثلمة القدح فيه عدة
مفاسد احدها ان ما يكون على وجه الماء من قذى او غيره يجتمع الى الثلمة
بخلاف الجانب الصحيح . الثانى انه ربما شوش على الشارب ولم يتمكن من
حسن الشرب من الثلمة. الثالث ان الوسخ والزهومة تجتمع في الثلمة ولا يصل اليها
الغسل كما يصل الى الجانب الصحيح . الرابع ان الثلمة محل العيب في القدح
وهي اردأ مكان فيه فينبغي تجنبه وقصد الجانب الصحيح فان الرديء من كل
شيء لاخير فيه. ورأي بعض السلف رجلا يشتري حاجة رديئة فقال لا تفعل
اما علمت ان الله نزع البركة من كل رديء . الخامس انه ربما كان في الثلمة شق
او تحديد يجرح فم الشارب ولغير هذه من المفاسد . واما النفخ فى الشراب فأنه
يكسبه من فم النافخ رائحة كريهة يعاف لأجلها ولا سيما ان كان متغير الفم
وبالجملة فأنفاس النافخ تخالطه. ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين النهي
عن التنفس في الأناء والنفخ فيه فى الحديث الذى رواه الترمذي وصححه عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتنفس في
الأناء او ينفخ فيه .فأن قيل فما تصنعون بما فى الصحيحين من حديث انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتنفس في الأناء ثلاثا قيل نقابله بالقبول
والتسليم ولا معارضة بينه وبين الأول فان معناه انه كان يتنفس في شربه ثلاثا
وذكر الأناء لأنه آلة الشرب وهذا كما جاء في الحديث الصحيح ان ابراهيم
ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فى الثدي اي فى مدة الرضاع .

(فصل) وكان صلى الله عليه وسلم يشرب اللبن خالصا تارة ومشوبا بالماء اخرى وفي شرب اللبن الحلو في تلك البلاد الحارة خالصا ومشوبا نفع عظيم في حفظ الصحة وترطيب البدن وري الكبد ولا سيما اللبن الذى ترعى دوابه الشيح والقيصوم والخزامي وما اشبهها فان لبنها غذاء مع الأغذية وشراب مع الأشربة ودواء مع الأدوية . وفي جامع الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم اذا اكل احدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه واطعمنا خيرا منه واذا سقي لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فانه ليس شيء يجزيء من الطعام والشراب الا اللبن قال الترمذي هذا حديث حسن .

(فصل) وثبت فى صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم كان ينتبذ له أوّل الليل ويشربه اذا أصبح يومه ذلك والليلة التى تجيء والغد والليلة الأخرى والغد الى العصر فان بقي منه شيء سقاه الخادم أو أمر به فصب . وهذا النبيذ هو ماء يطرح فيه تمر يحليه وهو يدخل في الغذاء والشراب وله نفع عظيم في زيادة القوة وحفظ الصحة ولم يكن يشربه بعد ثلاث خوفا من تغيره الى الأسكار

فصل فى تدبيره لأمر الملبس

وكان من أتم الهدى وأنفعه للبدن وأخفه عليه وأيسره لبسا وخلعا وكان أكثر لبسه الأردية والأزر وهي أخف على البدن من غيرها وكان يلبس القميص بل كان أحب الثياب اليه وكان هديه في لبسه لما يلبسه أنفع شيء للبدن فانه لم يكن يطيل أكمامه ويوسعها بل كانت كم قميصه الى الرسغ لا تجاوز اليد فتشق على لابسها وتمنعه خفة الحركة والبطش ولا تقصر عن هذه فتبرز للحر والبرد وكان ذيل قميصه وازاره الى أنصاف الساقين لم يتجاوز الكعبين فيؤذي الماشي ويؤده ويجعله كالمقيد ولم يقصر عن عضلة ساقه فتنكشف فيتأذى بالحر والبرد

ولم تكن عمامته بالكبيرة التى يؤذى الرأس حملها ويضعفه ويجعله عرضة للضعف والآفات كما يشاهد من حال أصحابها ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الرأس من الحر والبرد بل وسطا بين ذلك. وكان يدخلها تحت حنكه وفى ذلك فوائد عديدة فانها تقى العنق الحر والبرد وهو أثبت لها ولاسيما عند ركوب الخيل والأبل والكر والفر وكثير من الناس اتخذ الكلاليب عوضا عن التحنك ويابعد مابينهما فى النفع والزينة. وأنت اذا تأملت هذه اللبسة وجدتها من أنفع اللبسات وأبلغها في حفظ صحة البدن وقوته وأبعدها من التكلف والمشقة على البدن. وكان يلبس الخفاف في السفر دائماً أو أغلب أحواله لحاجة الرجلين الى مايقيهما من الحر والبرد وفي الحضر أحيانا. وكان أحب ألوان الثياب اليه البياض والحبرة وهي البرود المحبرة ولم يكن من هديه لبس الأحمر ولا الأسود ولا المصبغ ولا المصقول وأما الحلة الحمراء التي لبسها فهي الرداء اليماني الذي فيه سواد وحمرة وبياض كالحلة الخضراء فقد لبس هذه وهذه. وقد تقدم تقرير ذلك وتغليط من زعم انه لبس الأحمر القاني بما فيه كفاية

فصل في تدبيره لأمر المسكن

لما علم صلى الله عليه وسلم انه على ظهر سير وان الدنيا مرحلة مسافر ينزل فيها مدة عمره ثم ينتقل عنها الى الآخرة لم يكن من هديه وهدي أصحابه ومن تبعه الأعتناء بالمساكن وتشييدها وتعليتها وزخرفها وتوسيعها بل كانت من أحسن منازل المسافر تقى الحر والبرد وتستر عن العيون وتمنع من ولوج الدواب ولا يخاف سقوطها لفرط ثقلها ولا تعشعش فيها الهوام لسعتها ولا تعتور عليها الأهوية والرياح المؤذية لارتفاعها وليست تحت الارض فتؤذي ساكنها ولا في غاية الارتفاع عليها بل وسط وتلك اعدل المساكن وأنفعها واقلها حرا وبردا

ولا تضيق عن ساكنها فينحصر ولا تفضل عنه بغير منفعة ولا فائدة فتأوي الهوام في خلوها ولم يكن فيها كنف تؤذى ساكنها برائحتها بل رائحتها من أطيب الروائح لانه كان يحب الطيب ولا يزال عنده وريحه هو من أطيب الرائحة وعرقه من أطيب الطيب ولم يكن فى الدار كنيف تظهر رائحته ولا ريب ان هذه من أعدل المساكن وأنفعها واوفقها للبدن وحفظ صحته .

فصل في تدبيره لأمر النوم واليقظة

ومن تدبر نومه ويقظته صلى الله عليه وسلم وجده أعدل نوم وأنفعه للبدن والأعضاء والقوى فانه كان ينام اول الليل ويستيقظ فى أول النصف الثاني فيقوم ويستاك ويتوضأ ويصلي ما كتب الله له فيأخذ البدن والأعضاء والقوى حظها من النوم والراحة وحظها من الرياضة مع وفور الأجر وهذا غاية صلاح القلب والبدن والدنيا والآخرة ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج اليه ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج اليه منه وكان يفعله على أكمل الوجوه فينام اذا دعته الحاجة الى النوم على شقه الايمن ذاكراً الله حتى تغلبه عيناه غير ممتلئ البدن من الطعام والشراب ولا مباشر بجنبه الارض ولا متخذ للفرش المرتفعة بل له ضجاع من أدم حشوه ليف. وكان يضطجع على الوسادة ويضع يده تحت خده أحيانا.

ونحن نذكر فصلا في النوم والنافع منه والضار فنقول النوم حالة للبدن يتبعها غور الحرارة الغريزية والقوى الى باطن البدن لطلب الراحة وهو نوعان طبيعي وغير طبيعي فالطبيعي امساك القوى النفسانية على أفعالها وهي قوى الحس والحركة الارادية ومتى أمسكت هذه القوى عن تحريك البدن استرخى واجتمعت الرطوبات والأبخرة التي كانت تتحلل وتتفرق بالحركات واليقظة في الدماغ الذي هو مبدأ هذه القوى فيتخدر ويسترخي وذلك النوم الطبيعي وأما النوم غير

الطبيعي فيكون لمرض او مرض وذلك بان تستولى الرطوبات على الدماغ استيلاء لا تقدر اليقظة على تفريقها أو تصعد أبخرة رطبة كثيرة كما يكون عقيب الأمتلاء من الطعام والشراب فتثقل الدماغ وترخيه فيتخدر ويقع امساك القوى النفسانية عن أفعالها فيكون النوم. وللنوم فائدتان جليلتان أحدهما سكون الجوارح وراحتهامما يعرض لها من التعب فتستريح الحواس من نصب اليقظة ويزيل الأعياء والكلال والثانية هضم الغذاء ونضج الأخلاط لأن الحرارة الغريزية فى وقت النوم تفور الى باطن البدن فتعين على ذلك ولهذا يبرد ظاهره ويحتاج النائم الى فضل دثار. وأنفع النوم ان ينام على الشق الأيمن ليستقر الطعام بهذه الهيأة فى المعدة استقرارا حسنا فان المعدة أميل الى الجانب الأيسر قليلا ثم يتحول الى الشق الايسر قليلا ليسرع الهضم بذلك لأشتمال المعدة على الكبد ثم يستقر نومه على الجانب الأيمن ليكون الغذاء أسرع انحدارا عن المعدة فيكون النوم على الجانب الأيمن بداءة نومه ونهايته. وكثرة النوم على الجانب الأيسر مضر بالقلب بسبب ميل الأعضاء اليه فتنصب اليه المواد. واردى النوم النوم على الظهر ولا يضر الأستلقاء عليه للراحة من غير نوم. وأردأ منه ان ينام منبطحا على وجهه. وفي المسند وسنن ابن ماجه عن ابي امامة قال مرّ النبي صلى الله عليه وسلم على رجل نائم فى المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله وقال قم او اقعد فانها نومة جهنمية. قال ابقراط في كتاب التقدمة واما نوم المريض على بطنه من غير ان يكون عادته فى صحته جرت بذلك فذلك يدل على اختلاط عقل وعلى ألم في نواحى البطن قال الشراح لكتابه لأنه خالف العادة الجيدة الى هيأة رديئة من غير سبب ظاهر ولا باطن. والنوم المعتدل ممكن للقوى الطبيعية من افعالها مريح للقوة النفسانية مكثر من جوهر حاملها حتى انه ربما عاد بأرخائه

مانعا من تحلل الأرواح. ونوم النهار ردئ يورث الأمراض الرطوبية والنوازل ويفسد اللون ويورث الطحال ويرخى العصب ويكسل ويضعف الشهوة الا في الصيف وقت الهاجرة. واردؤه نوم اول النهار واردأ منه النوم آخره بعد العصر ورأى عبد الله بن عباس ابناً له نائما نومة الصبحة فقال له قم اتنام فى الساعة التى تقسم فيها الأرزاق. وقيل نوم النهار ثلاثة خلق وخرق وحمق فالخلق نومة الهاجرة وهي خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم والخرق نومة الضحى يشغل عن امر الدنيا والآخرة والحمق نومة العصر قال بعض السلف من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن الا نفسه وقال الشاعر

الا ان نومات الضحى تورث الفتى * خبالا ونومات العصير جنون

ونوم الصبحة يمنع الرزق لأن ذلك وقت تطلب فيه الخليقة ارزاقها وهو وقت قسمة الأرزاق فنومه حرمان الا لعارض او ضرورة وهو مضر جداً بالبدن لأرخائه البدن وافساده للفضلات التى ينبغي تحليلها بالرياضة فيحدث تكسراً وعياً وضعفاً وان كان قبل التبرد والحركة والرياضة واشغال المعدة بشيئ فذلك الداء العضال المولد لأنواع من الأدواء. والنوم في الشمس يثير الداء الدفين ونوم الانسان بعضه في الشمس وبعضه فى الظل ردئ وقد روى ابو داود في سننه من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان احدكم فى الشمس فقلص عنه الظل فصار بعضه في الشمس وبعضه في الظل فليقم. وفى سنن ابن ماجه وغيره من حديث بريدة بن الخصيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يقعد الرجل بين الظل والشمس وهذا تنبيه على منع النوم بينهما. وفى الصحيحين عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على

شقك الايمن ثم قل اللهم انى اسلمت نفسى اليك ووجهت وجهى اليك وفوضت امري اليك والجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لاملجأ ولا منجأ منك الا اليك آمنت بكتابك الذى انزلت ونبيك الذى ارسلت واجعلهن آخر كلامك فان مت من ليلتك مت على الفطرة . وفي صحيح البخاري عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى ركعتي الفجر يعنى سنتها اضطجع على شقه الايمن

وقد قيل ان الحكمة في النوم على الجانب الأيمن ان لا يستغرق النائم فى نومه لأن القلب فيه ميل الى جهة اليسار فأذا نام على جنبه الأيمن طلب القلب مستقره من الجانب الأيسر وذلك يمنع من استقرار النائم واستثقاله في نومه بخلاف قراره في النوم على الجانب اليسار فأنه مستقره فيحصل بذلك الدعة التامة فيستغرق الأنسان في نومه ويستثقل فيفوته مصالح دينه ودنياه .

ولما كان النائم بمنزلة الميت والنوم أخو الموت ولهذا يستحيل على الحي الذي لايموت وأهل الجنة لا ينامون فيها كان النائم محتاجاً الى من يحرس نفسه ويحفظها مما يعرض لها من الآفات ويحرس بدنه ايضاً من طوارق الآفات وكان ربه وفاطره تعالى هو المتولى لذلك وحده . علم النبي صلى الله عليه وسلم النائم ان يقول كلمات التفويض والألتجاء والرغبة والرهبة ليستدعى بها كمال حفظ الله له وحراسته لنفسه وبدنه وأرشده مع ذلك الى ان يستذكر الأيمان وينام عليه ويجعل التكلم به آخر كلامه فأنه ربما توفاه الله في منامه فاذا كان الأيمان آخر كلامه دخل الجنة فتضمن هذا الهدي فى المنام مصالح القلب والبدن والروح في النوم واليقظة والدنيا والآخرة فصلوات الله وسلامه على من نالت به أمته كل خير .

وقوله أسلمت نفسي اليك أي جعلتها مسلمة لك تسليم العبد المملوك نفسه الى سيده ومالكه وتوجيه وجهه اليه يتضمن اقباله بالكلية على ربه واخلاص القصد

والأرادة له واقراره بالخضوع والذل والأنقياد قال تعالى (فأن حاجوك فقل أسلمت وجهيَ لله ومن اتبعن) وذكر الوجه اذ هو أشرف ما في الأنسان ومجمع الحواس وايضاً ففيه معنى التوجه والقصد من قوله (رب العباد اليه الوجه والعمل) وتفويض الأمر اليه رده الى الله سبحانه وذلك يوجب سكون القلب وطمأنينته والرضى بما يقضيه ويختاره له مما يحبه ويرضاه. والتفويض من أشرف مقامات العبودية ولا علة فيه وهو من مقامات الخاصة خلا فالزاعمي خلاف ذلك.

والجاء الظهر اليه سبحانه يتضمن قوة الأعتماد عليه والثقة والسكون اليه والتوكل عليه فأن من أسند ظهره الى ركن وثيق لم يخف السقوط. ولما كان القلب قوتان قوة الطلب وهي الرغبة وقوة الهرب وهي الرهبة وكان العبد طالباً لمصالحه هاربا من مضاره جمع الأمرين فى هذا التفويض والتوجه فقال رغبة ورهبة اليك ثم أثنى على ربه بأنه لا ملجأ للعبد سواه ولا منجا له منه غيره فهو الذى يلجأ اليه العبد لينجيه من نفسه كما في الحديث الأخر أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وأعوذ بك منك فهو سبحانه الذى يعيذ عبده وينجيه من بأسه الذى بمشيئته وقدرته فمنه البلاء ومنه الأعانة ومنه ما يطلب النجاة منه واليه الألتجاء فى النجاة فهو الذي يلجأ اليه في ان ينجى مما منه ويستعاذ به مما منه فهو رب كل شيء ولا يكون شيء الا بمشيئته (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو) (قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان اراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة) ثم ختم الدعاء بالأقرار بالأيمان بكتابه ورسوله الذى هو ملاك النجاة والفوز فى الدنيا والآخرة فهذا هديه في نومه.

لو لم يقل اني رسول لكا * ن شاهد في هديه ينطق

(فصل) وأما هديه في يقظته فكان يستيقظ اذا صاح الصارخ وهو الديك

فيحمد الله تعالى ويكبره ويهلله ويدعوه ثم يستاك ثم يقوم الى وضوئه ثم يقف للصلاة بين يدي ربه مناجياً له بكلامه مثنيا عليه راجيا له راغبا راهبا فأي حفظ لصحة القلب والبدن والروح والقوى ولنعيم الدنيا والآخرة فوق هذا .

(فصل) وأما تدبير الحركة والسكون وهو الرياضة فنذكر منها فصلا يعلم منه مطابقة هديه في ذلك لأكمل انواعه واحمدها واصوبها فنقول من المعلوم افتقار البدن فى بقائه الى الغذاء والشراب ولا يصير الغذاء بجملته جزأ من البدن بل لابد ان يبقى منه عند كل هضم بقية ما اذا كثرت على ممر الزمان اجتمع منها شيء له كمية وكيفية فيضر بكميته بأن يسد ويثقل البدن ويوجب امراض الأحتباس وان استفرغ تأذي البدن بالأدوية لأن اكثرها سمية ولا تخلو من اخراج الصالح المنتفع به ويضر بكيفيته بان يسخن بنفسه او بالعفن او يبرد بنفسه او يضعف الحرارة الغريزية عن انضاجه. وسدد الفضلات لامحالة ضارة تركت اواستفرغت والحركة أقوى الأسباب في منع تولدها فانها تسخن الأعضاء وتسيل فضلاتها فلا تجتمع على طول الزمان ويعود البدن الخفة والنشاط ويجعله قابلا للغذاء ويصلب المفاصل ويقوى الأوتار والرباطات ويؤمن جميع الأمراض المادية واكثر الأمراض المزاجية اذا استعمل القدر المعتدل منه فى وقته وكان باقى التدبير صوابا. ووقت الرياضة بعد انحدار الغذاء وكمال الهضم. والرياضة المعتدلة هي التى تحمر فيها البشرة وتربو ويتندى فيها البدن وأما التى يلزمها سيلان العرق فمفرطة وأي عضو كثرت رياضته قوي وخصوصا على نوع تلك الرياضة بل كل قوة فهذا شأنها فأن من استكثر من الحفظ قويت حافظته ومن استكثر من الفكر قويت قوته المفكرة ولكل عضو رياضة تخصه فللصدر القراءة فليبتدئ فيها من الخفية الى الجهر بتدريج ورياضة السمع بسمع الأصوات والكلام

بالتدريج فينتقل من الأخف الى الأثقل وكذلك رياضة اللسان في الكلام وكذلك رياضة البصر وكذلك رياضة المشي بالتدريج شيئاً فشيئاً .

وأما ركوب الخيل ورمي النشاب والصراع والمسابقة على الأقدام فرياضة للبدن كله وهي قالعة لأمراض مزمنة كالجذام والاستسقاء . والقولنج ورياضة النفوس بالتعلم والتأدب والفرح والسرور والصبر والثبات والاقدام والسماحة وفعل الخير ونحو ذلك مما ترتاض به النفوس . ومن أعظم رياضتها الصبر والحب والشجاعة والأحسان فلا تزال ترتاض بذلك شيئاً فشيئاً حتى تصير لها هذه الصفات هيآت راسخة وملكات ثابتة . وأنت اذا تأملت هديه صلى الله عليه وسلم في ذلك وجدته أكمل هدي حافظ للصحة والقوى ونافع في المعاش والمعاد .

ولا ريب ان الصلاة نفسها فيها من حفظ صحة البدن واذابة اخلاطه وفضلاته ما هو من أنفع شيء له سوى ما فيها من حفظ صحة الأيمان وسعادة الدنيا والآخرة وكذلك قيام الليل من أنفع أسباب حفظ الصحة ومن أمنع الأمور لكثير من الأمراض المزمنة ومن أنشط شيء للبدن والروح والقلب كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فأن هو استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فأن توضأ انحلت عقدة ثانية فأن صلى انحلت عقده كلها فاصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان .

وفى الصوم الشرعي من أسباب حفظ الصحة ورياضة البدن والنفس ما لا يدفعه صحيح الفطرة . واما الجهاد ومافيه من الحركات الكلية التي هي من اعظم اسباب القوة وحفظ الصحة وصلابة القلب والبدن ودفع فضلاتهما وزوال الهم والغم والحزن فامر انما يعرفه من له منه نصيب . وكذلك الحج وفعل المناسك وكذلك

المسابقة على الخيل وبالنصال والمشي في الحوائج والى الاخوان وقضاء حقوقهم وعيادة مرضاهم وتشييع جنائزهم والمشي الى المساجد للجمعات والجماعات وحركة الوضوء والاغتسال وغير ذلك وهذا أقل مافيه الرياضة المعينة على حفظ الصحة ودفع الفضلات واما ما شرع له من التوصل به الى خيرات الدنيا والآخرة ودفع شرورهما فامر وراء ذلك فعلمت ان هديه فوق كل هدي في طب الأبدان والقلوب وحفظ صحتهما ودفع اسقامهما ولا مزيد على ذلك لمن قد أحضر رشده وبالله التوفيق

﴿ فصل ﴾

واما الجماع والباه فكان هديه فيه اكمل هدي تحفظ به الصحة ويتم به اللذة وسرور النفس ويحصل به مقاصده التى وضع لأجلها فان الجماع وضع في الأصل لثلاثة امور هي مقاصده الأصلية احدها حفظ النسل ودوام النوع الأنساني الى ان تتكامل العدة التى قدر الله بروزها الى هذا العالم . الثانى اخراج الماء الذى يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن . الثالث قضاء الوطر ونيل اللذة والتمتع بالنعمة وهذه وحدها هي الفائدة التى فى الجنة اذ لاتناسل هناك ولااحتقان يستفرغه الأنزال . وفضلاء الأطباء يرون ان الجماع من احمد اسباب حفظ الصحة قال جالينوس الغالب على جوهر المنيّ النار والهواء ومزاجه حار رطب لأن كونه من الدم الصافي الذى تغتذى به الأعضاء الأصلية . واذا ثبت فضل المني فاعلم انه لاينبغى اخراجه الا في طلب النسل او اخراج المحتقن منه فأنه اذا دام احتقانه احدث امراضا رديئة منها الوسواس والجنون والصرع وغير ذلك . وقد يبرى استعماله من هذه الأمراض كثيراً فانه اذا طال احتباسه فسد واستحال الي كيفية سمية توجب امراضا رديئة كما ذكرنا ولذلك تدفعه الطبيعة اذا كثر عندها من غير جماع . وقال بعض السلف ينبغى للرجل ان يتعاهد من نفسه ثلاثا ينبغى ان لا

يدع المشي فان احتاج اليه يوما قدر عليه وينبغى ان لايدع الأكل فان امعاءه تضيق وينبغى ان لايدع الجماع فان البئر اذا لم تنزح ذهب ماؤها. وقال محمد بن زكريا من ترك الجماع مدة طويلة ضعفت قوى اعصابه واستد مجاريها وتقلص ذكره قال ورأيت جماعة تركوه لنوع من التقشف فبردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم كآبة بلا سبب وقلت شهواتهم وهضمهم انتهى. ومن منافعه غض البصر وكف النفس والقدرة على العفة عن الحرام وتحصيل ذلك للمرأة فهو ينفع نفسه في دنياه وأخراه وينفع المرأة ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعاهده ويحبه ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب. وفي كتاب الزهد للامام أحمد فى هذا الحديث زيادة لطيفة وهي اصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن. وحث على التزويج امته فقال تزوجوا فانى مكاثر بكم الأمم وقال ابن عباس خير هذه الأمة اكثرها نساء وقال صلى الله عليه وسلم انى اتزوج النساء وآكل اللحم وانام واقوم واصوم وافطر فمن رغب عن سنتي فليس منى. وقال يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحفظ للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ولما تزوج جابر ثيباً قال له هلاَّ بكراً تلاعبها وتلاعبك. وروى ابن ماجه في سننه من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد ان يلقي الله طاهرا مطهرا فليتزوج الحرائر وفي سننه أيضا من حديث ابن عباس يرفعه قال لم نر المتحابين مثل النكاح وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة وكان صلى الله عليه وسلم يحرض أمته على نكاح الأبكار الحسان وذوات الدين. وفى سنن النسائى عن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي النساء خير قال التى تسره اذا نظر اليها

وتطيعه اذا أمر ولا تخالفه فيما يكره في نفسها وماله وفي الصحيحين عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال تنكح المرأة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر
بذات الدين تربت يداك . وكان يحث على نكاح الولود ويكره المرأة التى لا
تلد كما فى سنن أبي داود عن معقل بن يسار ان رجلا جاء الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال اني أصبت امرأة ذات حسب وجمال وانها لا تلد افأتزوجها
قال لا ثم أتاه الثانية فنهاه ثم أتاه الثالثة فقال تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر
بكم الأمم وفي الترمذى عنه مرفوعا اربع من سنن المرسلين النكاح والسواك والتعطر
والحناء روى فى الجامع بالنون والياء وسمعت أبا الحجاج الحافظ يقول الصواب
انه الختان وسقطت النون من الحاشية وكذلك رواه المحاملى عن شيخ أبي عيسى الترمذى
ومما ينبغى تقديمه على الجماع ملاعبته المرأة وتقبيلها ومص لسانها وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يلاعب اهله ويقبلها . وروى أبو داود في سننه انه صلى
الله عليه وسلم كان يقبل عائشة ويمص لسانها ويذكر عن جابر بن عبد الله قال
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المواقعة قبل الملاعبة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ربما جامع نساءه كلهن بغسل واحد وربما اغتسل عند كل
واحدة منهن فروى مسلم في صحيحه عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يطوف على نسائه بغسل واحد . وروى أبو داود فى سننه عن أبي رافع مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه
فى ليلة فاغتسل عند كل امرأة منهن غسلا فقلت يارسول الله لو اغتسلت غسلا
واحدا فقال هذا أطهر وأطيب . وشرع المجامع اذا أراد العود قبل الغسل الوضوء
بين الجماعين كما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدرى قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى أحدكم أهله ثم أراد ان يعود فليتوضأ

وفي الغسل والوضوء بعد الوطء من النشاط وطيب النفس واخلاف بعض ما تحلل بالجماع وكمال الطهر والنظافة واجتماع الحار الغريزي الى داخل البدن بعد انتشاره بالجماع وحصول النظافة التي يحبها الله ويبغض خلافها ماهو من أحسن التدبير في الجماع وحفظ الصحة والقوى فيه.

(فصل) وانفع الجماع ما حصل بعد الهضم وعند اعتدال البدن فى حره وبرده ويبوسته ورطوبته وخلائه وامتلائه. وضرره عند امتلاء البدن اسهل واقل من ضرره عند خلوه. وكذلك ضرره عند كثرة الرطوبة اقل منه عند اليبوسة وعند حرارته اقل منه عند برودته . وانما ينبغي ان يجامع اذا اشتدت الشهوة وحصل الانتشار التام الذى ليس عن تكلف ولا فكر فى صورة ولا نظر متتابع.

ولا ينبغى ان يستدعي شهوة الجماع ويتكلفها ويحمل نفسه عليها وليبادر اليه اذا هاجت به كثرة المني واشتد شبقه وليحذر جماع العجوز والصغيرة التى لايوطأ مثلها والتى لاشهوة لها والمريضة والقبيحة المنظر والبغيضة. فوطئ هؤلاء يوهن القوي ويضعف الجماع بالخاصية. وغلط من قال من الأطباء ان جماع الثيب انفع من جماع البكر واحفظ للصحة وهذا من القياس الفاسد حتى ربما حذر منه بعضهم وهو مخالف لما عليه عقلاء الناس ولما اتفقت عليه الطبيعة والشريعة وفى جماع البكر من الخاصية وكمال التعلق بينها وبين مجامعها وامتلاء قلبها من محبته وعدم تقسيم هواها بينه وبين غيره ماليس للثيب. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر هلا تزوجت بكرا وقد جعل الله سبحانه من كمال نساء أهل الجنة من الحور العين انهن لم يطمثهن أحد قبل من جعلن له من أهل الجنة. وقالت عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم أرأيت لو مررت بشجرة قد ارتع فيها وشجرة لم يرتع فيها ففى أيهما كنت ترتع بعيرك قال في التي لم يرتع فيها تريد انه لم يأخذ بكرا غيرها

وجماع المرأة المحبوبة فى النفس يقل اضعافه للبدن مع كثرة استفراغه للمنيّ وجماع البغيضة يحل البدن ويوهن القوى مع قلة استفراغه . وجماع الحائض حرام طبعا وشرعا فانه مضر جدا . والأطباء قاطبة تحذر منه .

وأحسن اشكال الجماع ان يعلو الرجل المرأة مستفرشا لها بعد الملاعبة والقبلة وبهذا سميت المرأة فراشا كما قال صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وهذا من تمام قوّامية الرجل على المرأة كما قال تعالى الرجال قوّامون على النساء وكما قيل

اذا رمتها كانت فراشا يقلنى * وعند فراغى خادم يتملق

وقد قال تعالى هنّ لباس لكم وانتم لباس لهن . وأكمل اللباس وأسبغه على هذه الحال فان فراش الرجل لباس له وكذلك لحاف المرأة لباس لها فهذا الشكل الفاضل مأخوذ من هذه الآية وبه يحسن موقع استعارة اللباس من كل من الزوجين للآخر وفيه وجه آخر وهو انها تنعطف عليه أحيانا فتكون عليه كاللباس قال الشاعر

اذا ما الضجيع ثنى عطفه * تثنت فكانت عليه لباسا

وأردأ أشكاله ان تعلوه المرأة ويجامعها على ظهره وهو خلاف الشكل الطبيعى الذى طبع الله عليه الرجل والمرأة بل نوع الذكر والأنثي . وفيه من المفاسد ان المنيّ يتعسر خروجه كله فربما بقي في العضو منه بقية فيتعفن ويفسد فيضر وأيضا فربما سال الى الذكر رطوبات من الفرج وايضا فان الرحم لا يتمكن من الأشتمال على الماء واجتماعه فيه وانضمامه عليه لتخليق الولد وأيضا فأن المرأة مفعول بها طبعا وشرعا واذا كانت فاعلة خالفت مقتضى الطبع والشرع وكان اهل الكتاب انما يأتون النساء على جنوبهن على حرف ويقولون هو أيسر للمرأة وكانت قريش والأنصار تشرح النساء على أقفائهن فعابت اليهود عليهم ذلك فانزل الله عز وجل (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) وفي الصحيحين عن جابر قال كانت اليهود

تقول اذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها كان الولد أحول فأنزل الله عز وجل (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) وفى لفظ لمسلم ان شاء مجبية وان شاء غير مجبية غير ان ذلك فى صمام واحد والمجبية المنكبة على وجهها والصمام الواحد الفرج وهو موضع الحرث والولد. وأما الدبر فلم يبح قط على لسان نبيّ من الأنبياء ومن نسب الى بعض السلف اباحة وطء الزوجة في دبرها فقد غلط عليه وفى سنن أبي داود عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من أتى المرأة فى دبرها. وفي لفظ لأحمد وابن ماجه لا ينظر الله الى رجل جامع امرأته في دبرها. وفي لفظ للترمذى وأحمد من أتى حائضاً أو امرأته في دبرها او كاهنـا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. وفي لفظ للبيهقى من أتى شيأ من الرجال والنساء فى الأدبار فقد كفر وفي مصنف وكيع حدّثنى زمعة بن صالح عن ابن طاوس عن أبيه عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن يزيد قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن وقال مرة في أدبارهن وفي الترمذى عن طلق بن عليّ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تأتوا النساء فى أعجازهن فان الله لا يستحي من الحق .

وفي الكامل لابن عدى من حديثه عن المحاملي عن سعيد بن يحي الأموي قال حدثنا محمد بن حمزة عن زيد بن رفيع عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود يرفعه لا تأتوا النساء فى أعجازهن وروينا من حديث الحسن بن علي الجوهري عن أبي ذر مرفوعا من أتى الرجال والنساء في ادبارهن فقد كفر وروى اسمعيل بن عياش عن شريك بن أبي صالح عن محمد بن المنكدر عن جابر يرفعه استحيوا من الله فان الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في حشوشهن . ورواه الدارقطنى من هذه الطريق ولفظه

ان الله لا يستحي من الحق لا يحل اتيان النساء في حشوشهن .

وقال البغوي حدثنا هدبة حدثنا همام قال سئل قتادة عن الذي يأتي امرأته فى دبرها فقال حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تلك اللوطية الصغرى وقال الأمام أحمد رحمه الله فى مسنده حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا همام أخبرنا عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده فذكره. وفي المسند أيضاً عن ابن عباس قال أنزلت هذه الآية نساؤكم حرث لكم في أناس من الانصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه فقال ائتها على كل حال اذ كان في الفرج وفي المسند أيضا عن ابن عباس قال جاء عمر بن الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هلكت فقال وما الذي اهلكك قال حوّلت رحلي البارحة قال فلم يرّد عليه شيئاً فأوحى الله الى رسوله (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) أقبل وأدبر واتق الحيضة والدبر. وفى الترمذي عن ابن عباس مرفوعاً لا ينظر الله الى رجل اتى رجلاً او امرأة في الدبر. وروينا من حديث ابي على الحسن بن الحسين بن دوما عن البراء بن عازب يرفعه كفر بالله العظيم عشرة من هذه الأمة القاتل والساحر والديوث وناكح المرأة فى دبرها ومانع الزكاة ومن وجد سعة فمات ولم يحج وشارب الخمر والساعى في الفتن وبائع السلاح من اهل الحرب ومن نكح ذات محرم منه .

وقال عبد الله بن وهب حدثنا عبد الله لهيعة عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى عليه وسلم قال ملعون من يأتي النساء فى محاشهن يعنى ادبارهن وفي مسند الحرث بن اسامة من حديث ابي هريرة وابن عباس قالا خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته وهي آخر خطبة خطبها بالمدينة حتى لحق بالله عز وجل وعظنا فيها وقال من نكح امرأته في دبرها أو رجلا اوصبيا حشر يوم

القيامة وريحه أنتن من الجيفة يتأذى به الناس حتى يدخل النار وأحبط الله أجره ولا يقبل منه صرفا ولا عدلا ويدخل في تابوت من نار ويسد عليه بمسامير من نار قال ابو هريرة هذا لمن لم يتب .

وذكر ابو نعيم الاصبهاني من حديث خزيمة بن ثابت يرفعه ان الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في اعجازهن وقال الشافعي أخبرني عمي محمد بن علي بن شافع قال أخبرني عبدالله بن علي بن السائب عن عمرو بن أحيحة بن الجلاح عن خزيمة ابن ثابت أن رجلا سأل االنبي صلى الله عليه وسلم عن اتيان النساء في أدبارهن فقال حلال فلما ولى دعاه فقال كيف قلت فى أي الخربتين أوفى أي الخرزتين أوفى أي الخصفتين أمن دبرها في قبلها فنعم أم من دبرها في دبرها فلا فأن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن . قال الربيع فقيل للشافعي فما تقول فقال عمى ثقة وعبدالله بن على ثقة وقد أثنى على الأنصار خيرا يعني عمرو بن الجلاح وخزيمة ممن لا يشك فى ثقته فلست أرخص فيه بل أنهى عنه . قلت ومن ههنا نشأ الغلط على من نُقل عنه الأباحة من السلف والأئمة فانهم أباحوا أن يكون الدبر طريقا الى الوطء فى الفرج فيطأ من الدبر لا في الدبر فاشتبه على السامع من نفى أولم يظن بينهما فرقا فهذا الذي أباحه السلف والأئمة فغلط عليهم الغالط أقبح الغلط وأفحشه . وقد قال تعالى (فأتوهن من حيث أمركم الله) قال مجاهد سألت ابن عباس عن قوله تعالى (فأتوهن من حيث أمركم الله) فقال تأتيها من حيث أمرت أن تعتزلها يعنى في الحيض وقال علي بن طلحة عنه يقول في الفرج ولا تعدّه الى غيره وقد دلت الآية على تحريم الوطء في دبرها من وجهين احدهما انه انما أباح اتيانها في الحرث وهو موضع الولد لا في الحش الذى هو موضع الأذي . وموضع الحرث هو المراد من قوله من حيث أمركم الله الآية قال تعالى (فأتوا حرثكم أني شئتم) واتيانها في قبلها

من دبرها مستفاد من الآية أيضا لأنه قال أنى شئتم أي من حيث شئتم من أمام اومن خلف قال ابن عباس فأتوا حرثكم يعني الفرج واذا كان الله حرم الوطء في الفرج لأجل الأذى العارض فما الظن بالحش الذي هو محل الأذى اللازم مع زيادة المفسدة بالتعرض لانقطاع النسل والذريعة القريبة جدا من أدبار النساء الى ادبار الصبيان. وأيضا للمرأة حق على الزوج فى الوطء ووطؤها فى دبرها يفوت حقها ولا يقضى وطرها ولا يحصل مقصودها. وأيضا فان الدبر لم يتهيأ لهذا العمل ولم يخلق له وانما الذي هيئ له الفرج فالعادلون عنه الي الدبر خارجون عن حكمة الله وشرعه جميعاً. وأيضا فان ذلك مضر بالرجل ولهذا ينهى عنه عقلاء الأطباء من الفلاسفة وغيرهم لان للفرج خاصية فى اجتذاب الماء المحتقن وراحة الرجل منه والوطء في الدبر لا يعين على اجتذاب جميع الماء ولا يخرج كل المحتقن لمخالفته للأمر الطبيعي وايضا يضر من وجه آخر وهو احواجه الى حركات متعبة جدا لمخالفته للطبيعة وايضا فانه محل القذر والنجو فيستقبله الرجل بوجهه ويلابسه وايضا فانه يضر بالمرأة جداً لأنه وارد غريب بعيد عن الطباع منافر لها غاية المنافرة وايضا فانه يحدث الهم والغم والنفرة عن الفاعل والمفعول وايضا فانه يسوّد الوجه ويظلم الصدر ويطمس نور القلب ويكسو الوجه وحشة تصير عليه كالسيماء يعرفها من له أدنى فراسة وايضا فانه يوجب النفرة والتباغض الشديد والتقاطع بين الفاعل والمفعول ولا بد. وايضا فانه يفسد حال الفاعل والمفعول فساداً لا يكاد يرجى بعده صلاح الا ان يشاء الله بالتوبة النصوح. وايضا فانه يذهب بالمحاسن منهما ويكسوهما ضدها كما يذهب بالمودة بينهما ويبدلهما بها تباغضا وتلاعنا وايضا فانه من اكبر اسباب زوال النعم وحلول النقم فانه يوجب اللعنة والمقت من الله واعراضه عن فاعله وعدم نظره اليه فأي خير يرجوه بعد

هذا واي شر يأمنه. وكيف حياة عبد قد حلت عليه لعنة الله ومقته واعرض عنه بوجهه ولم ينظر اليه وايضا فانه يذهب بالحياء جملة والحياء هو حياة القلوب فاذا فقدها القلب استحسن القبيح واستقبح الحسن وحينئذ فقد استحكم فساده وايضافانه يحيل الطباع عما ركبها الله عليه ويخرج الانسان عن طبعه الى طبع لم يركب الله عليه شيأ من الحيوان بل هو طبع منكوس واذا انكس الطبع انتكس القلب والعمل والهدى فيستطيب حينئذ الخبيث من الاعمال والهيئات ويفسد حاله وعمله وكلامه بغير اختياره. وايضا فأنه يورث من الوقاحة والجرأة مالا يورثه سواه وايضا فانه يورث من المهانة والسفال والحقارة مالا يورثه غيره وايضا فانه يكسو العبد من حلة المقت والبغضاء وازدراء الناس له واحتقارهم اياه واستصغارهم له ما هو مشاهد بالحس فصلاة الله وسلامه على من سعادة الدنيا والآخرة في هديه واتباع ما جاء به وهلاك الدنيا والآخرة في مخالفة هديه وما جاء به

(فصل) والجماع الضار نوعان ضار شرعا وضار طبعا فالضار شرعا المحرم وهو مراتب بعضها اشد من بعض والتحريم العارض منه اخف من اللازم كتحريم الاحرام والصيام والاعتكاف وتحريم المظاهر منها قبل التكفير وتحريم وطء الحائض ونحو ذلك ولهذا لا حدًّ في هذا الجماع. واما اللازم فنوعان نوع لا سبيل الى حله البتة كذوات المحارم فهذا من اضر الجماع وهو يوجب القتل حداً عند طائفة من العلماء كأحمد بن حنبل رحمه الله وغيره وفيه حديث مرفوع ثابت والثاني ما يمكن ان يكون حلالا كالاجنبية فان كانت ذات زوج ففي وطئها حقان حق لله وحق للزوج فان كانت مكرهة ففيه ثلاثة حقوق وان كان لها اهل واقارب يلحقهم العار بذلك صار فيه اربعة حقوق فان كانت ذات محرم منه صار فيه خمسة حقوق فضرة هذا النوع بحسب درجاته في التحريم .

واما الضار طبعا فنوعان ايضا نوع ضار بكيفيته كما تقدم ونوع ضار بكميته كالاكثار منه فانه يسقط القوة ويضر بالعصب ويحدث الرعشة والفالج والتشنج ويضعف البصر وسائر القوى ويطفئ الحرارة الغريزية ويوسع المجاري ويجعلها مستعدة للفضلات المؤذية . وانفع اوقاته ما كان بعد انهضام الغذاء فى المعدة وفي زمان معتدل لا على جوع فانه يضعف الحار الغريزي ولا على شبع فانه يوجب امراضا سددية ولا على تعب ولا اثر حمام ولا استفراغ ولا انفعال نفساني كالغم والهم والحزن وشدة الفرح . واجود اوقاته بعد هزيع من الليل اذا صادف انهضام الطعام ثم يغتسل او يتوضأ وينام عقبه فيرجع اليه قواه وليحذر الحركة والرياضة عقبه فانها مضرة جدا .

فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم في علاج العشق

هذا مرض من امراض القلب مخالف لسائر الأمراض فى ذاته واسبابه وعلاجه واذا تمكن واستحكم عز على الأطباء دواؤه واعي العليل داؤه وانما حكاه الله سبحانه في كتابه عن طائفتين من الناس من النساء وعشاق الصبيان المردان فحكاه عن امرأة العزيز فى شأن يوسف وحكاه عن قوم لوط فقال تعالى اخباراً عنهم لما جاءت الملائكة لوطا (وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون) وأما ما زعمه بعض من لم يقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم حق قدره انه ابتلى به في شأن زينب بنت جحش وانه رآها فقال سبحان مقلب القلوب وأخذت بقلبه وجعل يقول لزيد بن حارثه امسكها حتى أنزل الله عليه (واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس

والله احق ان تخشاه) فظن هذا الزاعم ان ذلك في شأن العشق وصنف بعضهم كتابا في العشق وذكر فيه عشق الأنبياء وذكر هذه الواقعة وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل وتحميله كلام الله ما لا يحتمله ونسبته رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما برأه الله منه فأن زينب بنت جحش كانت تحت زيد ابن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تبناه وكان يدعى ابن محمد وكانت زينب فيها شمم وترفع عليه فشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلاقها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله واخفى فى نفسه أن يتزوجها ان طلقها زيد وكان يخشى من قالة الناس انه تزوج امرأة ابنه لأن زيدا كان يدعى ابنه فهذا هو الذى أخفاه فى نفسه وهذه هي الخشية من الناس التى وقعت له ولهذا ذكر سبحانه هذه الآية يعدد فيها نعمه عليه لا يعاتبه فيها واعلمه انه لا ينبغي له ان يخشى الناس فيما أحل الله له وان الله أحق ان يخشاه فلا يتحرج ما أحله له لأجل قول الناس. ثم أخبره انه سبحانه زوجه اياها بعد قضاء زيد وطره منها لتقتدي أمته فى ذلك ويتزوج الرجل بامرأة ابنه من التبنى لا امرأة ابنه لصلبه ولهذا قال فى آية التحريم (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) وقال فى هذه السورة (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) وقال فى اولها (وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم) فتأمل هذا الذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وادفع طعن الطاعنين عنه وبالله التوفيق. نعم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب نساءه وكان أحبهن اليه عائشة رضي الله عنها ولم تكن تبلغ محبته لها ولا لأحد سوى ربه نهاية الحب بل صح عنه انه قال لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لأتخذت ابا بكر خليلا وفي لفظ وان صاحبكم خليل الرحمن.

(فصل) وعشق الصور انما يبتلي به القلوب الفارغة من محبة الله تعالى المعرضة

عنه المتعوضة بغيره عنه فاذا امتلأ القلب من محبة الله والشوق الى لقائه دفع ذلك عنه مرض عشق الصور ولهذا قال تعالى في حق يوسف (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) فدل على ان الأخلاص سبب لدفع العشق وما يترتب عليه من السوء والفحشاء التى هي ثمرته ونتيجته فصرف المسبب صرف لسببه ولهذا قال بعض السلف العشق حركة قلب فارغ يعنى مما سوى معشوقه قال تعالى (واصبح فوأد ام موسى فارغا ان كادت لتبدى به) اي فارغا من كل شيء الا من موسى لفرط محبتها له وتعلق قلبها به والعشق مركب من امرين استحسان للمعشوق وطمع في الوصول اليه فمتى انتفى احدهما انتفى العشق وقد اعيت علة العشق على كثير من العقلاء وتكلم فيها بعضهم بكلام يرغب عن ذكره الى الصواب فنقول قد استقرت حكمة الله عز وجل في خلقه وامره على وقوع التناسب والتآلف بين الأشباه وانجذاب الشيء الى موافقه ومجانسه بالطبع وهروبه من مخالفه ونفرته عنه بالطبع فسر التمازج والاتصال فى العالم العلوي والسفلي انما هو التناسب والتشاكل والتوافق . وسر التباين والأنفصال انما هو بعدم التشاكل والتناسب وعلى ذلك تمام الخلق والأمر والمثل الى مثله مائل واليه صائر والضد عن ضده هارب وعنه نافر وقد قال تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها) فجعل سبحانه علة سكون الرجل الى امرأته كونها من جنسه وجوهره فعلة السكون المذكور وهو الحب كونها منه فدل على ان العلة ليست بحسن الصورة ولا الموافقة فى القصد والأرادة ولا في الخلق والهدى وان كانت هذه ايضا من اسباب السكون والمحبة . وقد ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف . وفي مسند

الأمام احمد وغيره فى سبب هذا الحديث ان امرأة بمكة تضحك الناس فجاءت الى المدينة فنزلت على امرأة تضحك الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم الأرواح جنود مجندة الحديث. وقد استقرت شريعته سبحانه ان حكم الشيء حكم مثله فلا تفرق شريعته بين متماثلين ابداً ولا تجمع بين متضادين ومن ظن خلاف ذلك فأما لقلة علمه بالشريعة. واما لتقصيره في معرفة التماثل والأختلاف واما النسبة الى شريعته مالم ينزل به سلطانا بل يكون من آراء الرجال فبحكمته وعدله ظهر خلقه وشرعه وبالعدل والميزان قام الخلق والشرع وهو التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين وهذا كما انه ثابت في الدنيا فهو كذلك يوم القيامة قال تعالى (أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كان يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعده الأمام احمد رحمه الله ازواجهم اشباههم ونظراؤهم وقال تعالى (واذا النفوس زوجت) اي قرن كل صاحب عمل بشكله ونظيره فقرن بين المتحابين فى الله في الجنة وقرن بين المتحابين في طاعة الشيطان في الجحيم فالمرء مع من احب شاء او ابى وفى صحيح الحاكم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحب المرء قوما الا حشر معهم. والمحبة انواع متعددة فأفضلها واجلها المحبة في الله ولله وهي تستلزم محبة ما احب الله وتستلزم محبة الله ورسوله ومنها محبة الأتفاق فى طريقة او دين او مذهب او نحلة اوقرابة او صناعة او مرادٍ ما. ومنها محبة لنيل غرض من المحبوب اما من جاهه او من ماله او من تعليمه وارشاده او قضاء وطر منه وهذه هي المحبة العرضية التى تزول بزوال موجبها فأنه من ودك لأمر ولى عند انقضائه. واما محبة المشاكلة والمناسبة التي بين المحب والمحبوب فمحبته لازمة لا تزول الا لعارض يزيلها ومحبة العشق من هذا النوع فانها استحسان روحاني

وامتزاج نفساني ولا يعرض فى شيء من انواع المحبة من الوسواس والنحول وشغل البال والتلف ما يعرض من العشق.

فان قيل فاذا كان سبب العشق ماذكرتم من الأتصال والتناسب الروحانى فما باله لا يكون دائما من الطرفين بل تجده كثيرا من طرف العاشق وحده فلو كان سببه الأتصال النفسى والأمتزاج الروحاني لكانت المحبة مشتركة بينهما فالجواب ان السبب قديتخلف عنه مسببه لفوات شرطأو لوجود مانع . وتخلف المحبة من الجانب الآخر لابد ان يكون لأحد ثلاثة أسباب الأول علة في المحبة وانها محبة عرضية لا ذاتية ولايجب الأشتراك في المحبة العرضية بل قد يلزمها نفرة من المحبوب. الثاني مانع يقوم بالمحب يمنع محبة محبوبه له اما في خلقه أو خلقه او هديه أو فعله أو هيأته اوغير ذلك. الثالث مانع يقوم بالمحبوب يمنع مشاركته للمحب في محبته ولولا ذلك المانع لقام بهمن المحبة مثل ما قام بالآخر فاذا انتفت هذه الموانع وكانت المحبة ذاتية فلا يكون قط الا من الجانبين .

ولولا مانع الكبر والحسد والرياسة والمعاداة في الكفار لكانت الرسل أحب اليهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم. ولما زال هذا المانع من قلوب اتباعهم كانت محبتهم لهم فوق محبة الأنفس والأهل والمال.

(فصل) والمقصود ان العشق لما كان مرضا من الأمراض كان قابلاً للعلاج وله انواع من العلاج فان كان مما للعاشق سبيل الى وصل محبوبه شرعا وقدرا فهو علاجه كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء فدل المحب على علاجين أصلى وبدلى وأمره بالأصلى وهو العلاج الذى وضع لهذا الداء فلاينبغى العدول

عنه الى غيره ما وجد اليه سبيلا وروى ابن ماجه في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لم نر للمتحابين مثل النكاح. وهذا هو المعنى الذى اشار اليه سبحانه عقيب احلال النساء حرائرهن واماءهن عند الحاجة بقوله (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الأنسان ضعيفا) فذكر تخفيفه سبحانه فى هذا الموضع واخباره عن ضعف الأنسان يدل على ضعفه عن احتمال هذه الشهوة وانه سبحانه خفف عنه أمرها بما أباحه له من اطايب النساء مثنى وثلاث ورباع وأباح له ماشاء مما ملكت يمينه ثم اباح له ان يتزوج بالأماء ان احتاج الى ذلك علاجا لهذه الشهوة وتخفيفا عن هذا الخلق الضعيف ورحمة به.

(فصل) وان كان لا سبيل للعاشق الى وصال معشوقه قدرا أو شرعا أو هو ممتنع عليه من الجهتين وهو الداء العضال فمن علاجه اشعار نفسه اليأس منه فان النفس متى يئست من الشيء استراحت منه ولم تلتفت اليه فان لم يزل مرض العشق مع اليأس فقد انحرف الطبع انحرافا شديداً فينتقل الى علاج آخر وهو علاج عقله بان يعلم بان تعلق القلب بما لا مطمع في حصوله نوع من الجنون وصاحبه بمنزلة من يعشق الشمس وروحه متعلقة بالصعود اليها والدوران معها في فلكها وهذا معدود عند جميع العقلاء فى زمرة المجانين وان كان الوصال متعذرا شرعا لا قدراً فعلاجه بان ينزله منزلة المتعذر قدرا اذما لم يأذن الله فيه فعلاج العبد ونجاته موقوف علي اجتنابه فليشعر نفسه انه معدوم ممتنع لا سبيل له اليه وانه بمنزلة سائر المحالات فان لم تجبه النفس الأمارة فليتركه لأحد أمرين اما خشية واما فوات محبوب هو أحب اليه وأنفع له وخير له منه وأدوم لذة وسرورا فان العاقل متى وازن بين نيل محبوب سريع الزوال بفوات محبوب أعظم منه وأدوم وأنفع وألذ او بالعكس ظهر له التفاوت فلا تبع لذة الأبد

التى هي لا خطر لها بلذة ساعة تنقلب آلاما وحقيقتها انها أحلام نائم أو خيال
لا ثبات له فتذهب اللذة وتبقى التبعة وتزول الشهوة وتبقي الشقوة الثاني حصول
مكروه أشق عليه من فوات هذا المحبوب بل يجتمع له الأمران أعنى فوات ماهو
أحب اليه من هذا المحبوب وحصول ماهو أكره اليه من فوات هذا المحبوب
فاذا تيقن ان في اعطاء النفس حظها من هذا المحبوب هذين الأمرين هان
عليه تركه ورأى ان صبره على فوته أسهل من صبره عليهما بكثير فعقله ودينه
ومروءته وانسانيته تأمره باحتمال الضرر اليسير الذى ينقلب سريعا لذة وسروراً
وفرحا لدفع هذين الضررين العظيمين وجهله وهواه وظلمه وطيشه وخفته تأمره
بأيثار هذا المحبوب العاجل بما فيه جالبا عليه ما جلب. والمعصوم من عصمه الله
فان لم تقبل نفسه هذا الدواء ولم تطاوعه لهذه المعالجة فلينظر ماتجلب عليه هذه الشهوة
من مفاسد عاجلته وما تمنعه من مصالحها فأنها اجلب شيء لمفاسد الدنيا واعظم شيء
تعطيلا لمصالحها فانها تحول بين العبد وبين رشده الذى هو ملاك أمره وقوام مصالحه
فان لم تقبل نفسه هذا الدواء فليتذكر قبائح المحبوب وما يدعوه الى النفرة عنه فانه ان
طلبها وتأملها وجدها أضعاف محاسنه التى تدعو الى حبه وليسأل جيرانه عما خفي عليه
منها فان المحاسن كما هي داعية الحب والأرادة فالمساوي داعية البغض والنفرة فليوازن
بين الداعيين وليحب أسبقهما واقربهما منه بابا ولا يكن ممن غره لون جمال على جسم
أبرص مجذوم وليجاوز بصره من حسن الصورة الى قبح الفعل وليعبر من حسن المنظر
والجسم الى قبح المخبر والقلب فان عجزت عنه هذه الأدوية كلها لم يبق له
الا صدق اللجاء الى من يجيب المضطر اذا دعاه وليطرح نفسه بين يديه على بابه
مستغيثا به متضرعا متذللا مستكينا فمتى وفق لذلك فقد قرع باب التوفيق فليعف
وليكتم ولا يشبب بذكر المحبوب ولا يفضحه بين الناس ويعرضه للأذى فأنه

يكون ظالما متعديا ولا يغتر بالحديث الموضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه سويد بن سعيد عن علي بن مسهر عن أبي يحي القتات عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه على ابن مسهر أيضا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه الزبير بن بكار عن عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون عن عبد العزيز ابن حازم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من عشق فعف فمات فهو شهيد وفي رواية من عشق وكتم وعف وصبر غفر له الله وأدخله الجنة. فأن هذا الحديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ان يكون من كلامه فان الشهادة درجة عالية عند الله مقرونة بدرجة الصديقية ولها أعمال وأحوال وهي شرط في حصولها وهي نوعان عامة وخاصة فالخاصة الشهادة في سبيل الله والعامة خمس مذكورة فى الصحيح ليس العشق واحداً منها. وكيف يكون العشق الذى هو شرك فى المحبة وفراغ عن الله وتمليك القلب والروح والحب لغيره تنال به درجة الشهادة هذا من المحال فان افساد عشق الصور للقلب فوق كل افساد بل هو خمر الروح الذى يسكرها ويصدها عن ذكر الله وحبه والتلذذ بمناجاته والأنس به ويوجب عبودية القلب لغيره فان قلب العاشق متعبد لمعشوقه بل العشق لب العبودية فانها كمال الذل والحب والخضوع والتعظيم فكيف يكون تعبد القلب لغير الله مما تنال به درجة افاضل الموحدين وساداتهم وخواص الأولياء فلو كان اسناد هذا الحديث كالشمس كان غلطا ووهما ولا يحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ العشق فى حديث صحيح البتة. ثم ان العشق منه حلال ومنه حرام فكيف يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم انه يحكم على كل عاشق يكتم

ويعف بأنه شهيد فترى من يعشق امرأة غيره أو يعشق المردان والبغايا ينال بعشقه درجة الشهداء وهل هذا الا خلاف المعلوم من دينه صلى الله عليه وسلم كيف والعشق مرض من الأمراض التى جعل الله سبحانه لها الأدوية شرعا وقدرا . والتداوى منه اما واجب ان كان عشقا حراما واما مستحب وأنت اذا تأملت الأمراض والآفات التى حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابها بالشهادة وجدتها من الأمراض التى لا علاج لها كالمطعون والمبطون والمجبوب والحريق والغريق وموت المرأة يقتلها ولدها فى بطنها فان هذه بلايا من الله لاصنع للعبد فيها ولا علاج لها وليست اسبابها محرمة ولا يترتب عليها من فساد القلب وتعبده لغير الله ما يترتب على العشق فان لم يكف هذا فى ابطال نسبة هذا الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلد أئمة الحديث العالمين به وبعلله فانه لا يحفظ عن امام واحد منهم قط انه شهد له بصحة بل ولا بحسن كيف وقد أنكروا على سويد هذا الحديث ورموه لأجله بالعظائم واستحل بعضهم غزوه لأجله. قال أبو أحمد بن عدي في كامله هذا الحديث أحد ما أنكر على سويد وكذلك قال البيهقى انه مما أنكر عليه وكذلك قال ابن طاهر في الذخيرة وذكره الحاكم في تاريخ نيسابور وقال أنا أتعجب من هذا الحديث فانه لم يحدّث به عن غير سويد وهو ثقة وذكره أبو الفرج بن الجوزى في كتاب الموضوعات وكان أبو بكر الأزرق يرفعه أوّلا عن سويد فعوتب فيه فأسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وكان لا يجاوز به ابن عباس رضي الله عنهما. ومن المصائب التى لا تحتمل جعل هذا الحديث من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن له أدنى المام بالحديث وعلله لا يحتمل هذا البتة ولا يحتمل أن يكون من حديث ابن الماجشون عن ابن أبى

حازم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً وفي صحته مرفوعاً عن ابن عباس نظر. وقد رمى الناس سويد بن سعيد راوى هذا الحديث بالعظائم وانكره عليه يحي بن معين وقال هو ساقط كذاب لو كان لى فرس ورمح كنت أغزوه. وقال الأمام أحمد متروك الحديث وقال النسائى ليس بثقة وقال البخاري كان قد عمي فتلقن ما ليس من حديثه وقال ابن حبان يأتى بالمعضلات عن الثقات يجب مجانبة ما روى انتهى. وأحسن ما قيل فيه قول أبي حاتم الرازي انه صدوق كثير التدليس ثم قول الدار قطنى هو ثقة غير انه لما كبر كان ربما قرئ عليه حديث فيه بعض النكارة فيجيزه انتهى. وعيب علي مسلم اخراج حديثه وهذه حاله ولكن مسلم روى من حديثه ما تابعه عليه غيره ولم ينفرد به ولم يكن منكرا ولا شاذا بخلاف هذا الحديث والله اعلم.

﴿ فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في حفظ الصحة بالطيب ﴾

لما كانت الرائحة الطيبة غذاء الروح والروح مطية القوى والقوى تزداد بالطيب وهو ينفع الدماغ والقلب وسائر الأعضاء الباطنة ويفرح القلب ويسر النفس وينشط الروح وهو اصدق شيء للروح واشده ملائمة لها وبينه وبين الروح الطيبة نسبة قريبة كان احد المحبوبين من الدنيا الى اطيب الطيبين صلوات الله عليه وسلامه. وفي صحيح البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان لا يرد الطيب. وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم من عرض عليه ريحان فلا يرده فانه طيب الريح خفيف المحمل وفي سنن ابى داود والنسائى عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من عرض عليه طيب فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة. وفى مسند البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود

فنظفوا افناءكم وساحاتكم ولا تشبهوا باليهود يجمعون الأكباء في دورهم . الأكباء الزبالة. وذكر ابن ابي شيبة انه صلى الله عليه وسلم كان له سكة يتطيب منها . وصح عنه انه قال ان لله حقاً على كل مسلم ان يغتسل فى كل سبعة ايام وان كان له طيب ان يمس منه. وفى الطيب من الخاصية ان الملائكة تحبه والشياطين تنفر عنه واحب شيء الى الشياطين الرائحة المنتنة الكريهة فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة وكل روح تميل الى ما يناسبها فالخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات . وهذا وان كان في النساء والرجال فانه يتناول الأعمال والأقوال والمطاعم والمشارب والملابس والأرائح اما بعموم لفظه او بعموم معناه

﴿ فصل في هديه صلى الله عليه وسلم فى حفظ صحة العين ﴾

روى ابو داود في سننه عن عبد الرحمن بن النعمان بن معبد بن هوذة الأنصاري عن ابيه عن جده رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بالأثمد المروح عند النوم وقال ليتقه الصائم قال ابو عبيد المروح المطيب بالمسك وفي سنن ابن ماجه وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم مكحلة يكتحل منها ثلاثا في كل عين وفي الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اكتحل يجعل في اليمنى ثلاثا يبتدئ بها ويختم بها وفى اليسرى ثنتين. وقد روى ابو داود عنه صلى الله عليه وسلم من اكتحل فليوتر فهل الوتر بالنسبة الى العينين كلتيهما فيكون فى هذه ثلاث وفي هذه اثنتان واليمنى اولى بالأبتداء والتفضيل او هو بالنسبة الى كل عين فيكون في هذه ثلاث وفى هذه ثلاث وهما قولان في مذهب احمد وغيره. وفي الكحل حفظ لصحة العين وتقوية للنور الباصر وجلاء لها وتلطيف

للمادة الرديئة واستخراج لها مع التزينة في بعض انواعه . وله عند النوم مزيد فضل لأشتمالها على الكحل وسكونها عقيبه عن الحركة المضرة بها وخدمة الطبيعة لها وللاثمد في ذلك خاصية . وفي سنن ابن ماجه عن سالم عن ابيه يرفعه عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر . وفي كتاب ابي نعيم فانه منبتة للشعر مذهبة للقذى مصفاة للبصر وفي سنن ابن ماجه ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه خير اكحالكم الاثمد يجلو البصر وينبت الشعر .

﴿ فصل ﴾

في ذكر شيء من الأدوية والأغذية المفردة التى جاءت على لسانه صلى الله عليه وسلم مرتبة على حروف المعجم

﴿ حرف الهمزة ﴾

(اثمد) هو حجر الكحل الأسود يؤتى به من اصفهان وهو افضله ويؤتى به من جهة الغرب أيضا وأجوده السريع التفتيت الذى لفتاته بصيص وداخله أملس ليس فيه شيء من الأوساخ ومزاجه بارد يابس ينفع العين ويقويها ويشد اعصابها ويحفظ صحتها ويذهب اللحم الزائد في القروح ويدملها وينقى أوساخها ويجلوها ويذهب الصداع اذا اكتحل به مع العسل المائى الرقيق . واذا دق وخلط ببعض الشحوم الطرية ولطخ على حرق النار لم تعرض فيه خشكريشة ونفع من التنفط الحادث بسببه وهو أجود أكحال العين لا سيما المشايخ والذين قد ضعفت أبصارهم اذا جعل معه شيء من المسك .

(اترج) ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب . وفي الأترج منافع كثيرة

وهو مركب من اربعة اشياء قشر ولحم وحمض وبزر ولكل واحد منها مزاج يخصه فقشره حار يابس ولحمه حار رطب وحمضه بارد يابس وبزره حار يابس ومن منافع قشره انه اذا جعل فى الثياب منع السوس ورائحته تصلح فساد الهواء والوباء ويطيب النكهة اذا امسكها في الفم ويحلل الرياح واذا جعل في الطعام كالأبازير اعان على الهضم. قال صاحب القانون وعصارة قشره تنفع من نهش الأفاعي شربا وقشره ضمادا وحراقة قشره طلاء جيد للبرص انتهى. واما لحمه فملطف لحرارة المعدة نافع لأصحاب المرة الصفراء قامع للبخارات الحارة وقال الغافقي أكل لحمه ينفع البواسير انتهى واما حماضه فقابض كاسر للصفراء ومسكن للخفقان الحار نافع من اليرقان شربا واكتحالا قاطع للقيء الصفراوى مشه للطعام عاقل للطبيعة نافع من الاسهال الصفراوي وعصارة حماضه يسكن غلمة النساء وينفع طلاء من الكلف ويذهب بالقوبا ويستدل على ذلك من فعله فى الحبر اذا وقع على الثياب قلعه وله قوة تلطف وتقطع وتبرد وتطفئ حرارة الكبد وتقوى المعدة وتمنع حدة المرة الصفراء وتزيل الغم العارض منها وتسكن العطش واما بزره فله قوة محللة مجففة. وقال ابن ماسويه خاصية حبه النفع من السموم القاتلة اذا شرب منه وزن مثقالين مقشرا بماء فاتر وطلاء مطبوخ وان دق ووضع على موضع اللسعة نفع وهو ملين للطبيعة مطيب للنكهة واكثر هذا الفعل موجود فى قشرة وقال غيره خاصية حبه النفع من لسع العقارب اذا شرب منه وزن مثقالين مقشرا بماء فاتر وكذلك اذا دق ووضع على موضع اللدغة. وقال غيره حبه يصلح للسموم كلها وهو نافع من لدغ الهوام كلها وذكر ان بعض الأكاسرة غضب على قوم من الاطباء فأمر بحبسهم وخيرهم أدما لايزيد لهم عليه فاختاروا الأترج فقيل لهم لم اخترتموه على غيره فقالوا لأنه في العاجل ريحان ومنظره مفرح وقشره طيب الرائحة ولحمه فاكهة

وحمضه أدم وحبه ترياق وفيه دهن وحقيق بشيء هذه منافعه ان يشبه به خلاصة الوجود وهو المؤمن الذي يقرأ القرآن وكان بعض السلف يحب النظر اليه لما فى منظره من التفريح .

(أرز) فيه حديثان باطلان موضوعان على رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما انه لو كان رجلا لكان حليما الثاني كل شيء اخرجته الأرض ففيه داء وشفاء الا الأرز فانه شفاء لاداء فيه ذكرناهما تنبيها وتحذيرا من نسبتهما اليه صلى الله عليه وسلم . وبعد فهو حار يابس وهو اغذى الحبوب بعد الحنطة واحمدها خلطا يشدّ البطن شداً يسيراً ويقوى المعدة ويدبغها ويمكث فيها واطباء الهند تزعم انه احمد الأغذية وانفعها اذا طبخ بألبان البقر وله تأثير في خصب البدن وزيادة المني وكثرة التغذية وتصفية اللون.

(أرز) بفتح الهمزه وسكون الراء وهو الصنوبر ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في قوله مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع تفيئها الرياح تقيمها مرة وتميلها أخرى ومثل المنافق مثل الأرزة لا تزال قائمة على اصلها حتى يكون انجفافها مرة واحدة. وحبه حار رطب وفيه انضاج وتليين وتحليل ولذع يذهب بنقعه في الماء وهو عسر الهضم وفيه تغذية كثيرة وهو جيد للسعال ولتنقية رطوبات الرئة ويزيد فى المني ويولد مغصا وترياقه حب الرمان المز .

(اذخر) ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في مكة لا يختلي خلاها قال له العباس رضي الله عنه الا الأذخر يا رسول الله فانه لقينهم ولبيوتهم فقال الا الأذخر . والأذخر حار في الثانية يابس في الأولى لطيف مفتح للسدد وافواه العروق يدر البول والطمث ويفتت الحصا ويحلل الأورام الصلبة فى المعدة والكبد والكليتين شربا وضماداً وأصله يقوى عمود الأسنان والمعدة ويسكن الغثيان ويعقل البطن

﴿ حرف البـاء ﴾

(بطيخ) روى أبو داود والترمذى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأكل البطيخ بالرطب يقول يدفع حر هذا برد هذا. وفي البطيخ عدة أحاديث لا يصح منها شيء غير هذا الحديث الواحد. والمراد به الأخضر وهو بارد رطب وفيه جلاء وهو أسرع انحداراً عن المعدة من القثاء والخيار وهو سريع الاستحالة الى أي خلط كان صادفه في المعدة واذا كان آكله محروراً انتفع به جدا وان كان مبرودا دفع ضرره بيسير من الزنجبيل ونحوه وينبغى أكله قبل الطعام ويتبع به والا غثى وقيء وقال بعض الأطباء انه قبل الطعام يغسل البطن غسلا ويذهب بالداء أصلا

(بلح) روى النسائى وابن ماجه في سننهما من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسم كلوا البلح بالتمر فأن الشيطان اذا نظر الى ابن آدم يأكل البلح بالتمر يقول بقي ابن آدم حتى أكل الحديث بالعتيق وفي رواية كلوا البلح بالتمر فان الشيطان يحزن اذا رأى ابن آدم يأكله يقول عاش ابن آدم حتى اكل الجديد بالخلق رواه البزار في مسنده وهذا لفظه. قلت الباء في الحديث بمعنى مع أي كلوا هذا مع هذا قال بعض أطباء الأسلام انما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأكل البلح بالتمر ولم يأمر بأكل البسر مع التمر لأن البلح بارد يابس والتمر حار رطب ففى كل منهما اصلاح للآخر وليس كذلك البسر مع التمر فان كل واحد منهما حار وان كانت حرارة التمر أكثر ولا ينبغى من جهة الطب الجمع بين حارين أو باردين كما تقدم. وفى هذا الحديث التنبيه على صحة أصل صناعة الطب ومراعاة التدبير الذي يصلح في دفع كيفيات الأغذية والأدوية بعضها ببعض ومراعاة القانون الطبى الذى يحفظ به الصحة. وفي البلح برودة ويبوسة وهو ينفع الفم واللثة والمعدة وهو

رديء للصدر والرئة بالخشونة التى فيه بطيء فى المعدة يسير التغذية وهو للنخلة كالحصرم لشجرة العنب وهما جميعا يولدان رياحا وقراقر ونفخا ولا سيما اذا شرب عليهما الماء ودفع مضرتهما بالتمر أو بالعسل والزبد.

(بسر) ثبت فى الصحيح أن أبا الهيثم بن التيهان لما ضافه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما جاءهم بعذق وهو من النخلة كالعنقود من العنب فقال له هلا انتقيت لنا من رطبه فقال أحببت أن تنتقوا من بسره ورطبه.

البسر حار يابس ويبسه أكثر من حره ينشف الرطوبة ويدبغ المعدة ويحبس البطن وينفع اللثة والفم وأنفعه ما كان هشا وحلوا وكثرة أكله وأكل البلح يحدث السدد فى الأحشاء .

(بيض) ذكر البيهقى فى شعب الأيمان أثرا مرفوعا أن نبيا من الأنبياء شكى الى الله سبحانه الضعف فأمره بأكل البيض . وفى ثبوته نظر ويختار من البيض الحديث على العتيق وبيض الدجاج على سائر بيض الطير وهو معتدل يميل الى البرودة قليلا قال صاحب القانون ومحه حار رطب يولد دما صحيحا محمودا ويغذى غذاء يسيرا ويسرع الانحدار من المعدة اذا كان رخوا وقال غيره مح البيض مسكن للألم مملس للحلق وقصبة الرئة نافع للحلق والسعال وقروح الرئة والكلى والمثانة مذهب للخشونة لاسيما اذا أخذ بدهن اللوز الحلو ومنضج لما فى الصدر ملين له مسهل لخشونة الحلق . وبياضه اذا قطر فى العين الوارمة ورما حارا برده وسكن الوجع واذا لطخ به حرق النار أول ما يعرض له لم يدعه يتنفط واذا لطخ به الوجه منع من الأحتراق العارض من الشمس واذا خلط بالكندر ولطخ على الجبهة نفع من النزلة . وذكره صاحب القانون في الأدوية القلبية ثم قال وهو وان لم يكن من الأدوية المطلقة فانه مما له مدخل في تقوية القلب جداً

أعنى الصفرة وهى تجمع ثلاثة معان سرعة الأستحالة الى الدم وقلة الفضل وكون الدم المتولدمنه مجانسا للدم الذى يغذوا القلب خفيفا مندفعا اليه بسرعة ولذلك هو أوفق ما يتلافي به عادية الأمراض المحللة لجوهر الروح .

(بصل) روى ابو داود في سننه عن عائشة رضي الله عنها انها سئلت عن البصل فقالت ان آخر طعام اكله صلى الله عليه وسلم كان فيه بصل. وثبت عنه فى الصحيحين انه منع آكله من دخول المسجد. والبصل حار في الثالثة وفيه رطوبة فضلية ينفع من تغير المياه ويدفع ريح السموم ويفتق الشهوة ويقوي المعدة ويهيج الباه ويزيد في المني ويحسن اللون ويقطع البلغم ويجلو المعدة وبزره يذهب البهق ويدلك به حول داء الثعلب فينفع جداً وهو بالملح يقلع الثآليل واذا شمه من شرب دواء مسهلا منعه من القيء والغثيان واذهب رائحة ذلك الدواء واذا تسعط بمائه نقى الرأس. ويقطر في الأذن لثقل السمع والطنين والقيح والماء الحادث في الأذنين وينفع من الماء النازل في العينين اكتحالا يكتحل ببزره مع العسل لبياض العين والمطبوخ منه كثير الغذاء ينفع من اليرقان والسعال وخشونة الصدر ويدر البول ويلين الطبع وينفع من عضة الكلب غير الكلب اذا نطل عليها ماؤه بملح وسذاب واذا احتمل فتح افواه البواسير .

(فصل) واما ضرره فانه يورث الشقيقة ويصدع الرأس ويولد ارياحا ويظلم البصر وكثرة اكله تورث النسيان ويفسد العقل ويغير رائحة الفم والنكهة ويؤذي الجليس والملائكة وأماتته طبخا تذهب بهذه المضرات منه .

وفي السنن انه صلى الله عليه وسلم امر آكله وآكل الثوم ان يميتهما طبخاً .

ويذهب رائحته مضغ ورق السذاب عليه .

(باذنجان) فى الحديث الموضوع المختلق على رسول الله صلى الله عليه وسلم

الباذنجان لما اكل له وهذا الكلام مما يستقبح نسبته الى آحاد العقلاء فضلا عن الأنبياء . وبعد فهو نوعان ابيض واسود وفيه خلاف هل هو بارد او حار والصحيح انه حار وهو مولد للسوداء والبواسير والسدد والسرطان والجذام ويفسد اللون ويسوده ويضر بنتن الفم والأبيض منه المستطيل عار من ذلك

﴿ حرف التاء ﴾

(تمر) ثبت فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم من تصبح بسبع تمرات وفي لفظ من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر وثبت عنه انه قال بيت لا تمر فيه جياع اهله وثبت عنه انه اكل التمر بالزبد واكل التمر بالخبز واكله مفردا وهو حار فى الثانية وهل هو رطب فى الأولى او يابس فيها على قولين وهو مقو للكبد ملين للطبع يزيد فى الباه ولاسيما مع حب الصنوبر ويبرئ من خشونة الحلق ومن لم يعتده كأهل البلاد الباردة فانه يورث لهم السدد ويؤذي الاسنان ويهيج الصداع ودفع ضرره باللوز والخشخاش . وهو من اكثر الثمار تغذية للبدن بما فيه من الجوهر الحار الرطب واكله على الريق يقتل الدود فانه مع حرارته فيه قوة ترياقية فاذا اديم استعماله على الريق جفف مادة الدود واضعفه وقلله او قتله وهو فاكهة وغذاء ودواء وشراب وحلوى .

(تين) لما لم يكن التين بأرض الحجاز والمدينة لم يأت له ذكر في السنة فان ارضه تنافى ارض النخل ولكن قد اقسم الله به فى كتابه لكثرة منافعه وفوائده والصحيح ان المقسم به هو التين المعروف وهو حار وفي رطوبته ويبوسته قولان واجوده الأبيض الناضج القشر يجلو رمل الكلي والمثانة ويؤمن من السموم وهو اغذا من جميع الفواكه وينفع خشونة الحلق والصدر وقصبة الرئة ويغسل الكبد والطحال وينقى الخلط البلغمى من المعدة ويغذو البدن غذاءً جيداً الا انه

يولد القمل اذا اكثر منه جدا ويابسه يغذو وينفع العصب وهو مع الجوز واللوز محمود. قال جالينوس واذا اكل مع الجوز والسذاب قبل اخذ السم القاتل نفع وحفظ من الضرر ويذكر عن ابي الدرداء اهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم طبق من تين فقال كلوا واكل منه وقال لو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة قلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوا منها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس. وفي ثبوت هذا نظر. واللحم منه اجود ويعطش المحرورين ويسكن العطش الكائن عن البلغم المالح وينفع السعال المزمن ويدر البول ويفتح سدد الكبد والطحال ويوافق الكلى والمثانة ولأكله على الريق منفعة عجيبة فى تفتيح مجاري الغذاء وخصوصا باللوز والجوز واكله مع الأغذية الغليظة ردئ جدا والتوت الأبيض قريب منه ولكنه اقل تغذية واضر بالمعدة.

(تلبينة) قد تقدم انها ماء الشعير المطحون وذكرنا منافعها وانها انفع لأهل الحجاز من ماء الشعير الصحيح.

﴿ حرف الثاء ﴾

(ثلج) ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد وفي هذا الحديث من الفقه ان الداء يداوى بضده فان في الخطايا من الحرارة والحريق ما يضاد الثلج والبرد والماء البارد. ولا يقال ان الماء الحار ابلغ فى ازالة الوسخ لأن فى الماء البارد من تصليب الجسم وتقويته ما ليس فى الحار والخطايا توجب اثرين التدنيس والأرخاء فالمطلوب تداويها بما ينظف القلب ويصلبه فذكر الماء البارد والثلج والبرد اشارة الى هذين الأمرين وبعد فالثلج بارد على الأصح وغلط من قال حار وشبهته تولد الحيوان فيه وهذا لا يدل على حرارته فانه يتولد فى الفواكه الباردة وفي الخل. واما تعطيشه فلتهييجه

الحرارة لا لحرارته فى نفسه ويضر المعدة والعصب واذا كان وجع الأسنان من حرارة مفرطة سكنها .

(ثوم) هو قريب من البصل وفى الحديث من اكلهما فليمتهما طبخا واهدي اليه طعام فيه ثوم فأرسل به الى ابى ايوب الأنصاري فقال يارسول الله تكرهه وترسل به الي؟ فقال انى أناجي من لا تناجي وبعد فهو حار يابس في الرابعة يسخن اسخانا قويا ويجفف تجفيفا بالغا نافعا المبرودين ولمن مزاجه بلغمى ولمن اشرف على الوقوع فى الفالج وهو مجفف للمني مفتح للسدد محلل للرياح الغليظة هاضم للطعام قاطع للعطش مطلق للبطن مدر للبول يقوم في لسع الهوام وجميع الأورام الباردة مقام الترياق واذا دق وعمل فيه ضماد على نهش الحيات او في لسع العقارب نفعها وجذب السموم منها ويسخن البدن ويزيد فى حرارته ويقطع البلغم ويحلل النفخ ويصفى الحلق ويحفظ صحة اكثر الأبدان وينفع من تغير المياه والسعال المزمن ويؤكل نيا ومطبوخا ومشويا وينفع من وجع الصدر من البرد ويخرج العلق من الحلق . واذا دق مع الخل والملح والعسل ثم وضع على الضرس المتأكل فتته واسقطه وعلى الضرس الوجع سكن وجعه وان دق منه مقدار درهمين واخذ مع ماء العسل اخرج البلغم والدود واذا طلي بالعسل على البهق نفع ومن مضاره انه يصدع ويضر الدماغ والعينين ويضعف البصر والباه ويعطش ويهيج الصفراء ويجيف رائحة الفم ويذهب رائحته ان يمضغ عليه ورق السذاب .

(ثريد) ثبت فى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام والثريد وان كان مركبا فأنه مركب من خبز ولحم فالخبز أفضل الأقوات واللحم سيد الأدام فأذا اجتمعا لم يكن بعدهما غاية وتنازع الناس أيهما افضل والصواب ان الحاجة الى الخبز أكثر وأعم

واللحم أجل وأفضل وهو أشبه بجوهر البدن من كل ما عداه وهو طعام أهل الجنة وقد قال تعالى لمن طلب البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل (أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير) وكثير من السلف على ان الفوم هو الحنطة وعلى هذا فالآية نص على ان اللحم خير من الحنطة والله سبحانه اعلم .

﴿ حرف الجيم ﴾

(جمار) وهو قلب النخل ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس اذ أتى بجمار نخلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشجر شجرة مثل الرجل المسلم لا يسقط ورقها الحديث . والجمار بارد يابس في الأولى يختم الفروح وينفع من نفث الدم واستطلاق البطن وغلبة المرة الصفراء وثائرة الدم وليس برديء الكيموس ويغذو غذاء يسيرا وهو بطئ الهضم وشجرته كلها منافع ولهذا مثلها النبي صلى الله عليه وسلم بالرجل المسلم لكثرة خيره ومنافعه .

(جبن) في السنن عن عبد الله بن عمر أتي النبي صلى الله عليه وسلم بجبنة في تبوك فدعا بسكين وسمى وقطع رواه أبو داود وأكله الصحابة رضي الله عنهم بالشام والعراق . والرطب غير المملوح جيد للمعدة هين السلوك في الأعضاء يزيد في اللحم ويلين البطن تليينا معتدلا والمملوح أقل غذاء من الرطب وهو رديء للمعدة مؤذ للأمعاء والعتيق يعقل البطن وكذا المشوى وينفع القروح ويمنع الاسهال وهو بارد رطب فان استعمل مشويا كان أصلح لمزاجه فان النار تصلحه وتعدله وتلطف جوهره وتطيب طعمه ورائحته والعتيق المالح حار يابس وشيه يصلحه أيضا بتلطيف جوهره وكسر حرافته لما تجذبه النار منه من الأجزاء الحارة اليابسة المناسبة لها . والمملح منه يهزل ويولد حصاة الكلي والمثانة وهو

رديء المعدة وخالطه بالملطفات اردأ بسبب تنفيذها له الى المعدة .

﴿ حرف الحاء ﴾

(حناء) قد تقدمت الأحاديث في فضله وذكر منافعه فأغنى عن اعادته .

(حبة السوداء) ثبت في الصحيحين من حديث ابى سلمة عن ابى هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بهذه الحبة السوداء فان فيها شفاء من كل داء الا السام والسام الموت . الحبة السوداء هي الشونيز فى لغة الفرس وهي الكمون الأسود وتسمى الكمون الهندي قال الحربى عن الحسن انها الخردل وحكى الهروي انها الحبة الخضراء ثمرة البطم وكلاهما وهم .

والصواب انها الشونيز وهي كثيرة المنافع جدا وقوله شفاء من كل داء مثل قوله تعالى تدمر كل شيء بأمر ربها اي كل شيء يقبل التدمير ونظائره وهي نافعة من جميع الأمراض الباردة وتدخل فى الأمراض الحارة اليابسة بالعرض فتوصل قوى الأدوية الباردة الرطبة اليها بسرعة تنفيذها اذا اخذ يسيرها. وقد نص صاحب القانون وغيره على الزعفران في قرص الكافور لسرعة تنفيذه وايصاله قوته. وله نظائر يعرفها حذاق الصناعة ولا تستبعد منفعة الحار في امراض حارة بالخاصية فانك تجد ذلك في أدوية كثيرة منها الأنزروت وما يركب معه من ادوية الرمد كالسكر وغيره من المفردات الحارة والرمد ورم حار باتفاق الأطباء وكذلك نفع الكبريت الحار جدا من الجرب. والشونيز حار يابس في الثالثة مذهب للنفخ مخرج لحب القرع نافع من البرص وحمي الربع والبلغمية مفتح للسدد ومحلل للرياح مجفف لبلة المعدة ورطوبتها وان دق وعجن بالعسل وشرب بالماء الحار اذاب الحصاة التى تكون فى الكليتين والمثانة ويدر البول والحيض واللبن اذا اديم شربه اياما وان سخن بالخل وطلي على البطن

قتل حب القرع فان عجن بماء الحنظل الرطب او المطبوخ كان فعله في اخراج
الدود اقوى ويجلو ويقطع ويحلل ويشفى من الزكام البارد اذا دق وصر في
خرقة واشتم دائما اذهبه. ودهنه نافع داء الحية ومن الثآليل والخيلان واذا شرب
منه مثقال بماء نفع من البهر وضيق النفس والضماد به ينفع من الصداع البارد
واذا نقع منه سبع حبات عددا في لبن امرأة وسعط به صاحب اليرقان نفعه
نفعا بليغا واذا طبخ بخل وتمضمض به نفع من وجع الاسنان عن برد واذا استعط
به مسحوقا نفع من ابتداء الماء العارض في العين وان ضمد به مع الخل قلع البثور
والجرب المتقرح وحلل الأورام البلغمية المزمنة والأورام الصلبة وينفع من
اللقوة اذا تسعط بدهنه واذا شرب منه مقدار نصف مثقال الى مثقال نفع من
لسع الرتيلاء وان سحق ناعما وخلط بدهن الحبة الخضراء وقطر منه في الاذن
ثلاث قطرات نفع من البرد العارض فيها والريح والسدد وان قلي ثم دق
ناعما ثم نقع في زيت وقطر فى الانف ثلاث قطرات اواربع نفع من الزكام
العارض معه عطاس كثير واذا احرق وخلط بشمع مذاب بدهن السوسن او
دهن الحناء وطلى به القروح الخارجة من الساقين بعد غسلها بالخل نفعها وأزال
القروح واذا سحق بخل وطلى به البرص والبهق الأسود والخزاز الغليظ نفعها
وابرأها واذا سحق ناعما واستف منه كل يوم درهمين بماء بارد من عضة كلب
كلبٍ قبل ان يفزع من الماء نفعه نفعاً بليغاً وامن على نفسه من الهلاك واذا
سعط بدهنه نفع من الفالج والكزاز وقطع موادهما واذا دخن به طرد الهوام
واذا اذيب الأنزروت بماء ولطخ على داخل الحلقة ثم ذر عليها الشونيز كان
من الذرورات الجيدة العجيبة النفع من البواسير ومنافعه اضعاف ما ذكرنا
والشربة منه درهمان وزعم قوم ان الأكثار منه قاتل .

(حرير) قد تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم اباحه للزبير ولعبد الرحمن بن عوف من حكة كانت بهما وتقدم منافعه ومزاجه فلا حاجة الى اعادته .

(حرف) قال ابو حنيفة هذا هو الحب الذي يتداوى به وهو الشفاء الذى جاء فيه الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ونباته يقال له الحرف وتسميه العامة الرشاد وقال ابو عبيد الثفاء هو الحرف قلت والحديث الذي اشار اليه ماروواه ابو عبيد وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ماذا فى الأمرين من الشفاء الثفاء والصبر ورواه ابو داود في المراسيل وقوته فى الحرراة واليبوسة في الدرجة الثالثة وهو يسخن ويلين البطن ويخرج الدود وحب القرع ويحلل اورام الطحال ويحرك شهوة الجماع ويجلو الجرب المتقرح والقوبا واذا ضمد به مع العسل حلل ورم الطحال واذا طبخ مع الحناء اخرج الفضول التى فى الصدر وشربه ينفع من نهش الهوام ولسعها واذا دخن به فى موضع طرد الهوام عنه ويمسك الشعر المتساقط واذا خلط بسويق الشعير والخل وتضمد به نفع من عرق النسا وحلل الأورام الحارة فى آخرها واذا تضمد به مع الماء انضج الدماميل وينفع من الأسترخاء فى جميع الأعضاء ويزيد في الباه ويشهى الطعام وينفع الربو وعسرة النفس وغلظ الطحال وينقي الرئة ويدر الطمث وينفع من عرق النسا ووجع حق الورك مما يخرج من الفضول اذا شرب او احتقن به ويجلو مافى الصدر والرئة من البلغم اللزج وان شرب منه بعد سحقه وزن خمسة دراهم بالماء الحار اسهل الطبيعة وحلل الرياح ونفع من وجع القولنج البارد السبب واذا سحق وشرب نفع من البرص وان لطخ عليه .وعلى البهق الأبيض بالخل نفع منهما وينفع من الصداع الحادث من البرد والبلغم وان قلي وشرب عقل الطبع لاسيما اذا لم يسحق لتحلل لزوجته بالقلي واذا غسل بمائه

الرأس نقاه من الأوساخ والرطوبات اللزجة قال جالينوس قوته مثل قوة بزر الخردل ولذلك قد يسخن به اوجاع الورك المعروفة بالنسا واوجاع الرأس وكل واحد من العلل التى تحتاج الى التسخين كما يسخن بزر الخردل وقد يخلط ايضا في أدوية يسقاها اصحاب الربو من طريق ان الأمر فيه معلوم انه يقطع الأخلاط الغليظة تقطيعاً قويا كما يقطعها بزر الخردل لأنه شبيه به في كل شيء (حلبة) يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه عاد سعد ابن ابى وقاص رضى الله عنه بمكة فقال ادعوا له طبيبا فدعي الحارث بن كلدة فنظر اليه فقال ليس عليه بأس فاتخذوا له فريقة وهي الحلبة مع تمر عجوة رطبة يطبخان فيحساهما ففعل ذلك فبرأ. وقوة الحلبة من الحرارة فى الدرجة الثانية ومن اليبوسة في الأولى واذا طبخت بالماء لينت الحلق والصدر والبطن وتسكن السعال والخشونة والربو وعسر النفس وتزيد فى الباه وهي جيدة للريح والبلغم والبواسير محدرة الكيموسات المرتبكة في الأمعاء وتحلل البلغم اللزج من الصدر وتنفع من الدبيلات وأمراض الرئة وتستعمل لهذه الأدواء في الأحشاء مع السمن والفانيذ واذا شربت مع وزن خمسة دراهم فوة أدرت الحيض. واذا طبخت وغسل بها الشعر جعدته واذهبت الحزاز. ودقيقها اذا خلط بالنطرون والخل وضمد به حلل ورم الطحال وقد تجلس المرأة في الماء الذى طبخت فيه الحلبة فتنتفع به من وجع الرحم العارض من ورم فيه واذا ضمد به الأورام الصلبة القليلة الحرارة نفعتها وحللتها واذا شرب ماؤها نفع من المغص العارض من الرياح وازلق الأمعاء واذا اكلت مطبوخه بالتمر او العسل او التين على الريق حللت البلغم اللزج العارض فى الصدر والمعدة ونفعت من السعال المتطاول منه وهي نافعة من الحصر مطلقة للبطن واذا وضعت على الظفر المتشنج اصلحته. ودهنها ينفع اذا خلط بالشمع

من الشقاق العارض من البرد ومنافعها اضعاف ما ذكرنا ويذكر عن القاسم بن عبد الرحمن انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استشفوا بالحلبة وقال بعض الأطباء لو علم الناس منافعها لاشتروها بوزنها ذهبا .

(حرف الخاء)

(خبز) ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده نزلا لأهل الجنة . وروي ابو داود فى سننه من حديث بن عباس رضي الله عنهما قال كان احب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد من الخبز والثريد من الحيس وروي ابو داود فى سننه ايضا من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددت ان عندي خبزة بيضاء من برة سمراء ملبقة بسمن ولبن فقام رجل من القوم فاتخذه فجاء به فقال فى اي شيء كان هذا السمن فقال في عكة ضب فقال ارفعه . وذكر البيهقي من حديث عائشة رضى الله عنها ترفعه اكرموا الخبز ومن كرامته ان لا ينتظر به الادم والموقوف اشبه فلا يثبت رفعه ولا رفع ما قبله واما حديث النهى عن قطع الخبز بالسكين فباطل لا اصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما المروى النهى عن قطع اللحم بالسكين ولا يصح ايضا قال مهنأ سألت احمد عن حديث ابى معشر عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تقطعوا اللحم بالسكين فان ذلك من فعل الاعاجم فقال ليس بصحيح ولا يعرف هذا وحديث عمرو بن امية خلاف هذا وحديث المغيرة يعنى بحديث عمرو بن امية كان النبي صلى الله عليه وسلم يحتز من لحم الشاة وفي حديث المغيرة انه لما اضافه امر بجنب فشوى ثم اخذ الشفرة فجعل يحز

(فصل) واحمد انواع الخبز اجودها اختمارا وعجنا ثم خبز التنور اجود اصنافه

وبعده خبز الفرن ثم خبز الملة في المرتبة الثالثة واجوده ما اتخذ من الحنطة الحديثة واكثر انواعه تغذية خبز السميد وابطؤها هضما لقلة نخالته ويتلوه خبز الحوارى ثم الخشكار واحمد اوقات اكله في آخر اليوم الذي خبز فيه واللين منه اكثر تليينا وغذاء وترطيبا واسرع انحدارا واليابس بخلافه ومزاج الخبز من البر حار في وسط الدرجة الثانية وقريب من الاعتدال في الرطوبة واليبوسة واليبس يغلب على ما جففته النار منه والرطوبة على ضده. وفي خبز الحنطة خاصية وهو انه يسمن سريعا، وخبز القطائف يولد خلطا غليظا، والفتيت نفاخ بطيء الهضم والمعمول باللبن مسدد كثير الغذاء بطيء الانحدار

(وخبز الشعير) بارد يابس فى الاولى وهو اقل غذاء من خبز الحنطة .

(خل) روى مسلم فى صحيحه عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اهله الأدام فقالوا ما عندنا الا خل فدعا به وجعل يأكل ويقول نعم الأدام الخل وفى سنن ابن ماجه عن ام سعيد رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم نعم الأدام الخل اللهم بارك فى الخل ولم يفتقر بيت فيه الخل. الخل مركب من الحرارة والبرودة وهي اغلب عليه وهو يابس في الثالثة قوى التجفيف يمنع من انصباب المواد ويلطف الطبيعة وخل الخمر ينفع المعدة الملتهبة ويقمع الصفراء ويدفع ضرر الادوية القتالة ويحلل اللبن والدم اذا جمد فى الجوف وينفع الطحال ويدبغ المعدة ويعقل البطن ويقطع العطش ويمنع الورم حيث يريد ان يحدث ويعين على الهضم ويضاد البلغم ويلطف الأغذية الغليظة ويرق الدم واذا شرب بالملح نفع من أكل الفطر القتال واذا احتسى قطع العلق المتعلق باصل الحنك واذا تمضمض به مسخنا نفع من وجع الأسنان وقوي اللثة وهو نافع للداحس اذا طلى به والنملة والأورام الحارة وحرق النار وهو مشه

للأكل مطيب للمعدة صالح للشباب وفي الصيف لسكان البلاد الحارة .

(خلال) فيه حديثان لا يثبتان . أحدهما يروى من حديث أبي أيوب الأنصارى يرفعه يا حبذا المتخللون من الطعام انه ليس شيء أشد على الملك من بقية تبقى في الفم من الطعام وفيه واصل بن السائب قال البخاري والرازي منكر الحديث وقال النسائى والأزدى متروك الحديث . الثانى يروى من حديث ابن عباس قال عبد الله بن أحمد سألت أبى عن شيخ روي عنه صالح الوحاظى يقال له محمد بن عبد الملك الأنصاري حدثنا عطاء عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخلل بالليط والآس وقال انهما يسقيان عروق الجذام فقال أنى رأيت محمد بن عبد الملك وكان أعمى يضع الحديث ويكذب . وبعد فالخلال نافع اللثة والأسنان، حافظ لصحتها، نافع من تغير النكهة . وأجوده ما اتخذ من عيدان الأخلة وخشب الزيتون والخلاف . والتخلل بالقصب والآس والريحان والبادروج مضر

﴿ حرف الدال ﴾

(دهن) روى الترمذي في كتاب الشمائل من حديث انس بن مالك رضى الله عنهما قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته ويكثر القناع كأن ثوبه ثوب زيات . الدهن يسد مسام البدن ويمنع ما يتحلل منه واذا استعمل بعد الأغتسال بالماء الحار حسن البدن ورطبه وان دهن به الشعر حسنه وطوله ونفع من الحصبة ودفع اكثر الآفات عنه وفي الترمذي من حديث ابي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً كلوا الزيت وادهنوا به وسيأتى ان شاء الله تعالى . والدهن في البلاد الحارة كالحجاز ونحوه من آكد اسباب حفظ الصحة واصلاح البدن وهو كالضروري لهم واما البلاد الباردة فلا يحتاج اليه اهلها والألحاح به في الرأس فيه خطر بالبصر . وانفع الادهان البسيطة

الزيت ثم السمن ثم الشيرج، واما المركبة فمنها بارد رطب كدهن البنفسج ينفع من الصداع الحار وينوم اصحاب السهر ويرطب الدماغ وينفع من الشقاق وغلبة اليبس والجفاف ويطلي به الجرب والحكة اليابسه فينفعها ويسهل حركة المفاصل ويصلح لأصحاب الأمزجة الحارة في زمن الصيف وفيه حديثان باطلان موضوعان على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما فضل دهن البنفسج على سائر الأدهان كفضلي على سائر الناس والثانى فضل دهن البنفسج على سائر الأدهان كفضل الأسلام على سائر الأديان ومنها حار رطب كدهن البان وليس دهن زهره بل دهن يستخرج من حب أبيض أغبر نحو الفستق كثير الدهنية والدسم ينفع من صلابة العصب ويلينه وينفع من البرش والنمش والكلف والبهق ويسهل بلغما غليظا ويلين الأوتار اليابسة ويسخن العصب وقد روى فيه حديث باطل مختلق لا أصل له ادهنوا بالبان فانه أحظى لكم عند نساءكم ومن منافعه ان يجلو الأسنان ويكسيها بهجة وينقيها من الصدى ومن مسح به وجهه ورأسه لم يصبه حصا ولا شقاق واذا دهن به حقوه ومذاكيره وما والاها نفع من برد الكليتين وتقطير البول

﴿ حرف الذال ﴾

(ذريرة) ثبت فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي بذريرة في حجة الوداع لحله واحرامه. تقدم الكلام فى الذريرة ومنافعها وماهيتها فلا حاجة لأعادته.

(ذباب) تقدم في حديث ابي هريرة المتفق عليه فى امره صلى الله عليه وسلم بغمس الذباب في الطعام اذا سقط فيه لأجل الشفاء الذى في جناحه وهو كالترياق للسم الذى في الجناح الآخر وذكرنا منافع الذباب هناك

(ذهب) روى ابو داود الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص لعرفجة ابن اسعد لما قطع انفه يوم الكلاب واتخذ انفا من ورق فانتن عليه فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتخذ انفا من ذهب وليس لعرفجة عندهم غير هذا الحديث الواحد. الذهب زينة الدنيا وطلسم الوجود ومفرح النفوس ومقوى الظهور وسر الله في ارضه مزاجه فى سائر الكيفيات وفيه حرارة لطيفة تدخل فى سائر المعجونات اللطيفة والمفرحات وهو اعدل المعدنيات على الاطلاق واشرفها. ومن خواصه انه اذا دفن في الارض لم يضره التراب ولم ينقصه شيئا، وبرادته اذا خالطت بالادوية نفعت من ضعف القلب والرجفان العارض من السوداء وينفع من حديث النفس والحزن والغم والفزع والعشق ويسمن البدن ويقويه ويذهب الصفار ويحسن اللون وينفع من الجذام وجميع الاوجاع والامراض السوداوية ويدخل بخاصية في ادوية داء الثعلب وداء الحية شربا وطلاء ويجلو العين ويقويها وينفع من كثير من امراضها ويقوى جميع الاعضاء. وامساكه في الفم يزيل البخر ومن كان به مرض يحتاج الى الكى وكوى به لم يتنفط موضعه ويبرأ سريعا وان اتخذ منه ميلا واكتحل به قوي العين وجلاها واذا اتخذ منه خاتم فصه منه واحمى وكوى به قوادم اجنحة الحمام الفت ابراجها ولم تنتقل عنها وله خاصية عجيبة في تقوية النفوس لاجلها ابيح فى الحرب والسلاح منه ما ابيح. وقد روى الترمذى من حديث بريدة العصري رضى الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وعلى سيفه ذهب وفضة. وهو معشوق النفوس التى متى ظفرت به سلاها عن غيره من محبوبات الدنيا قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واد

من ذهب لابتغى اليه ثانيا ولو كان له ثان لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب هذا وانه اعظم حائل بين الخليقة وبين فوزها الاكبر يوم معادها واعظم شيءٍ عصى الله به وبه قطعت الارحام واريقت الدماء واستحلت المحارم ومنعت الحقوق وتظالم العباد وهو المرغب في الدنيا وعاجلها والمزهد في الآخرة وما اعده الله لاوليائه فيها فكم اميت به من حق واحي به من باطل ونصر به ظالم وقهر به مظلوم وما احسن ما قال فيه ابو قاسم الحريري

تباله من خادع مماذق * اصفر ذي وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق * زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوي الحقائق * يدعو الى ارتكاب سخط الخالق
لو لاه لم تقطع يمين السارق * ولا بدت مظلمة من فاسق
ولا اشمأز باخل من طارق * ولا اشتكى المطول مطل العائق
ولا استعيذ من حسود راشق * وشر ما فيه من الخلائق
ان ليس يغنى عنك فى المضايق * الا اذا فر فرار الآبق

﴿ حرف الراء ﴾

(رطب) قال الله تعالى لمريم وهزي اليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا. وفى الصحيحين عن عبد الله بن جعفر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل القثاء بالرطب وفي سنن ابى داود عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات قبل ان يصلى فان لم تكن رطبات فتمرات فان لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء. طبع الرطب طبع المياه حار رطب يقوي المعدة الباردة ويوافقها ويزيد في الباه ويخصب البدن ويوافق اصحاب الأمزجة الباردة ويغذو غذاء كثيرا وهو من اعظم الفاكهة

موافقة لاهل المدينة وغيرها من البلاد التى هو فاكهتهم فيها وانفعها للبدن
وان كان من لم يعتده يسرع التعفن في جسده ويتولد عنه دم ليس بمحمود
يحدث في اكثاره منه صداع وسوداء ويؤذي اسنانه واصلاحه بالسكنجبين ونحوه
وفي فطر النبي صلى الله عليه وسلم من الصوم عليه او على التمر او الماء تدبير
لطيف جدا فان الصوم يخلى المعدة من الغذاء فلا تجد الكبد فيها ما تجذبه
وترسله الى القوى والاعضاء والحلو اسرع شيء وصولا الى الكبد واحبه اليها
ولا سيما ان كان رطبا فيشتد قبولها له فتنتفع به هى والقوى فان لم يكن فالتمر
لحلاوته وتغذيته فأن لم يكن فحسوات الماء تطفئ لهيب المعدة وحرارة الصوم
فتنتبه بعده للطعام وتأخذه بشهوة

(ريحان) قال تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وقال
تعالى والحب ذو العصف والريحان وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه
وسلم من عرض عليه ريحان فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة وفى سنن
ابن ماجه من حديث اسامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا
مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز
وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام
في ابد في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية قالوا نعم
يارسول الله نحن المشمرون لها قال قولوا ان شاء الله تعالى فقال القوم ان شاء
الله. الريحان كل نبت طيب الريح فكل اهل بلد يخصونه بشيء من ذلك فاهل
الغرب يخصونه بالآس وهو الذي يعرفه العرب من الريحان واهل العراق والشام
يخصونه بالحبق. فاما الآس فمزاجه بارد في الاولى يابس فى الثانية وهو مع ذلك
مركب من قوى متضاده والاكثر فيه الجوهر الارضي البارد فيه شيء حار

لطيف وهو يجفف الرأس تجفيفاً قويا وأجزاؤه متقاربة القوة وهى قوة قابضة
حابسة من داخل وخارج معا . وهو قاطع للأسهال الصفراوي دافع للبخار
الحار الرطب اذا شم مفرح القلب تفريحا شديدا وشمه مانع للوباء وكذلك
افتراشه فى البيت ويبرئ الاورام الحادثة فى الحالبين اذا وضع عليها واذا دق
ورقه وهوغض وضرب بالخل ووضع على الرأس قطع الرعاف واذا سحق ورقه
اليابس وذرعلى القروح ذوات الرطوبة نفعها ويقوى الأعضاء الواهية اذا ضمد
به وينفع داء الداحس واذا ذر على البثور والقروح التى في اليدين والرجلين
نفعها واذا دالك به البدن قطع العرق ونشف الرطوبات الفضلية وأذهب نتن
الأبط واذا جلس في طبيخه نفع من خروج المقعدة والرحم ومن استرخاء المفاصل
واذا صب علي كسور العظام التى لم تلتحم نفعها ويجلو قشور الرأس وقروحه
الرطبة وبثوره ويمسك الشعر المتساقط ويسوده واذا دق ورقه وصب عليه ماء
يسير وخلط به شيء من زيت أو دهن الورد وضمد به وافق القروح الرطبة
والنملة والحمرة والأورام الحـادة والشرى والبواسير. وحبه نافع من نفث الدم
العارض فى الصدر والرئة دابغ للمعدة وليس بضار للصدر ولا الرئة لحلاوته.
وخاصيته النفع من استطلاق البطن مع السعال وذلك نادر في الأدوية وهو مدر
للبول نافع من لدغ المثانة وعض الرتيلاء ولسع العقارب. والتخلل بعرقه مضر
فليحذر. وأما الريحان الفارسى الذى يسمى الحبق فحار في أحد القولين ينفع شمه
من الصداع الحار اذا رش عليه الماء ويبرد ويرطب بالعرض وبارد في الآخر وهل
هو رطب أو يابس على قولين والصحيح ان فيه من الطبائع الأربع ويجلب النوم
وبزره حابس للأسهال الصفراوي ومسكن للمغص مقو للقلب نافع للأمراض السوداوية
(رمان) قال تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان ويذكر عن ابن عباس موقوفا

ومرفوعا ما من رمان من رمانكم هذا الا وهو ملقح بحبة من رمان الجنة والموقوف أشبه وذكر حرب وغيره عن علي انه قال كلوا الرمان بشحمه فانه دباغ المعدة . حلو الرمان حار رطب جيد للمعدة مقو لها بما فيه من قبض لطيف نافع للحلق والصدر والرئة جيد للسعال وماؤه ملين للبطن يغذو البدن غذاء فاضلا يسيرا سريع التحلل لرقته ولطافته ويولد حرارة يسيرة فى في المعدة وريحا ولذلك يعين على الباه ولا يصلح للمحمومين وله خاصية عجيبة اذا أكل بالخبز يمنعه من الفساد في المعدة . وحامضه بارد يابس قابض لطيف ينفع المعدة الملتهبة ويدر البول أكثر من غيره من الرمان ويسكن الصفراء ويقطع الأسهال ويمنع القئ ويلطف الفضول ويطفئ حرارة الكبد ويقوى الأعضاء نافع من الخفقان الصفراوى والآلام العارضة للقلب وفم المعدة ويقوى المعدة ويدفع الفضول عنها ويطفئ المرة الصفراء والدم واذا استخرج ماؤه بشحمه وطبخ بيسير من العسل حتى يصير كالمرهم واكتحل به قطع الصفرة من من العين ونقاها من الرطوبات الغليظة واذا لطخ علي اللثه نفع من الأكلة العارضة لها وان استخرج ماؤهما بشحمهما أطلق البطن وأحدر الرطوبات العفنة المرية ونفع من حميات العنب المتطاولة . وأما الرمان المز فمتوسط طبعا وفعلا بين النوعين وهذا أميل الى لطافة الحامض قليلا وحب الرمان مع العسل طلا للداحس والقروح الخبيثة واقماعه للجراحات قالوا ومن ابتلع ثلاثة من جنبذ الرمان كل سنة أمن الرمد سنة كلها

حرف الزاي

(زيت) قال تعالى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وفي الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي

صلى الله عليه وسلم أنه قال كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة وللبيهقى وابن ماجه أيضا عن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتدموا بالزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة . الزيت حار رطب في الأولى وغلط من قال يابس والزيت بحسب زيتونه فالمعتصر من النضيج أعدله وأجوده ومن الفج فيه برودة ويبوسة ومن الزيتون الأحمر متوسط بين الزيتين ومن الأسود يسخن ويرطب باعتدال وينفع من السموم ويطلق البطن ويخرج الدود. والعتيق منه أشد تسخينا وتحليلا وما استخرج منه بالماء فهو اقل حرارة وألطف وأبلغ في النفع وجميع أصنافه ملينة للبشرة وتبطئ الشيب وماء الزيتون المالح يمنع من تنفط حرق النار ويشد اللثة. ورقه ينفع من الحمرة والنملة والقروح الوسخة والشرى ويمنع العرق ومنافعه أضعاف ماذكرناه

(زبد) روي ابو داود فى سننه عن ابنى بسر السلميين رضى الله عنهما قالا دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا له زبدا وتمرا وكان يحب الزبد والتمر. الزبد حار رطب فيه منافع كثيرة منها الانضاج والتحليل ويبرئ الاورام التى تكون الى جانب الاذنين والحالبين واورام الفم وسائر الاورام التى تعرض في ابدان النساء والصبيان اذا استعمل وحده واذا لعق منه نفع من نفث الدم الذى يكون من الرئة وانضج الاورام العارضة فيها وهو ملين للطبيعة والعصب والاورام الصلبة العارضة من المرة السوداء والبلغم نافع من اليبس العارض في البدن واذا طلى على منابت اسنان الطفل كان معينا علي نباتها وطلوعها وهو نافع من السعال العارض من البرد واليبس ويذهب القوبى والخشونة التى في البدن ويلين الطبيعة ولكنه يسقط شهوة الطعام ويذهب بوخامة الحلو كالعسل والتمر وفى جمعه صلى الله عليه وسلم بين التمر وبينه من الحكمة اصلاح كل منهما بالآخر

(زبيب) روى فيه حديثان لا يصحان احدهما نعم الطعام الزبيب يطيب النكهة ويذيب البلغم والثاني نعم الطعام الزبيب يذهب النصب ويشد العصب ويطفئ الغضب ويصفي اللون ويطيب النكهة وهذا ايضا لا يصح فيه شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد فاجود الزبيب ما كبر جسمه وسمن شحمه ولحمه ورق قشره ونزع عجمه وصغر حبه وجرم الزبيب حار رطب في الاولى بارد يابس وهو كالعنب المتخذ منه. الحلو منه حار والحامض قابض بارد والابيض اشد قبضا من غيره واذا اكل لحمه وافق قصبة الرئة ونفع من السعال ووجع الكلى والمثانة ويقوى المعدة ويلين البطن. والحلو اللحم اكثر غذاء من العنب واقل غذاء من التين اليابس وله قوة منضجة هاضمة قابضة محللة باعتدال وهو بالجملة يقوي المعدة والكبد والطحال نافع من وجع الحلق والصدر والرئة والكلى والمثانة واعدله ان يؤكل بغير حبه وهو يغذي غذاء صالحا ولا يسدد كما يفعل التمر واذا اكل منه بعجمه كان اكثر نفعا للمعدة والكبد والطحال واذا لصق لحمه على الأظافير المتحركة اسرع قلعها والحلو منه ومالا عجم له نافع لأصحاب الرطوبات والبلغم وهو يخصب الكبد وينفعها بخاصيته وفيه نفع للحفظ قال الزهري من احب ان يحفظ الحديث فليأكل الزبيب وكان المنصور يذكر عن جده عبد الله بن عباس عجمه داء ولحمه دواء

(زنجبيل) قال تعالى ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا وذكر ابو نعيم فى كتاب الطب النبوى من حديث ابى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال اهدي ملك الروم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة زنجبيل فاطعم كل انسان قطعة واطعمني قطعة . الزنجبيل حار في الثانية رطب في الاولى مسخن معين على هضم الطعام ملين للبطن تليينا معتدلا نافع من سدد الكبد العارضة عن البرد

والرطوبة ومن ظلمة البصر الحادثة عن الرطوبة اكلا واكتحالا معين على الجماع وهو محلل للرياح الغليظة الحادثة في الامعاء والمعدة وبالجملة فهو صالح للكبد والمعدة الباردتى المزاج واذا اخذمنه مع السكر وزن درهمين بالماء الحار اسهل فضولا لزجة لعابية ويقع فى المعجونات التي تحلل البلغم وتذيبه والمزى منه حار يابس يهيج الجماع ويزيد المنى ويسخن المعدة والكبد ويعين على الاستمراء وينشف البلغم الغالب على البدن ويزيد فى الحفظ ويوافق برد الكبد والمعدة يزيل بلتها الحادثة عن اكل الفاكهة ويطيب النكهة ويدفع به ضرر الاطعمة الغليظة الباردة

(حرف السين)

(سنا) قد تقدم وتقدم سنوت أيضا وفيه سبعة أقوال أحدها انه العسل الثاني انه رب عكة السمن يخرج خططا سوداء على السمن الثالث أنه حب يشبه الكمون وليس بكمون الرابع الكمون الكرماني الخامس انه الشبث السادس انه التمر السابع انه الرازيانج .

(سفرجل) روى ابن ماجه في سننه حديث اسمعيل بن محمد الطلحي عن شعيب بن حاجب عن أبي سعيد عن عبد الملك الزبيرى عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وبيده سفرجلة فقال دونكها يا طلحة فانها تجم الفوآد ورواه النسائى من طريق آخر وقال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في جماعة من اصحابه وبيده سفرجله يقلبها فلما جلست اليه دحا بها الى ثم قال دونكها أبا ذر فانها تشد القلب وتطيب النفس وتذهب بطخاء الصدر وقد روى في السفرجل أحاديث أخر هذا أمثلها ولا تصح .

والسفرجل بارد يابس ويختلف في ذلك باختلاف طعمه وكله بارد قابض جيد للمعدة والحلو منه أقل بردا ويبسا وأميل الى الاعتدال والحامض أشد

قبضا ويبسا وبردا وكله يسكن العطش والقئ ويدر البول ويعقل الطبع وينفع من قرحة الأمعاء ونفث الدم والهيضة وينفع من الغثيان ويمنع من تصاعد الأبخرة اذا استعمل بعد الطعام وحراقة أغصانه وورقه المغسوله كالتوتياء في فعله وهو قبل الطعام يقبض وبعده يلين الطبع ويسرع بانحدار الثقل والأكثار منه مضر بالعصب مولد للقولنج ويطفئ المرة الصفراء المتولدة فى المعدة وان شوى كان أقل لخشونته وأخف واذا قور وسطه ونزع حبه وجعل فيه العسل وطين جرمه بالعجين وأودع الرماد الحار نفع نفعا حسناوأجود ما أكل مشويا أو مطبوخا بالعسل وحبه ينفع من خشونة الحلق وقصبة الرئة وكثير من الأمراض ودهنه يمنع العرق ويقوى المعدة والمربى منه تقوى المعدة والكبد وتشد القلب وتطيب النفس ومعنى تجم الفؤاد تريحه وقيل تفتحه وتوسعه من جمام الماء وهو اتساعه وكثرته والطخاء للقلب مثل الغيم على السماء قال أبو عبيد الطخاء ثقل وغشاء تقول ما في السماء طخاء أى سحاب وظلمة .

(سواك) فى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة وفيهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك وفي صحيح البخارى تعليقا عنه صلى الله عليه وسلم السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وفى صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل بيته بدأ بالسواك والاحاديث فيه كثيرة وصح عنه انه استاك عند موته وصح عنه انه قال اكثرت عليكم في السواك . واصلح ما اتخذ السواك من خشب الاراك ونحوه ولا ينبغى ان يؤخذ من شجرة مجهولة فربما كانت سما وينبغي القصد فى استعماله فان بالغ فيه فربما اذهب طلاوة الاسنان وصقالتها وهيأها لقبول الابخرة المتصاعدة من المعدة والاوساخ ومتى استعمل باعتدال جلى الاسنان

وقوى العمود واطلق اللسان ومنع الحفر وطيب النكهة ونقى الدماغ وشهى
الطعام واجود ما استعمل مبلولا بماء الورد ومن انفعه اصول الجوز قال صاحب
التيسير زعموا انه اذا استاك به المستاك كل خامس من الايام نقى الرأس وصفى
الحواس واحد الذهن. وفى السواك عدة منافع يطيب الفم ويشد اللثة ويقطع
البلغم ويجلو البصر ويذهب بالحفر ويصحح المعدة ويصفى الصوت ويعين على
هضم الطعام ويسهل مجاري الكلام وينشط للقراءة والذكر والصلاة ويطرد
النوم ويرضى الرب ويعجب الملائكة ويكثر الحسنات. ويستحب كل وقت
ويتأكد عند الصلاة والوضوء والانتباه من النوم وتغير رائحة الفم ويستحب
للمفطر والصائم في كل وقت لعموم الاحاديث فيه ولحاجة الصائم اليه ولانه
مرضاة للرب مطلوبة فى الصوم اشد من طلبها في الفطر ولانه مطهرة للفم
والطهور للصائم من افضل اعماله وفى السنن عن عامر بن ربيعة رضى الله عنه
قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لااحصى يستاك وهو صائم وقال
البخارى قال ابن عمر يستاك اول النهار وآخره واجمع الناس على ان الصائم
يتمضمض وجوبا واستحبابا والمضمضة ابلغ من السواك وليس لله غرض فى
التقرب اليه بالرائحة الكريهة ولا هى من جنس ما شرع التعبد به وانما ذكر
طيب الخلوف عند الله يوم القيامة حثا منه على الصوم لا حثا على ابقاء الرائحة
بل الصائم احوج الى السواك من المفطر وايضا فان رضوان الله اكبر من
استطابته لخلوف فم الصائم وايضا فان محبته للسواك اعظم من محبته لبقاء
خلوف فم الصائم وايضا فان السواك لا يمنع طيب الخلوف الذي يزيله السواك
عند الله يوم القيامة بل يأتي الصائم يوم القيامة وخلوف فمه اطيب من المسك
علامة على صيامه ولو ازاله بالسواك كما ان الجريح يأتى يوم القيامة ولون دم

جرحه لون الدم وريحه ريح المسك وهو مأمور بازالته فى الدنيا وايضا فان الخلوف لا يزول بالسواك فان سببه قائم وهو خلو المعدة عن الطعام وانما يزول اثره وهو المنعقد على الاسنان واللثة وايضا فان النبي صلى الله عليه وسلم علم امته ما يستحب لهم فى الصيام وما يكره لهم ولم يجعل السواك من القسم المكروه وهو يعلم انهم يفعلونه وقد حضهم عليه بابلغ الفاظ العموم والشمول وهم يشاهدونه يستاك وهو صائم مرارا كثيرة تفوت الاحصاء ويعلم انهم يقتدون به ولم يقل لهم يوما من الدهر لا تستاكوا بعد الزوال وتأخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع والله اعلم.

(سمن) روى محمد بن جرير الطبري باسناده من حديث صهيب يرفعه عليكم بألبان البقر فانها شفاء وسمنها دواء ولحومها داء رواه عن احمد بن الحسن الترمذي حدثنا محمد ابن موسى النسائى حدثنا دفاع بن دغفل السدوسى عن عبد الحميد بن صيفي بن صهيب عن ابيه عن جده ولا يثبت ما في هذا الاسناد. والسمن حار رطب في الاولى وفيه جلاء يسير ولطافة وتفشية للاورام الحادثة من الابدان الناعمة وهو اقوى من الزبد في الانضاج والتليين وذكر جالينوس انه ابرأ به الاورام الحادثة في الاذن وفي الارنبة واذا دلك به موضع الأسنان نبت سريعا واذا خلط مع عسل ولوز مرّ جلا ما في الصدر والرئة والكيموسات الغليظة اللزجة الا انه ضار بالمعدة سيما اذا كان مزاج صاحبها بلغميا واما سمن البقر والمعز فانه اذا شرب مع العسل نفع من شرب السم القاتل ومن لدغ الحيات والعقارب وفى كتاب ابن السنى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال لم يستشف الناس بشيء افضل من السمن.

(سمك) روي الامام احمد بن حنبل وابن ماجه فى سننه من حديث عبد الله ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال. اصناف السمك كثيرة واجوده ما لذ طعمه وطاب

ريحه وتوسط مقداره وكان رقيق القشر ولم يكن صلب اللحم ولا يابسه وكان في ماء عذب حار على الحصباء ويتغذى بالنبات لا الاقذار واصلح اماكنه ما كان في نهر جيد الماء وكان يأوى الى الاماكن الصخرية ثم الرملية والمياه الجارية العذبة التى لا قذر فيها ولا حمأة الكثيرة الاضطراب والتموج المكشوفة للشمس والرياح. والسمك البحرى فاضل محمود لطيف والطرى منه بارد رطب عسر الانهضام يولد بلغما كثيرا الا البحرى وما جرى مجراه فانه يولد خلطا محموداً وهو يخصب البدن ويزيد في المنى ويصلح الامزاج الحارة واما المالح فاجوده ما كان قريب العهد بالتملح وهو حار يابس وكلما تقادم عهده ازداد حره ويبسه والسلور منه كثير اللزوجة ويسمى الجرى واليهود لا تأكله واذا اكل طرياً كان مليناً للبطن واذا ملح وعتق واكل صفى قصبة الرئة وجود الصوت واذا دق ووضع من خارج اخرج السلا والفضول من عمق البدن من طريق ان له قوّة جاذبة. وماء ملح الجرى المالح اذا جلس فيه من كانت به قرحة الامعاء في ابتداء العلة وافقه بجذبه المواد الى ظاهر البدن واذا احتقن به ابرأ من عرق النساء واجود ما في السمك ما قرب من مؤخرها والطرى السمين منه يخصب البدن لحمه وودكه. في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال بعثنا النبي صلى الله عليه وسلم فى ثلثمائة راكب واميرنا ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه واتينا الساحل فاصابنا جوع شديد حتى اكلنا الخبط فالقى لنا البحر حوتا لها عنبر فأكلنا منه نصف شهر وائتدمنا بودكه حتى ثابت اجسامنا فاخذ ابو عبيدة ضلعا من اضلاعه وحمل رجلا على بعيره ونصبه فمر تحته.

(سلق) روى الترمذي وابو داود عن ام المنذر قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي رضي الله عنه ولنا دوال معلقة قالت فجعل رسول الله

صلى الله عليه وسلم يأكل وعلي معه يأكل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه ياعلي فأنك ناقه قالت فجعلت لهم سلقا وشعيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ياعلي فأصب من هذا فانه اوفق لك قال الترمذى حديث حسن غريب .

السلق حار يابس فى الأولى وقيل رطب فيها وقيل مركب منهما وفيه برودة ملطفة وتحليل وتفتيح وفي الاسود منه قبض ونفع من داء الثعلب والكلف والحرارة والثآليل اذا طلى بمائه ويقتل القمل ويطلى به القوبا مع العسل ويفتح سدد الكبد والطحال واسوده يعقل البطن ولا سيما مع العدس وهما رديئان والأبيض يلين مع العدس ويحقن بمائه للاسهال وينفع من القولنج مع المرى والتوابل وهو قليل الغذاء ردئ الكيموس يحرق الدم ويصلحه الخل والخردل والأكثار منه يولد القبض والنفخ

﴿ حرف الشين ﴾

شونيز هو الحبة السوداء وقد تقدم فى حرف الحاء .

(شبرم) روى الترمذى وابن ماجه في سننهما من حديث اسماء بنت عميس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا كنت تستمشين قالت بالشبرم قال حار بار . الشبرم شجر صغير وكبير كقامة الرجل وارجح له قضبان حمر ملمعة ببياض وفى رؤس قضبانه جمة من ورق وله نور صغار اصفر الى البياض يسقط ويخلفه مراود صغار فيها حب صغير مثل البطم فى قدره احمر اللون ولها عروق عليها قشور حمر والمستعمل منه قشر عروقه وابن قضبانه وهو حار يابس في الدرجة الرابعة ويسهل السوداء والكيموسات الغليظة والماء الاصفر والبلغم مكرب مغث والأكثار منه يقتل وينبغى اذا استعمل ان ينقع فى اللبن الحليب يوما وليلة ويغير على اللبن في اليوم مرتين اوثلاثا ويخرج ويجفف في الظل ويخلط معه الورد والكثيرا ويشرب بماء العسل اوعصير العنب والشربة

منه ما بين اربع دوانق الى دانقين على حسب القوة وقال حنين اما ابن الشبرم فلا خير فيه ولا ارى شربه البتة فقد قتل به اطباء الطرقات كثيراً من الناس .

(شعير) روى ابن ماجه من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخذ احد من اهله الوعك امر بالحساء من الشعير فصنع ثم امرهم فحسوا منه ثم يقول انه ليرتو فؤاد الحزين ويسرو فؤاد السقيم كما تسرو احداكن الوسخ بالماء عن وجهها ومعنى يرتوه يشده ويقويه ويسرو يكشف ويزيل وقد تقدم ان هذا هو ماء الشعير المغلي وهو اكثر غذاء من سويقه وهو نافع للسعال وخشونة الحلق صالح لقمع حدة الفضول مدر للبول جلاء لما فى المعدة قاطع للعطش مطف للحرارة وفيه قوة يجلو بها ويلطف ويحلل وصفته ان يؤخذ من الشعير الجيد المرضوض مقدار ومن الماء الصافي العذب خمسة امثاله ويلقى فى قدر نظيف ويطبخ بنار معتدلة الى ان يبقى منه خمساه ويصفى ويستعمل منه مقدار الحاجة محلا

(شوى) قال الله تعالى في ضيافة خليله ابراهيم عليه السلام لأضيافه (فما لبث ان جاء بعجل حنيذ) والحنيذ المشوي على الرضف وهي الحجارة المحماة وفي الترمذي عن ام سلمة رضي الله عنها انها قربت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جنباً مشويا فأكل منه ثم قام الى الصلاة وما توضاء قال الترمذي حديث صحيح وفيه ايضا عن عبد الله بن الحرث قال اكلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شواء في المسجد وفيه ايضا عن مغيرة بن شعبة قال ضفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شواء في المسجد وفيه ايضا عن مغيرة بن شعبة قال ضفت مع رسول الله صلى عليه وسلم ذات ليلة فأمر بجنب فشوي ثم اخذ الشفرة فجعل يحز لي بها منه قال فجاء بلال يؤذن للصلاة فألقى الشفرة فقال ماله تربت يداه انفع الشوى شوي الضأن الحولي ثم العجل اللطيف السمين . وهو حار رطب الى اليبوسة

كثير التوليد للسوداء وهو من اغذية الاقوياء والاصحاء والمرتاضين. والمطبوخ انفع واخف على المعدة وارطب منه ومن المطجن وأردؤه المشوي فى الشمس والمشوي على الجمر خير من المشوي باللهيب وهو الحنيذ .

(شحم) ثبت في المسند عن انس ان يهوديا اضاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم له خبز شعير واهالة سنخة. والأهالة الشحم المذاب والالية. والسنخة المتغيرة وثبت فى الصحيح عن عبد الله بن مغفل قال دلى حراب من شحم يوم خيبر فالتزمته وقلت والله لاأعطي احداً منه شيئا فالتفت فأذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ولم يقل شيئا . اجود الشحم ما كان من حيوان مكتمل وهو حار رطب وهو اقل رطوبة من السمن ولهذا لو اذيب الشحم والسمن كان الشحم اسرع جموداً وهو ينفع من خشونة الحلق ويرخى ويعفن ويدفع ضرره بالليمون المملوح والزنجبيل. وشحم المعز اقبض الشحوم وشحم التيوس اشد تحليلا وينفع من قروح الامعاء وشحم العنز اقوى في ذلك ويحتقن به للسحج والزحير

﴿ حرف الصاد ﴾

(صلاة) قال الله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين) وقال (ياأيها الذين آمنوا أستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) وقال تعالى (وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) وفي السنن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة وقد تقدم ذكر الاستشفاء بالصلاة من عامة الاوجاع قبل استحكامها . والصلاة مجلبة للرزق حافظة للصحة دافعة للاذى مطردة للادواء مقوية للقلب مبيضة للوجه مفرحة للنفس مذهبة للكسل منشطة للجوارح ممدة للقوي شارحة للصدر مغذية للروح منورة للقلب حافظة للنعمة دافعة للنقمة

جالبة للبركة مبعدة من الشيطان مقربة من الرحمن وبالجملة فلها تأثير عجيب في حفظ صحة البدن والقلب وقواهما ودفع المواد الرديئة عنهما وما ابتلى رجلان بعاهة او داء او محنة او بلية الا كان حظ المصلي منهما اقل وعاقبته اسلم وللصلاة تأثير عجيب في دفع شرور الدنيا ولا سيما اذا اعطيت حقها من التكميل ظاهرا وباطنا فما استدفعت شرور الدنيا والآخرة واستجلبت مصالحهما بمثل الصلاة وسر ذلك ان الصلاة صلة بالله عز وجل وعلى قدر صلة العبد بربه عز وجل تفتح عليه من الخيرات ابوابها وتقطع عنه من الشرور اسبابها وتفيض عليه مواد التوفيق من ربه عز وجل والعافية والصحة والغنيمة والغنى والراحة والنعيم والأفراح والمسرات كلها محضرة لديه ومسارعة اليه .

(صبر) الصبر نصف الأيمان فانه ماهية مركبة من صبر وشكر كما قال بعض السلف: الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر قال تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور . والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وهو ثلاثة انواع صبر على فرائض الله فلا يضيعها وصبر عن محارمه فلا يرتكبها وصبر على اقضيته واقداره فلا يتسخطها ومن استكمل هذه المراتب الثلاث استكمل الصبر ولذة الدنيا والآخرة ونعيمها والفوز والظفر فيهما فلا يصل اليه احد الا على جسر الصبر كما لا يصل احد الى الجنة الا على الصراط . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خير عيش ادركناه بالصبر . واذا تأملت مراتب الكمال المكتسب في العالم رأيتها كلها من عدم الصبر فالشجاعة والعفة والجود والأيثار كله صبر ساعة

فالصبر طلسم على كنز العلى * من حل ذا الطلسم فاز بكنزه

واكثر اسقام البدن والقلب انما تنشأ من عدم الصبر فما حفظت صحة القلوب والأبدان والأرواح بمثل الصبر فهو الفاروق الأكبر والترياق الاعظم ولولم

يكن فيه الامعية الله مع اهله فان الله مع الصابرين ومحبته لهم فان الله يحب الصابرين ونصره لأهله فان النصر مع الصبر وانه خير لاهله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وانه سبب الفلاح (ياايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)

(صَبِر) روى ابو داود في كتاب المراسيل من حديث قيس بن رافع القيسي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماذا في الأَمَرّين من الشفاء الصبر والثفا. وفى السنن لأبى داود من حديث أم سلمة قالت دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفي أبو سلمة وقد جعلت عليّ صبرا فقال ماذا ياأم سلمة فقلت انما هو صبر يارسول الله ليس فيه طيب قال انه يشب الوجه فلا تجعليه الا بالليل ونهى عنه بالنهار. الصبر كثير المنافع لاسيما الهندى منه ينقى الفضول الصفراوية التى فى الدماغ وأعصاب البصر واذا طلي على الجبهة والصدغ بدهن الورد نفع من الصداع وينفع من قروح الأنف والفم ويسهل السوداء والماليخوليا والصبر الفارسي يذكى العقل ويشد الفؤاد وينقى الفضول الصفراوية والبلغمية من المعدة اذا شرب منه ملعقتان بماء ويرد الشهوة الباطلة والفاسدة واذا شرب في البرد خيف ان يسهل دما .

(صوم) الصوم جنة من ادواء الروح والقلب والبدن منافعه تفوت الأحصاء وله تأثير عجيب في حفظ الصحة وأذابة الفضلات وحبس النفس عن تناول مؤذياتها ولاسيما اذا كان باعتدال وقصد في افضل اوقاته شرعا وحاجة البدن اليه طبعا ثم ان فيه من اراحة القوى والأعضاء ما يحفظ عليها قواها وفيه خاصية تقتضى ايثاره وهي تفريحه للقلب عاجلا وآجلا وهو انفع شيء لأصحاب الأمزجة الباردة والرطبة وله تأثير عظيم في حفظ صحتهم وهو يدخل في الأدوية

الروحانية والطبيعية واذا راعى الصائم فيه ما ينبغى مراعاته طبعاً وشرعا عظم انتفاع قلبه وبدنه به وحبس عنه المواد الغريبة الفاسدة التى هو مستعد لها وازال المواد الرديئة الحاصلة بحسب كماله ونقصانه ويحفظ الصائم مما ينبغى ان يتحفظ منه وقيامه بمقصود الصوم وسره وعلته الغائية فأن القصد منه امر آخر وراء ترك الطعام والشراب وباعتبار ذلك الأمر اختص من بين الأعمال بأنه لله سبحانه ولما كان وقاية وجنة بين العبد وبين ما يؤذى قلبه وبدنه عاجلا وآجلا قال الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) فأحد مقصودي الصيام الجنة والوقاية وهي حمية عظيمة النفع والمقصود الآخر اجتماع القلب والهم على الله تعالى وتوفير قوى النفس على محابه وطاعته وقد تقدم الكلام فى بعض اسرار الصوم عند ذكر هديه صلى الله عليه وسلم فيه .

﴿ حرف الضاد ﴾

(ضب) ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنه لما قدم اليه وامتنع من اكله احرام فقال لا ولكن لم يكن بأرض قومى فأجدنى اعافه. واكل بين يديه وعلى مائدته وهو ينظر وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لااحله ولا احرمه وهو حار يابس يقوى شهوة الجماع واذا دق ووضع على موضع الشوكة اجتذبها

(ضفدع) قال الامام احمد الضفدع لايحل في الدواء نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلها يريد الحديث الذى رواه في مسنده من حديث عثمان بن عبدالرحمن رضي الله عنه ان طبيباً ذكر ضفدعا في دواء عندرسول الله صلى الله عليه

وسلم فنهاه عن قتلها قال صاحب القانون من اكل من دم الضفدع او جرمه
ورم بدنه وكمد لونه وقذف المني حتى يموت ولذلك ترك الاطباء استعماله خوفاً
من ضرره وهي نوعان مائية وترابية والترابية يقتل اكلها

(حرف الطاء)

(طيب) ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حبب الي من
دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكثر التطيب وتشتد عليه الرائحة الكريهة وتشق عليه. والطيب
غذاء الروح التي هي مطية القوى والقوي تتضاعف وتزيد بالطيب كما تزيد
بالغذاء والشراب والدعة والسرور ومعاشرة الاحبة وحدوث الامور المحبوبة
وغيبة من تسر غيبته ويثقل على الروح مشاهدته كالثقلاء والبغضاء فان معاشرتهم
توهن القوي وتجلب الهم والغم وهي للروح بمنزلة الحمى للبدن وبمنزلة الرائحة
الكريهة ولهذا كان مما حبب الله سبحانه الصحابة بنهيهم عن التخلق بهذا
الخلق في معاشرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأذيه بذلك فقال (اذا دعيتم
فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي
فيستحي منكم والله لايستحي من الحق). والمقصود ان الطيب كان من احب
الاشياء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وله تأثير في حفظ الصحة ودفع كثير
من الآلام واسبابها بسبب قوة الطبيعة به .

(طين) ورد في احاديث موضوعة لا يصح منها شيء مثل حديث من اكل
الطين فقد اعان على قتل نفسه ومثل حديث ياحميراء لا تأكلي الطين فأنه
يعصم البطن ويصفر اللون ويذهب بهاء الوجه وكل حديث في الطين فانه
لا يصح ولا اصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه ردىء مؤذ يسد

مجاري العروق وهو بارد يابس قوي التجفيف ويمنع استطلاق البطن ويوجب نفث الدم وقروح الفم

(طلح) قال تعالى (وطلح منضود) قال اكثر المفسرين هو الموز والمنضود هو الذي قد نضد بعضه على بعض كالمشط وقيل الطلح الشجر ذو الشوك نضد مكان كل شوكة ثمرة فثمره قد نضد بعضه الي بعض فهو مثل الموز وهذا القول اصح ويكون من ذكر الموز من السلف اراد التمثيل لا التخصيص والله اعلم. وهو حار رطب اجوده النضيج الحلو ينفع من خشونة الصدر والرئة والسعال وقروح الكليتين والمثانة ويدر البول ويزيد في المني ويحرك شهوة الجماع ويلين البطن ويؤكل قبل الطعام ويضر المعدة ويزيد في الصفراء والبلغم ودفع ضرره بالسكر او العسل .

(طلع) قال تعالى [والنخل باسقات لها طلع نضيد] وقال تعالى (ونخل طلعها هضيم). طلع النخل ما يبدو من ثمرته في اول ظهوره وقشره يسمى الكفرى والنضيد المنضود الذى قد نضد بعضه على بعض وانما يقال له نضيد مادام فى كفراه فأذا انفتح فليس بنضيد واما الهضيم فهو المنضم بعضه الى بعض فهو كالنضيد ايضا وذلك يكون قبل تشقق الكفري عنه. والطلع نوعان ذكر وانثى والتلقيح هو ان يؤخذ من الذكر وهو مثل دقيق الحنطة فيجعل في الأنثى وهو التأبير فيكون ذلك بمنزلة اللقاح بين الذكر والأنثى وقد روى مسلم في صحيحه عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في نخل فرأى قوما يلقحون فقال مايصنع هؤلاء قالوا يأخذون من الذكر فيجعلونه في الأنثى قال ما اظن ذلك يغنى شيئا فبلغهم فتركوه فلم يصلح فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما هو ظن فأن كان يغنى شيأ فاصنعوه

فأنما انا بشر مثلكم وان الظن يخطئ ويصيب ولكن ما قلت لكم عن الله عز وجل فلن اكذب على الله. انتهى. طلع النخل ينفع من الباه ويزيد في المباضعة ودقيق طلعه اذا تحملت به المرأة قبل الجماع اعان على الحبل اعانة بالغة وهو في البرودة واليبوسة في الدرجة الثانية يقوى المعدة ويجففها ويسكن ثائرة الدم مع غلاظة وبطوء هضم ولا يحتمله الا اصحاب الأمزجة الحارة. ومن اكثر منه فأنه ينبغى ان يأخذ عليه شيأ من الجوارشات الحارة وهو يعقل الطبع ويقوى الأحشاء والجمار يجرى مجراه وكذلك البلح والبسر والاكثار منه يضر بالمعدة والصدر وربما اورث القولنج واصلاحه بالسمن اوبما تقدم ذكره .

❊ حرف العين ❊

(عنب) في الغيلانيات من حديث حبيب بن يسار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل العنب خرطا قال ابو جعفر العقيلي لا اصل لهذا الحديث . قلت وفيه داود بن عبد الجبار ابو سليم الكوفي قال يحيي بن معين كان يكذب ويذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يحب العنب والبطيخ. وقد ذكر الله سبحانه العنب في ستة مواضع من كتابه في جملة نعمه التى انعم بها على عباده في هذه الدار وفى الجنة وهو من افضل الفواكه واكثرها منافع وهو يؤكل رطباً ويابسا واخضر ويانعا وهو فاكهة مع الفواكه وقوت مع الأقوات وأدم مع الأدام ودواء مع الأدوية وشراب مع الأشربة وطبعه طبع الحياة الحرارة والرطوبة وجيده الكبار المائى والأبيض احمد من الأسود اذا تساويافي الحلاوة والمتروك بعد قطفه يومين او ثلاثة احمد من المقطوف في يومه فأنه منفخ مطلق للبطن والمعلق حتى يضمر قشره جيد للغذاء مقو للبدن وغذاؤه كغذاء التين والزبيب واذا القي عجم العنب كان اكثر

تليينا للطبيعة والاكثار منه مصدع للرأس ودفع مضرته بالرمان المز ومنفعة العذب تسهيل الطبع ويسمن ويغذو جيده غذاء حسنا وهو احد الفواكهة الثلاث التى هي ملوك الفواكهة هو والرطب والتين .

(عسل) قد تقدم ذكر منافعه قال ابن جريج قال الزهرى عليك بالعسل فانه جيد للحفظ وأجوده أصفاه وأبيضه وألينه حدّة وأصدقه حلاوة . وما يؤخذ من الجبال والشجر له فضل على ما يؤخذ من الخلايا وهو بحسب مرعى نحله

(عجوة) في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر . وفي سنن النسائى وابن ماجه من حديث جابر وأبى سعيد رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم العجوة من الجنة وهى شفاء من السم والكمأة من المن وماؤها شفاء للعين وقد قيل ان هذا في عجوة المدينة وهي أحد أصناف التمر بها ومن أنفع تمر الحجاز على الأطلاق وهو صنف كريم ملذذ متين للجسم والعجوة من ألين التمر وأطيبه وألذه وقد تقدم ذكر التمر وطبعه ومنافعه فى حرف التاء والكلام على دفع العجوة للسم والسحر فلا حاجة لاعادته

(عنبر) تقدم فى الصحيحين من حديث جابر في قصة أبي عبيدة وأكلهم من العنبر نصف شهر وانهم تزودّوا من لحمه وشائق الى المدينة وارسلوا منه الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أحد ما يدل علي ان اباحة ما في البحر لا يختص بالسمك وعلى ان ميتته حلال واعترض علي ذلك بأن البحر ألقاه حيا ثم جزر عنه الماء فمات وهذا حلال فان موته بسبب مفارقته الماء وهذا لا يصح فانهم انما وجدوه ميتا بالساحل ولم يشاهدوه قد خرج عنه حيا ثم جزر عنه الماء وأيضا فلو كان حيا لما ألقاه البحر الى ساحله فانه من المعلوم ان البحر انما يقذف الى ساحله الميت

من حيوا ناته لا الحي منها وأيضاً لو قدر احتمال ماذكروه لم يجز أن يكون شرطاً في الاباحة فانه لا يباح الشيء مع الشك في سبب اباحته ولهذا منع النبي صلى الله عليه وسلم من أكل الصيد اذا وجده الصائد غريقا في الماء للشك في سبب موته هل هو الآلة أم الماء. وأما العنبر الذي هو أحد انواع الطيب فهو من أفخر انواعه بعد المسك وأخطأ من قدمه على المسك وجعله سيد أنواع الطيب وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في المسك هو أطيب الطيب. وسيأتي ان شاء الله تعالى ذكر الخصائص والمنافع التي خص بها المسك حتى انه طيب الجنة والكثبان التي هي مقاعد الصديقين هناك من مسك لا من عنبر والذي غر هذا القائل أنه لا يدخله التغير على طول الزمان فهو كالذهب وهذا لا يدل على أنه أفضل من المسك فانه بهذه الخاصية الواحدة لا يقاوم ما في المسك من الخواص. وبعد فضروبه كثيرة وألوانه مختلفة فمنه الابيض والاشهب والاحمر والاصفر والاخضر والازرق والأسود وذو الالوان واجوده الأشهب ثم الأزرق ثم الأصفر وارد ؤه الاسود. وقد اختلف الناس في عنصره فقالت طائفة هو نبات ينبت في قعر البحر فيبتلعه بعض دوابه فاذا ثملت منه قذفته رجيعا فيقذفه البحر الى ساحله وقيل طل ينزل من السماء في جزائر البحر فتلقيه الامواج الى الساحل وقيل روث دابة بحرية تشبه البقرة وقيل بل هو جثاء من جثاء البحر أي زبد وقال صاحب القانون هو فيما يظن ينبع من عين في البحر والذي يقال انه زبد البحر أو روث دابة بعيد انتهى. ومزاجه حار يابس مقو للقلب والدماغ والحواس واعضاء البدن نافع من الفالج واللقوة والأمراض البلغمية وأوجاع المعدة الباردة والرياح الغليظة ومن السدد اذا شرب أو طلي به من خارج واذا تبخر به نفع من الزكام والصداع والشقيقة الباردة.

(عود) العود الهندي نوعان . احدهما يستعمل فى الأدوية وهو الكست ويقال انه القسط وسيأتي فى حرف القاف . الثانى يستعمل فى الطيب ويقال له الألوة وقد روى مسلم فى صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يستجمر بالألوة غير مطراة وبكافور يطرح معها ويقول هكذا كان يستجمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عنه فى صفة نعيم اهل الجنة مجامرهم الألوة والمجامر جمع مجمر وهو مايتجمر به من عود وغيره وهوانواع اجودها الهندي ثم الصيني ثم القماري ثم المندلى واجوده الأسود والأزرق الصلب الرزين الدسم واقله جودة ماخف وطفا على الماء ويقال انه شجر يقطع ويدفن في الأرض سنة فتأكل الأرض منه مالا ينفع ويبقى عود الطيب لا تعمل فيه الارض شيأ ويتعفن منه قشره وما لاطيب فيه وهو حار يابس في الثالثة يفتح السدد ويكسر الرياح ويذهب بفضل الرطوبة ويقوى الأحشاء والقلب ويفرحه وينفع الدماغ ويقوى الحواس ويحبس البطن وينفع من سلس البول الحادث عن برد المثانة. قال ابن سمحون العود ضروب كثيرة يجمعها اسم الألوة ويستعمل من داخل وخارج ويتجمر به مفرداً ومع غيره وفي خلط الكافور به عند التجمير معنى طبي وهو اصلاح كل منهما بالآخر وفي التجمر مراعاة جوهر الهواء واصلاحه فأنه احد الأشياء الستة الضرورية التى فى صلاحها صلاح الأبدان

(عدس) قد ورد فيه احاديث كلها باطلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل منها شيأ كحديث انه قدس فيه سبعون نبيا وحديث انه يرق القلب ويغزر الدمعة وانه مأكول الصالحين. وارفع شيء جاء فيه واصحه انه شهوة اليهود التى قدموها على المن والسلوى وهو قرين الثوم والبصل فى الذكر وطبعه طبع المؤنث بارد يابس وفيه قوتان متضادتان احداهما يعقل الطبيعة والأخرى

يطلقها وقشره حار يابس فى الثالثة حريف مطلق للبطن وترياقه في قشره ولهذا كان صحاحه انفع من مطحونه واخف على المعدة واقل ضرراً فأن لبه بطيء الهضم لبرودته ويبوسته وهو مولد للسوداء ويضر بالماليخوليا ضرراً بينا ويضر بالأعصاب والبصر وهو غليظ الدم وينبغى ان يتجنبه اصحاب السوداء واكثارهم منه يولد لهم ادواء رديئة كالوسواس والجذام وحمى الربع ويقلل ضرره السلق والأسفاناخ واكثار الدهن. واردأ ما اكل بالمكسود وليتجنب خلط الحلاوة به فانه يورث سدداً كبدية وادمانه يظلم البصر لشدة تجفيفه ويعسر البول ويوجب الأورام الباردة والرياح الغليظة واجوده الابيض السمين السريع النضاج واما ما يظنه الجهال انه كان سماط الخليل الذي يقدمه لأضيافه فكذب مفترى وانما حكى الله عنه الضيافة بالشوى وهو العجل الحنيذ .

وذكر البيهقي عن اسحق قال سئل ابن المبارك عن الحديث الذى جاء فى العدس انه قدس على لسان سبعين نبيا فقال ولا على لسان نبي واحد وانه لمؤذ منفخ من حدثكم به قالوا سلم بن سالم فقال عمن قالوا عنك قال وعنى ايضا.

(حرف الغين)

(غيث) مذكور فى القرآن فى عدة مواضع وهو لذيذ الأسم على السمع والمسمى على الروح والبدن تبتهج الأسماع بذكره والقلوب بوروده وماؤه أفضل المياه وألطفها وأنفعها واعظمها بركة ولا سيما اذا كان من سحاب راعد واجتمع في مستنقعات الجبال وهو أرطب من سائر المياه لأنه لم تطل مدته على الأرض فيكتسب من يبوستها ولم يخالطه جوهر يابس ولذلك يتغير ويتعفن سريعا للطافته وسرعة انفعاله وهل الغيث الربيعى ألطف من الشتوى اوبالعكس فيه قولان قال من رجح الغيث الشتوي حرارة الشمس تكون حينئذ أقل فلا تجتذب

من ماء البحر الا ألطفه والجوّ صاف وهو خال من الأبخرة الدخانية والغبار المخالط للماء وكل هذا يوجب لطفه وصفاءه وخلوه من مخالط وقال من رجح الربيعى الحرارة توجب تحلل الابخرة الغليظه وتوجب رقة الهواء ولطافته فيخف بذلك الماء وتقل اجزاؤه الأرضية وتصادف وقت حياة النبات والأشجار وطيب الهواء وذكر الشافعى رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابنا مطر فحسى منه وقال انه حديث عهد بربه وقد تقدم في هديه في الأستسقاء ذكر استمطاره صلى الله عليه وسلم وتبركه بماء الغيث عند أول مجيئه .

(حرف الفاء)

(فاتحة الكتاب) وأم القرآن والسبع المثاني والشفاء التام والدواء النافع والرقية التامة ومفتاح الغنا والفلاح وحافظة القوة ودافعة الهم والغم والخوف والحزن لمن عرف مقدارها وأعطاها حقها وأحسن ترتيلها على دائه وعرف وجه الأستشفاء والتداوى بها والسر الذى لأجله كانت كذلك . ولما وقع بعض الصحابة على ذلك رقي بها اللديغ فبرأ لوقته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وما أدراك انها رقية . ومن ساعده التوفيق واعين بنور البصيرة حتى وقف على اسرار هذه السورة وما اشتملت عليه من التوحيد ومعرفة الذات والأسماء والصفات والأفعال واثبات الشرع والقدر والمعاد وتجريد توحيد الربوبيته والآلهية وكمال التوكل والتفويض الى من له الأمر كله وله الحمد كله وبيده الخير كله واليه يرجع الأمر كله والأفتقار اليه في طلب الهداية التى هي أصل سعادة الدارين وعلم ارتباط معانيها بجلب مصالحهما ودفع مفاسدهما وان العافية المطلقة التامة والنعمة الكاملة منوطة بها موقوفة على التحقق بها أغنته عن كثير من

الأدوية والرقي واستفتح بها من الخير أبوابه ودفع بها من الشر أسبابه وهذا أمر يحتاج استحداث فطرة أخرى وعقل أخر وايمان آخر وتالله لا تجد مقالة فاسدة ولا بدعة باطلة الا وفاتحة الكتاب متضمنة لردها وابطالها باقرب طريق وأصحها وأوضحها ولا تجد بابا من أبواب المعارف الآلهية واعمال القلوب وأدويتها من عللها وأسقامها الا وفي فاتحة الكتاب مفتاحه وموضع الدلالة عليه ولا منزلا من منازل السائرين الى رب العالمين الا وبدايته ونهايته فيها ولعمر الله ان شأنها لأعظم من ذلك وهى فوق ذلك وماتحقق عبد بها واعتصم بها وعقل عمن تكلم بها وأنزلها شفاء تاما وعصمة بالغة ونوراً مبينا وفهمها وفهم لوازمها كما ينبغى ووقع فى بدعته ولا شرك ولا أصابه مرض من أمراض القلوب الا الماما غير مستقر. هذا وانها المفتاح الأعظم لكنوز الأرض كما انها المفتاح لكنوز الجنة ولكن ليس كل واحد يحسن الفتح بهذا المفتاح ولو أن طلاب الكنوز وقفوا على سر هذه السورة وتحققوا بمعانيها وركبوا لهذا المفتاح أسنانا وأحسنوا الفتح به لوصلوا الى تناول الكنوز من غير معاوق ولا ممانع ولم نقل هذا مجازفة ولا استعارة بل حقيقة ولكن لله تعالى حكمة بالغة في اخفاء هذا السر عن نفوس أكثر العالمين كماله حكمة بالغة فى اخفاء كنوز الأرض عنهم والكنوز المحجوبة قد استخدم عليها أرواح خبيثة شيطانية تحول بين الأنس وبينها ولا تقهرها الأرواح علوية شريفة غالبة لها بحالها الايماني معها منه أسلحة لا تقوم لها الشياطين وأكثر نفوس الناس ليست بهذه المثابة فلا يقاوم تلك الأرواح ولا يقهرها ولا ينال من سلبها شيأ فان من قتل قتيلا فله سلبه .

(فاغية) هي نور الحناء وهي من أطيب الرياحين وقد روى البيهقى في كتابه شعب الأيمان من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه يرفعه سيد

الرياحين في الدنيا والآخرة الفاغية. وروى فيه ايضاً عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان احب الرياحين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاغية والله أعلم بحال هذين الحديثين فلا نشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا نعلم صحته وهي معتدلة فى الحر واليبس. فيها بعض القبض واذا وضعت بين طي ثياب الصوف حفظتها من السوس وتدخل فى مراهم الفالج والتمدد ودهنها يحلل الأعضاء ويلين العصب.

(فضة) ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خاتمه من فضة وفصه منه وكانت قبيعة سيفه فضة ولم يصح عنه في المنع من لباس الفضة والتحلي بها شيء البتة كما صح عنه المنع من الشرب فى آنيتها وباب الآنية أضيق من باب اللباس والتحلي ولهذا يباح للنساء لباسا وحلية ما يحرم عليهن استعماله آنية فلا يلزم من تحريم الآنية تحريم اللباس والحلية وفي السنن عنه وأما الفضة فالعبوا بها لعبا فالمنع يحتاج الى دليل يثبته اما نص أو اجماع فان ثبت أحدهما والا ففى القلب من تحريم ذلك على الرجال شيء والنبي صلى الله عليه وسلم امسك بيده ذهبا وبالأخرى حريرا وقال هذان حرام على ذكور امتى حل لأناثهم. والفضة سر من أسرار الله فى الأرض وطلسم الحاجات واحساب اهل الدنيا بينهم وصاحبها مرموق بالعيون بينهم معظم في النفوس مصدر فى المجالس لا تغلق دونه الأبواب ولا تمل مجالسته ولا معاشرته ولا يستثقل مكانه تشير الأصابع اليه وتعقد العيون نطاقها عليه ان قال سمع قوله وان شفع قبلت شفاعته وان شهد زكيت شهادته وان خطب فكفؤ لا يعاب وان كان ذا شيبة بيضاء فهي اجمل عليه من حلية الشباب وهي من الأدوية المفرحة النافعة من الهم والغم والحزن وضعف القلب وخفقانه وتدخل فى المعاجين الكبار وتجتذب بخاصيتها ما يتولد في القلب من

الأخلاط الفاسدة خصوصا اذا أضيفت الى العسل المصفى والزعفران. ومزاجها الى البرودة واليبوسة ويتولد عنها من الحرارة والرطوبة ما يتولد. والجنان التى أعدها الله عز وجل لأوليائه يوم يلقونه أربع: جنتان من ذهب وجنتان من فضة آنيتهما وحليهما وما فيهما وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح انه قال الذى يشرب في أنية الذهب والفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافهما فانها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة. فقيل علة التحريم تضييق النقود فانها اذا اتخذت أواني فاتت الحكمة التي وضعت لأجلها من قيام مصالح بنى آدم وقيل العلة الفخر والخيلاء وقيل العلة كسر قلوب الفقراء والمساكين اذا رأوها وعاينوها وهذه العلل فيها ما فيها فان التعليل بتضييق النقود يمنع من التحلى بها وجعلها سبائك ونحوها مما ليس بآنية ولا نقد والفخر والخيلاء حرام بأي شيء كان وكسر قلوب المساكين لا ضابط له فان قلوبهم تنكسر بالدور الواسعة والحدائق المعجبة والمراكب الفاخرة والأطعمة اللذيذة وغير ذلك من المباحات وكل هذه علل منتقضة اذ توجد العلة ويتخلف معلولها فالصواب ان العلة والله أعلم ما يكسب استعمالها القلب من الهيأة والحالة المنافية للعبودية منافاة ظاهرة ولهذا علل النبي صلى الله عليه وسلم بانها للكفار فى الدنيا اذ ليس لهم نصيب من العبودية التى ينالونها فى الآخرة فلا يصلح استعمالها لعبيد الله في الدنيا وانما يستعملها من خرج عن عبوديته ورضي بالدنيا وعاجلها من الآخرة والله اعلم.

﴿ حرف القاف ﴾

(قرآن) قال تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) والصحيح

ان من ههنا لبيان الجنس لا للتبعيض وقال تعالى (يا أيها الناس قدجاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور) فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية وادواء الدنيا والآخرة وما كل احد يؤهل ولا يوفق للأستشفاء به واذا احسن العليل التداوي به ووضعه على دائه بصدق وايمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه لم يقاومه الداء ابداً وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذى لو نزل على الجبال لصدعها او على الارض لقطعها فما من مرض من امراض القلوب والأبدان الا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه لمن رزقه الله فهما في كتابه وقد تقدم فى اول الكتاب على الطب بيان ارشاد القرآن العظيم الى اصوله ومجامعه التى هي حفظ الصحة والحمية واستفراغ المؤذي والاستدلال بذلك على سائر افراد هذه الانواع واما الأدوية القلبية فأنه يذكرها مفصلة ويذكر اسباب ادوائها وعلاجها قال (اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله ومن لم يكفه فلا كفاه الله .

(قثاء) في السنن من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل القثاء بالرطب رواه الترمذي وغيره . القثاء بارد رطب فى الدرجة الثانية مطفئ لحرارة المعدة الملتهبة بطئ الفساد فيها نافع من وجع المثانة ورائحته تنفع من الغشي وبزره يدر البول وورقه اذا اتخذ ضماداً نفع من عضة الكلب وهو بطئ الأنحدار عن المعدة برده مضر ببعضها فينبغى ان يستعمل معه ما يصلحه ويكسر برودته ورطوبته كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم اذ أكله بالرطب فاذا أكل بتمر أو زبيب أو عسل عدله .

(قسط) وكست بمعنى واحد وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه

عن النبي صلى الله عليه وسلم خير ما تداويتم به الحجامة والقسط البحرى وفى المسند من حديث أم قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذا العود الهندى فان فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب . القسط ضربان أحدهما الأبيض الذى يقال له البحرى والآخر الهندي وهو أشدهما حرا والابيض الينهما ومنافعهما كثيرة جدا وهما حاران يابسان فى الثالثة ينشفان البلغم قاطعان الزكام واذا شربا نفعا من ضعف الكبد والمعدة ومن بردهما ومن حمى الدور والربع وقطعا وجع الجنب ونفعا من السموم واذا طلى به الوجه معجونا بالماء والعسل قلع الكلف وقال جالينوس ينفع من الكزاز ووجع الجنبين ويقتل حب القرع وقد خفي على جهال الأطباء نفعه من وجع ذات الجنب فانكروه ولو ظفر هذا الجاهل بهذا النقل عن جالينوس نزله منزلة النص كيف وقد نص كثير من الأطباء المتقدمين علي ان القسط يصلح للنوع البلغمى من ذات الجنب ذكره الخطابى عن محمد ابن الجهم . وقد تقدم ان طب الأطباء بالنسبة الى طب الأنبياء أقل من نسبة طب الطرقية والعجائز الى طب الأطباء وان بين ما يلقى بالوحى وبين ما يلقى بالتجربة والقياس من الفرق أعظم مما بين القدم والفرق ولو أن هؤلاء الجهال وجدوا دواء منصوصاً عن بعض اليهود والنصارى والمشركين من الأطباء لتلقوه بالقبول والتسليم ولم يتوقفوا على تجربته نعم نحن لا ننكر ان للعادة تأثيرا فى الأنتفاع بالدواء وعدمه فمن اعتاد دواء وغذاء كان أنفع له وأوفق ممن لم يعتده بل ربما ينتفع به من لم يعتده . وكلام فضلاء الأطباء وان كان مطلقا فهو بحسب الأمزجة والأزمنة والأماكن والعوائد واذا كان التقييد بذلك لا يقدح في كلامهم ومعارفهم فكيف يقدح في كلام الصادق المصدوق ولكن نفوس البشر مركبة على الجهل والظلم الا من أمده الله بروح الأيمان ونور بصيرته بنور الهدى .

(قصب السكر) جاء في بعض ألفاظ السنة الصحيحة الحوض ماؤه أحلى من السكر. ولا أعرف السكر في الحديث الا في هذا الموضع والسكر حادث لم يتكلم فيه متقدمو الأطباء ولا كانوا يعرفونه ولا يصفونه في الأشربة وانما يعرفون العسل ويدخلونه في الأدوية. وقصب السكر حار رطب ينفع من السعال ويجلو الرطوبة والمثانة وقصبة الرئة وهو أشد تلييناً من السكر وفيه معونة على القيء ويدر البول ويزيد في الباه. قال عفان بن مسلم الصفار من مص قصب السكر بعد طعامه لم يزل يومه أجمع في سرور انتهى وهو ينفع من خشونة الصدر والحلق اذا شوي ويولد رياحاً دفعها بأن يقشر ويغسل بماء حار. والسكر حار رطب على الاصح وقيل بارد وأجوده الابيض الشفاف الطبرزد وعتيقه ألطف من جديده واذا طبخ ونزعت رغوته سكن العطش والسعال وهو يضر المعدة التي تتولد فيها الصفراء لأستحالته اليها ودفع ضرره بماء الليمون أو النارنج أو الرمان اللفان وبعض الناس يفضله على العسل لقلة حرارته ولينه وهذا تحامل منه على العسل فأن منافع العسل اضعاف منافع السكر وقد جعله الله شفاء ودواء وأداما وحلاوة وأين نفع السكر من منافع العسل من تقوية المعدة وتليين الطبع واحداد البصر وجلاء ظلمته ودفع الخوانيق بالغرغرة به وابرائه من الفالج واللقوة ومن جميع العلل الباردة التي تحدث في جميع البدن من الرطوبات فيجذبها من قعر البدن ومن جميع البدن وحفظ صحته وتسخينه والزيادة في الباه والتحليل والجلاء وفتح أفواه العروق وتنقية المعا واحدار الدود ومنع التخم وغيره من العفن والأدم النافع وموافقة من غلب عليه البلغم والمشايخ واهل الامزجة الباردة وبالجملة فلاشيء أنفع منه للبدن وفي العلاج ومعجن الادوية وحفظ قواها وتقوية المعدة الى أضعاف هذه المنافع فأين للسكر مثل هذه المنافع والخصائص أو قريب منها.

﴿ حرف الكاف ﴾

(كتاب للحمى) قال المروزي بلغ ابا عبد الله اني حممت فكتب لي من الحمى رقعة فيها بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله ومحمد رسول الله قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك آله الخلق آمين قال المروزي وقرئ على ابي عبدالله وانا اسمع حدثنا ابو المنذر عمرو ابن مجمع حدثنا يونس بن حبان قال سألت ابا جعفر محمد بن على ان اعلق التعويذ فقال ان كان من كتاب الله او كلام عن نبي الله فعلقه واستشف به ما استطعت قلت اكتب هذه من حمى الربع باسم الله وبالله ومحمد رسول الله الى آخره قال أي نعم وذكر الامام أحمد عن عائشة رضي الله عنها وغيرها انهم سهلوا في ذلك قال حرب ولم يشدد فيه أحمد بن حنبل قال أحمد وكان ابن مسعود يكرهه كراهة شديدة جدا وقال أحمد وقد سئل التمائم تعلق بعد نزول البلاء قال ارجو أن لا يكون به بأس قال الخلال وحدثنا عبد الله بن أحمد قال رأيت أبي يكتب التعويذ للذي يفزع وللحمى بعد وقوع البلاء .

(كتاب لعسر الولادة) قال الخلال حدثني عبد الله بن أحمد قال رأيت أبي يكتب المرأة اذا عسر عليها ولادتها في جام أبيض أو شيء نظيف يكتب حديث ابن عباس رضي الله عنهما (لا آله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون) قال الخلال أنبأنا أبو بكر المروزي ان أبا عبدالله جاءه رجل فقال يا أبا عبد الله تكتب لأمرأة وقد عسر عليها ولدها منذ يومين فقال قل له يجيء

بجام واسع وزعفران ورأيته يكتب لغير واحد ويذكر عن عكرمة عن ابن عباس قال مر عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم على بقرة وقد اعترض ولدها في بطنها فقالت يا كلمة الله ادع الله لى ان يخلصنى مما أنا فيه فقال يا خالق النفس من النفس ويا مخلص النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس خلصها قال فرمت بولدها فاذا هي قائمة تشمه. قال فاذا عسر على المرأة ولدها فاكتبه لها. وكلما تقدم من الرقي فان كتابته نافعة ورخص جماعة من السلف في كتابة بعض القرآن وشربة وجعل ذلك من الشفاء الذى جعل الله فيه .

(كتاب آخر لذلك) يكتب فى أناء نظيف اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت واذا الأرض مدّت وألقت مافيها وتخلت وتشرب منه الحامل ويرش على بطنها.

[كتاب للرعاف] كان شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يكتب على جبهته وقيل ياارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقضي الامر وسمعته يقول كتبتها لغير واحد فبرأ فقال ولا يجوز كتابتها بدم الراعف كما يفعله الجهال فان الدم نجس فلا يجوز ان يكتب به كلام الله تعالى.

[كتاب آخر له] خرج موسى عليه السلام برداء فوجد شعيبا فشده بردائه يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب (هكذا في النسختين المطبوعة والمخطوطة)

(كتاب آخر للحزاز) يكتب عليه واصابها اعصار فيه نار فاحترقت بحول الله وقوته.

(كتاب آخر له) عند اصفرار الشمس يكتب عليه يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل له نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم .

(كتاب آخر للحمى المثلثة) يكتب على ثلاث ورقات لطاف بسم الله فرت بسم الله مرت بسم الله قلت ويأخذ كل يوم ورقة ويجعلها فى فمه ويبتلعها بماء.

(كتاب آخر لعرق النسا) بسم الله الرحمن الرحيم اللهم رب كل شيء ومليك كل شيء وخالق كل شيء انت خلقتني وانت خلقت عرق النسا فيَّ فلا تسلطه عليَّ بأذى ولا تسلطني عليه بقطع واشفني شفاء لايغادر سقما لاشافي الا انت.

(كتاب للعرق الضارب) روى الترمذي في جامعه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الحمى ومن الاوجاع كلها ان يقولوا بسم الله الكبير اعوذ بالله العظيم من شر عرق نعار ومن شر حر النار

(كتاب لوجع الضرس) يكتب على الخد الذي يلي الوجع بسم الله الرحمن الرحيم (قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع والأبصار قليلا ماتشكرون) وان شاء كتب (وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم)

(كتاب الخراج) يكتب عليه (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفا لاترى فيها عوجاً ولا أمتا)

(كمأة) ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين اخرجاه في الصحيحين قال ابن الأعرابي الكمأة جمع واحده كمء وهذا خلاف قياس العربية فأن مابينه وبين واحده التاء فالواحد منه بالتاء واذا حذفت كان للجمع وهل هو جمع او اسم جمع على قولين مشهورين قالوا ولم يخرج عن هذا الاَّ حرفان كمأة وكمء وخبأة وخبء وقال غير ابن الاعرابي بل هي على القياس الكمأة للواحد والكمء للكثير وقال غيرهما الكمأة تكون واحداً وجمعا واحتج اصحاب القول الأول بأنهم قد جمعوا كمأ على اكمؤ قال الشاعر

ولقد جنيتك اكمؤاً وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

وهذا يدل على ان كمء مفرد وكمأة جمع . والكمأة تكون في الارض من غير ان تزرع وسميت كمأة لأستتارها ومنه كمأ الشهادة اذا سترها وأخفاها والكمأة

مختفية تحت الارض لاورق لها ولا ساق ومادتها من جوهر ارضى بخاري محتقن فى الأرض نحو سطحها يحتقن ببرد الشتاء وتنميه امطار الربيع فيتولد ويندفع نحو سطح الارض متجسداً ولذلك يقال لها جدري الارض تشبيهاً بالجدري فى صورته ومادته لأن مادة رطوبته دموية تندفع عند سن الترعرع في الغالب وفي ابتداء استيلاء الحرارة ونماء القوة وهي مما يوجد فى الربيع ويؤكل نياً ومطبوخا وتسميها العرب نبات الرعد لانها تكثر بكثرته وتنفطر عنها الارض وهي من اطعمة اهل البوادي وتكثر بأرض العرب وأجودها ماكانت ارضها رملية قليلة الماء وهي اصناف منها صنف قتال يضرب لونه الى الحمرة يحدث لأجله الأختناق وهي باردة رطبة فى الدرجة الثالثة رديئة للمعدة بطيئة الهضم واذا ادمنت اورثت القولنج والسكتة والفالج ووجع المعدة وعسر البول والرطبة اقل ضرراً من اليابسة ومن اكلها فليدفنها في الطين الرطب ويصقلها بالماء والملح والصعتر ويأكلها بالزيت والتوابل الحارة لأن جوهرها ارضى غليظ وغذائها رديء لكن فيها جوهر مائي لطيف يدل على خفتها. والأكتحال بها نافع من ظلمة البصر والرمد الحار وقد اعترف فضلاء الاطباأ بأن مائها يجلو العين وممن ذكره المسيحي وصاحب القانون وغيرهما وقوله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن فيه قولان . احدهما ان المن الذى انزل على بني اسرائيل لم يكن هذا الحلو فقط بل اشياء كثيرة منَّ الله عليهم بها من النبات الذى يوجد عفواً من غير صنعة ولاعلاج ولا حرث فأن المن مصدر بمعنى المفعول اى ممنون به فكل ما رزقه الله العبد عفواً بغير كسب منه ولا علاج فهو من منّ الله تعالى عليه لأنه لم يشبه كسب العبد ولم يكدره تعب العمل فهو منٌّ محض وان كانت سائر نعمه منّاً منه على عبده فخص منها مالا كسب له فيه ولا صنع باسم المن

فانه بلا واسطة العبد وجعل سبحانه قوتهم بالتيه الكمأة وهي تقوم مقام الخبز وجعل أدمهم السلوى وهي تقوم مقام اللحم وجعل حلواهم الطل الذى ينزل على الاشجار يقوم لهم مقام الحلوى فكمل عيشهم وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن الذي انزل الله على بنى اسرائيل فجعلها من جملته وفردا من افراده. والترنجبين الذي يسقط على الاشجار نوع من المنّ ثم غلب استعمال المنّ عليه عرفا حادثا . والقول الثاني انه شبه الكمأة بالمنّ المنزل من السماء لأنه يجمع من غير تعب ولا كلفة ولا زرع بذر ولاسقي. فان قلت فأذا كان هذا شأن الكمأة فما بال هذا الضرر فيها ومن اين أتاها ذلك فاعلم أن الله سبحانه أتقن كل شيء صنعه واحسن كل شيء خلقه فهو عند مبدء خلقه بريء من الآفات والعلل تام المنفعة لما هيء وخلق وانما تعرض له الآفات بعد ذلك بأمور أخر من مجاورة أو امتزاج واختلاط اوأسباب أخر تقتضى فساده فلو ترك على خلقته الأصلية من غير تعلق أسباب الفساد به لم يفسد ومن له معرفة باحوال العالم ومبدئه يعرف أن جميع الفساد فى جوه ونباته وحيوانه واحوال أهله حادث بعد خلقه بأسباب اقتضت حدوثه ولم تزل أعمال بنى آدم ومخالفتهم للرسل تحدث لهم من الفساد العام والخاص ما يجلب عليهم من الآلام والامراض والاسقام والطواعين والقحوط والجدوب وسلب بركات الارض وثمارها ونباتها وسلب منافعها أو نقصانها أموراً متتابعة يتلو بعضها بعضا . فأن لم يتسع علمك لهذا فاكتف بقوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) ونزل هذه الآية على احوال العالم وطابق بين الواقع وبينها وأنت ترى كيف تحدث الآفات والعلل كل وقت في الثمار والزرع والحيوان وكيف يحدث من تلك الآفات آفات أخر متلازمة بعضها آخذ برقاب بعض وكلما أحدث الناس ظلما

وفجورا أحدث لهم ربهم تبارك وتعالى من الآفات والعلل في أغذيتهم وفواكههم وأهويتهم ومياههم وابدانهم وخلقهم وصورهم واشكالهم واخلاقهم من النقص والآفات ما هو موجب اعمالهم وظلمهم وفجورهم. ولقد كانت الحبوب من الحنطة وغيرها اكبر مما هي اليوم كما كانت البركة فيها اعظم وقد روي الأمام احمد باسناده انه وجد في خزائن بعض بنى امية صرة فيها حنطة أمثال نوى التمر مكتوب عليها هذا كان ينبت أيام العدل وهذه القصة ذكرها في مسنده على أثر حديث رواه. واكثر هذه الأمراض والآفات العامة بقية عذاب عذبت به الأمم السالفة ثم بقيت منها بقية مرصدة لمن بقيت عليه بقية من اعمالهم حكما قسطا وقضاء عدلا وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا بقوله فى الطاعون انه بقية رجز أو عذاب ارسل على بني اسرائيل. وكذلك سلط الله سبحانه وتعالى الريح على قوم عاد سبع ليال وثمانية ايام ثم أبقى في العالم منها بقية فى تلك الايام أو في نظيرها عظة وعبرة وقد جعل الله سبحانه اعمال البر والفاجر مقتضيات لآثارها في هذا العالم اقتضاء لا بد منه فجعل منع الأحسان والزكاة والصدقة سببا لمنع الغيث من السماء والقحط والجدب وجعل ظلم المساكين والبخس في المكاييل والموازين وتعدى القوى على الضعيف سببا لجور الملوك والولاة الذين لا يرحمون ان استرحموا ولا يعطفون ان استعطفوا وهم في الحقيقة اعمال الرعايا ظهرت في صور ولاتهم فان الله سبحانه بحكمته وعدله يظهر للناس اعمالهم فى قوالب وصور تناسبهم فتارة بقحط وجدب وتارة بعدو وتارة بولاة جائرين وتارة بأمراض عامة وتارة بهموم وآلام وغموم تحضرها نفوسهم لا ينفكون عنها وتارة بمنع بركات السموات والأرض عنهم وتارة بتسليط الشياطين عليهم تؤزهم الى اسباب العذاب أزا لتحق عليهم الكلمة وليصير كل منهم الى ما خلق له

والعاقل يسير ببصيرته بين اقطار العالم فيشاهده وينظر مواقع عدل الله وحكمته وحينئذ يتبين ان الرسل واتباعهم خاصة على سبيل النجاة وسائر الخلق على سبيل الهلاك سائرون والى دار البوار صائرون والله بالغ أمره لا معقب لحكمه ولا راد لأمره وبالله التوفيق .

(فصل وقوله صلى الله عليه وسلم) في الكمأة وماؤها شفاء للعين فيه ثلاثة اقوال أحدهما ان ماءها يخلط فى الأدوية التى يعالج بها العين لا أنه يستعمل وحده ذكره ابو عبيد الثانى أنه يستعمل بحتا بعد شيها واستقطار مائها لأن النار تلطفه وتنضجه وتذيب فضلاته ورطوبته المؤذية ويبقى النافع . الثالث أن المراد بمائها الماء الذي يحدث به من المطر وهو أول قطر ينزل الى الأرض فتكون الأضافة اضافة اقتران لا اضافة جزء ذكره ابن الجوزى وهو ابعد الوجوه واضعفها وقيل ان استعمل ماؤها لتبريد مافى العين فماؤها مجردا شفاء وان كان لغير ذلك فمركب مع غيره . وقال الغافقى ماء الكمأة اصلح الأدوية للعين اذا عجن به الأثمد واكتحل به ويقوى أجفانها ويزيد الروح الباصر قوة وحدة ويدفع عنها نزول النوازل

(كباث) فى الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجنى الكباث فقال عليكم بالأسود منه فانه أطيبه الكباث بفتح الكاف والباء الموحدة المخففة والثاء المثلثة ثمر الأراك وهو بأرض الحجاز وطبعه حار يابس ومنافعه كمنافع الأراك يقوى المعدة ويجيد الهضم ويجلو البلغم وينفع من أوجاع الظهر وكثير من الأدواء . وقال ابن جلجل اذا شرب طبيخه أدر البول ونقى المثانة وقال ابن رضوان يقوى المعدة ويمسك الطبيعة .

(كتم) روى البخاري في صحيحه عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال دخلنا على أم سلمة رضي الله عنها فأخرجت الينا شعرا من شعر رسول الله صلى الله

عليه وسلم فاذا هو مخضوب بالحناء والكتم وفي السنن الاربعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم وفى الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه اختضب بالحناء والكتم وفي سنن أبى داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مر على النبي صلى الله عليه وسلم رجل قد خضب بالحناء فقال ما احسن هذا فمر آخر قد خضب بالحناء والكتم فقال هذا أحسن من هذا فمر آخر قد خضب بالصفرة وقال هذا أحسن من هذا كله . قال الغافقي الكتم نبت ينبت بالسهول ورقه قريب من ورق الزيتون يعلو فوق القامة وله ثمر قدر حب الفلفل في داخله نوى اذا رضخ اسود واذا استخرجت عصارة ورقه وشرب منها قدر أوقية قيأ قيأً شديدا وينفع من عضة الكلب . واصله اذا طبخ بالماء كان منه مداد يكتب به وقال الكندى بزر الكتم اذا اكتحل به حلل الماء النازل في العين وابرأها وقد ظن بعض الناس أن الكتم هو الوسمة وهي ورق النيل وهذا وهم فان الوسمة غير الكتم . قال صاحب الصحاح الكتم بالتحريك نبت يخلط بالوسمة يختضب به قيل والوسمة نبات له ورق طويل يضرب لونه الى الزرقة اكبر من ورق الخلاف يشبه ورق اللوبياء واكبر منه يؤتى به من الحجاز واليمن . فان قيل قد ثبت فى الصحيح عن أنس رضي الله عنه أنه قال لم يختضب النبي صلى الله عليه وسلم قيل قد اجاب الامام احمد بن حنبل عن هذا وقال قد شهد به غير أنس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم أنه خضب وليس من شهد بمنزلة من لم يشهد فأحمد أثبت خضاب النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من المحدثين ومالك انكره . فان قيل قد ثبت في صحيح مسلم النهي عن الخضاب بالسواد في شأن أبى قحافة لما أتى به ورأسه ولحيته كالثغامة بياضا فقال غيروا هذا الشيب وجنبوه السواد . والكتم يسود

الشعر فالجواب من وجهين أحدهما أن النهي عن التسويد البحت فأما اذا
أضيف الى الحناء شيء آخر كالكتم ونحوه فلا بأس به فأن الكتم والحناء يجعل
الشعر بين الاحمر والاسود بخلاف الوسمة فانها تجعله أسود فاحما وهذا أصح
الجوابين. الجواب الثانى ان الخضاب بالسواد المنهي عنه خضاب التدليس كخضاب
شعر الجارية والمرأة الكبيرة تغر الزوج والسيد بذلك وخضاب الشيخ يغر
المرأة بذلك فانه من الغش والخداع فاما اذا لم يتضمن تدليسا ولا خداعا فقد
صح عن الحسن والحسين رضي الله عنهما أنهما كانا يخضبان بالسواد ذكر ذلك
أبن جرير عنهما فى كتاب تهذيب الآثار وذكره عن عثمان بن عفان وعبد الله
ابن جعفر وسعد بن ابى وقاص وعقبة بن عامر والمغيرة بن شعبة وجرير بن عبد
الله وعمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين وحكاه عن جماعة من التابعين منهم
عمرو بن عثمان وعلى بن عبد الله بن عباس وأبو سلمة بن عبد الرحمن وعبد
الرحمن بن الأسود وموسى بن طلحة والزهرى وأيوب واسمعيل بن معديكرب
رضي الله عنهم أجمعين وحكاه ابن الجوزى عن محارب بن دثار ويزيد وابن
جريج وأبى يوسف وأبى اسحق وابن أبى ليلي وزياد بن علاقة وغيلان بن
جامع ونافع بن جبير وعمرو بن علي المقدمى والقاسم بن سلام رضي الله عنهم أجمعين
(كرم) شجرة العنب وهي الحبلة ويكره تسميتها كرماً لما روي مسلم فى صحيحه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقولن احدكم للعنب الكرم ؛ الكرم
الرجل المسلم وفى رواية انما الكرم قلب المؤمن وفى اخرى لاتقولوا الكرم
وقولوا العنب والحبلة وفي هذا معنيان . احدهما ان العرب كانت تسمي شجرة
العنب الكرم لكثرة منافعها وخيرها فكره النبي صلى الله عليه وسلم تسميتها
باسم يهيج النفوس على محبتها ومحبته ما يتخذ منها من المسكر وهو أمّ

الخبائث فكره ان يسمي اصله بأحسن الأسماء وأجمعها للخير . والثاني انه من باب قوله ليس الشديد بالصرعة وليس المسكين بالطواف اي انكم تسمون شجرة العنب كرماً لكثرة منافعه وقلب المؤمن او الرجل المسلم اولى بهذا الأسم منه فأن المؤمن خير كله ونفع فهو من باب التنبيه والتعريف لما في قلب المؤمن من الخير والجود والأيمان والنور والهدى و التقوى. والصفات التى يستحق بها هذا الاسم اكثر من استحقاق الحبلة له. وبعد فقوة الحبلة باردة يابسة وورقها وعلائقها وعرموشها مبرد في آخر الدرجة الأولى واذا دقت وضمد بها من الصداع سكنته ومن الأورام الحارة والتهاب المعدة. وعصارة قضبانه اذا شربت سكنت القيء وعقلت البطن وكذلك اذا مضغت قلوبها الرطبة. وعصارة ورقها تنفع من قروح الأمعاء ونفث الدم وقيئه ووجع المعدة ودمع شجره الذي يحمل على القضبان كالصمغ اذا شربت اخرجت الحصاة واذا لطخ بها ابرأت القوبى والجرب المتقرح وغيره. وينبغى غسل العضو قبل استعمالها بالماء والنطرون. واذا تمسح بها مع الزيت احلقت الشعر ورماد قضبانه اذا تضمد به مع الخل ودهن الورد والسذاب نفع من الورم العارض في الطحال وقوة دهن زهرة الكرم قابضة شبيهة بقوة دهن الورد ومنافعها كثيرة قريبة من منافع النخلة .

(كرفس) روى في حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أكله ثم نام عليه نام ونكهته طيبة وينام آمنا من وجع الأضراس والأسنان وهذا باطل على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن البستاني منه يطيب النكهة جدا واذا علق أصله في الرقبة نفع من وجع الأسنان وهو حار يابس وقيل رطب مفتح لسدد الكبد والطحال وورقه رطبا ينفع المعدة والكبد الباردة ويدر البول والطمث ويفتت الحصاة وحبه أقوى في ذلك ويهيج الباه وينفع من البخر

قال الرازى وينبغى أن يجتنب أكله اذا خيف من لدغ العقارب .

(كراث) فيه حديث لا يصح عن رسول صلى الله عليه وسلم بل هو باطل موضوع من أكل الكراث ثم نام عليه نام آمنا من ريح البواسير واعتزله الملك لنتن نكهته حتى يصبح . وهو نوعان نبطي وشامي فالنبطي هو البقل الذى يوضع على المائدة والشامي الذى له رؤوس وهو حار يابس مصدع واذا طبخ وأكل وشرب أو شرب ماؤه نفع من البواسير الباردة وان سحق بزره وعجن بقطران وبخرت به الأضراس التى فيها الدود نثرها وأخرجها ويسكن الوجع العارض فيها واذا دخنت المقعدة ببزره جففت البواسير هذا كله في الكراث النبطي وفيه مع ذلك فساد الأسنان واللثة ويصدع ويرى احلاما رديئة ويظلم البصر وينتن النكهة وفيه ادرار للبول والطمث وتحريك للباه وهو بطئ الهضم .

(حرف اللام)

(لحم) قال الله تعالى (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) وقال (ولحم طير مما يشتهون) وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد طعام أهل الدنيا واهل الجنة اللحم ومن حديث بريدة خير الأدام في الدنيا والآخرة اللحم وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام والثريد الخبز واللحم قال الشاعر

اذا ما الخبز تأدمه بلحم * فذاك أمانة الله الثريد

وقال الزهرى أكل اللحم يزيد سبعين قوّة وقال محمد بن واسع اللحم يزيد في البصر ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كلوا اللحم فانه يصفى اللون ويخمص البطن ويحسن الخلق وقال نافع كان ابن عمر اذا كان رمضان لم يفته اللحم واذا سافر لم يفته اللحم ويذكر عن علي رضى الله عنه من تركه اربعين

يوماً ساء خلقه واما حديث عائشه رضي الله عنها الذى رواه ابو داود مرفوعا لا تقطعوا اللحم بالسكين فانه من صنع الاعاجم وانهشوه نهشا فانه اهنى وامرى فرده الامام احمد بما صح عنه صلى الله عليه وسلم من قطعه بالسكين في حديثين وقد تقدّما واللحم اجناس يختلف باختلاف أصوله وطبائعه فنذكر حكم كل جنس وطبعه ومنفعته ومضرته .

(لحم الضأن) حار فى الثانية رطب فى الأولى جيده الحولي يولد الدم المحمود القوي لمن جاد هضمه . يصلح لأصحاب الأمزجة الباردة المعتدلة ولأهل الرياضات التامة في المواضع والفصول الباردة نافع لأصحاب المرة السوداء يقوي الذهن والحفظ ولحم الهرم والعجيف ردئ وكذلك لحم النعاج وأجوده لحم الذكر الأسود منه فانه أخف وألذ وأنفع والخصي أنفع وأجود والأحمر من الحيوان السمين أخف واجود غذاء والجذع من المعز أقل تغذية ويطفو في المعدة وأفضل اللحم عائذه بالعظم والأيمن أخف واجود من الأيسر والمقدم أفضل من المؤخر وكان أحب الشاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمها وكل ما علا منه سوى الرأس كان اخف وأجود مما سفل . وأعطى الفرزدق رجلا يشتري له لحما وقال له خذ المقدم واياك والرأس والبطن فأن الداء فيهما ولحم العنق جيد لذيذ سريع الهضم خفيف ولحم الذراع اخف اللحم وألذه وألطفه وأبعده من الأذى واسرعه انهضاما وفي الصحيحين انه كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحم الظهر كثير الغذاء يولد دماً محمودا وفي سنن ابن ماجه مرفوعاً اطيب اللحم لحم الظهر

(فصل)لحم المعز قليل الحرارة يابس وخلطه المتولد منه ليس بفاضل وليس بجيد الهضم ولا محمود الغذاء ولحم التيس ردئ مطلقا شديد اليبس عسر الانهضام

مولد للخلط السوداوي . قال الجاحظ قال لي فاضل من الأطباء يا أبا عثمان اياك ولحم المعز فأنه يورث الغم ويحرك السوداء ويورث النسيان ويفسد الدم وهو والله يخبل الأولاد. وقال بعض الأطباء انما المذموم منه المسن ولا سيما المسنين ولارداءة فيه لمن اعتاده. وجالينوس جعل الحولي منه من الأغذية المعتدلة المعدلة للكيموس المحمود واناثه انفع من ذكوره. وقد روى النسائي في سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم احسنوا الى الماعز وأميطوا عنها الأذى فأنهما من دواب الجنة وفى ثبوت هذا الحديث نظر. وحكم الأطباء عليه بالمضرة حكم جزئي ليس بكلي عام وهو بحسب المعدة الضعيفة والأمزجة الضعيفة التي لم تعتده واعتادت المأكولات اللطيفة وهؤلاء اهل الرفاهية من اهل المدن وهم القليلون من الناس

(لحم الجدي) قريب الى الأعتدال خاصة مادام رضيعاً ولم يكن قريب العهد بالولادة وهو اسرع هضما لما فيه من قوة اللبن ملين للطبع موافق لاكثر الناس فى اكثر الأحوال وهو الطف من لحم الجمل والدم المتولد عنه معتدل.

(لحم البقر) بارد يابس عسر الأنهضام بطيء الأنحدار يولد دماً سوداويا لايصلح الأ لأهل الكد والتعب الشديد ويورث ادمانه الأمراض السوداوية كالبهق والجرب والقوبى والجذام وداء الفيل والسرطان والوسواس وحمى الربع وكثير من الأورام وهذا لمن لم يعتده او لم يدفع ضرره بالفلفل والثوم والدارصيني والزنجبيل ونحوه. وذكره اقل برودة وانثاه اقل يبسا ولحم العجل ولا سيما السمين من اعدل الأغذية واطيبها والذها وأحمدها وهو حار رطب واذا انهضم غذى غذاءً قويا .

(لحم الفرس) ثبت فى الصحيح عن أسماء رضي الله عنها قالت نحرنا فرساً فاكلناه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عنه صلى الله عليه وسلم

أنه أذن في لحوم الخيل ونهى عن لحوم الحمر أخرجاه في الصحيحين ولا يثبت
عنه حديث المقدام بن معديكرب رضي الله عنه أنه نهى عنه قاله أبو داود
وغيره من أهل الحديث. واقترانه بالبغال والحمير في القرآن لا يدل على ان حكم
لحمه حكم لحومها بوجه من الوجوه كما لا يدل على ان حكمها في السهم في الغنيمة
حكم الفرس والله سبحانه يقرن في الذكر بين المتماثلات تارة وبين المختلفات
وبين المتضادات وليس في قوله لتركبوها ما يمنع من أكلها كما ليس فيه ما يمنع
من غير الركوب من وجوه الانتفاع وانما نص على أجل منافعها وهو الركوب
والحديثان في حلها صحيحان لا معارض لهما. وبعد فلحمها حار يابس غليظ
سوداوي مضر لا يصلح للأبدان اللطيفة.

(لحم الجمل) فرق ما بين الرافضة وأهل السنة كما أنه أحد الفروق بين اليهود
وأهل الاسلام فاليهود والرافضة تذمه ولا تأكله وقد علم بالاضطرار من دين
الاسلام حله وطالما أكله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حضرا وسفرا
ولحم الفصيل منه من ألذ اللحوم وأطيبها واقواها غذاء وهو لمن اعتاده بمنزلة
لحم الضأن لا يضرهم البتة ولا يولد لهم داء وانما ذمه بعض الأطباء بالنسبة الى
أهل الرفاهية من أهل الحضر الذين لم يعتادوه فان فيه حرارة ويبسا وتوليدا
للسوداء وهو عسر الانهضام وفيه قوة غير محمودة لاجلها أمر النبي صلى الله
عليه وسلم بالوضوء من أكله فى حديثين صحيحين لا معارض لهما ولا يصح
تأويلهما بغسل اليد لأنه خلاف المعهود من الوضوء فى كلامه صلى الله عليه وسلم
لتفريقه بينه وبين لحم الغنم فخير بين الوضوء وتركه منها وحتم الوضوء من
لحوم الابل ولو حمل الوضوء على غسل اليد فقط لحمل على ذلك قوله من مس
فرجه فليتوضأ وأيضا فان آكلها قد لا يباشر أكلها بيده بأن يوضع فى فمه فأن

كان وضوءه غسل يده فهو عبث وحمل لكلام الشارع على غير معهوده وعرفه ولا يصح معارضته بحديث كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار لعدة أوجه . أحدها ان هذا عام والأمر بالوضوء منها خاص . الثاني ان الجهة مختلفة فالأمر بالوضوء منها بجهة كونها لحم ابل سواء كان نيئًا أو مطبوخا أو قديدا ولا تأثير للنار في الوضوء واما ترك الوضوء مما مست النار ففيه بيان ان مس النار ليس بسبب للوضوء فأين أحدهما من الآخر هذا فيه اثبات سبب الوضوء وهو كونه لحم ابل وهذا فيه نفي لسبب الوضوء وهو كونه ممسوس النار فلا تعارض بينهما بوجه . الثالث ان هذا ليس فيه حكاية لفظ عام عن صاحب الشرع وانما هو اخبار عن واقعة فعل فى أمرين أحدهما متقدم على الآخر كما جاء ذلك مبينا فى نفس الحديث انهم قربوا الى النبي صلى الله عليه وسلم لحما فأكل ثم حضرت الصلاة فتوضأ وصلى ثم قربوه اليه فأكل ثم صلى ولم يتوضأ فكان آخر الأمرين منه ترك الوضوء مما مست النار هكذا جاء الحديث فاختصره الراوى لمكان الاستدلال فاين في هذا ما يصلح لنسخ الأمر بالوضوء منه حتى لو كان لفظًا عاما متأخرا مقاوما لم يصلح للنسخ ووجب تقديم الخاص عليه وهذا في غاية الظهور .

(لحم الضب) تقدم الحديث في حله ولحمه حار يابس يقوى شهوة الجماع .

(لحم الغزال) الغزال أصلح الصيد وأحمده لحما وهو حار يابس وقيل معتدل جدا نافع للأبدان المعتدلة الصحيحة وجيده الخشف .

(لحم الظبي) حار يابس في الأولى مجفف للبدن صالح للأبدان الرطبة قال صاحب القانون وافضل لحوم الوحش لحم الظبي مع ميله الى السوداوية

(لحم الأرنب) ثبت فى الصحيحين عن انس بن مالك قال انفجنا ارنبًا فسعوا

فى طلبها فأخذوها فبعث ابو طلحة بوركها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله.
لحم الأرنب معتدل الى الحرارة واليبوسة وأطيبها وركها واحمد لحمها ما اكل مشويا وهو يعقل البطن ويدر البول ويفتت الحصى واكل رؤسها ينفع من الرعشة
(لحم حمار الوحش) ثبت في الصحيحين من حديث ابى قتادة رضي الله عنه انهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض عمرة وانه صاد حمار وحش فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأكله وكانوا محرمين ولم يكن ابو قتادة محرما وفي سنن ابن ماجه عن جابر قال اكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحش.
ولحمه حار يابس كثير التغذية مولد دماً غليظاً سوداويا الا ان شحمه نافع مع دهن القسط لوجع الضرس(١) والريح الغليظة المرخية للكلي وشحمه جيد للكلف طلاء وبالجملة فلحوم الوحش كلها تولد دماً غليظاً سوداويا واحمده الغزال وبعده الأرنب
(لحوم الأجنة) غير محمودة لأحتقان الدم فيها وليست بحرام لقوله صلى الله عليه وسلم ذكاة الجنين ذكاة امه. ومنع اهل العراق من اكله الا ان يدركه حيا فيذكيه واولوا الحديث على ان المراد به ان ذكاته كذكاة امه قالوا فهو حجة على التحريم وهذا فاسد فأن اول الحديث انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله نذبح الشاة فنجد فى بطنها جنينا أفنأكله فقال كلوه ان شئتم فأن ذكاته ذكاة امه وايضا فالقياس يقتضى حله فأنه مادام حملا فهو جزء من اجزاء الأم فذكاتها ذكاة لجميع أجزائها وهذا هو الذى أشار اليه صاحب الشرع بقوله ذكاته ذكاة أمه كما يكون ذكاتها ذكاة سائر اجزائها فلو لم تأت السنة الصريحة بأكله لكان القياس الصحيح يقتضى حله وبالله التوفيق.
(لحم القديد) في السنن من حديث بلال رضي الله عنه قال ذبحت لرسول

---

(١) في النسخة الخطية لوجع الظهر

الله صلى الله عليه وسلم شاة ونحن مسافرون فقال أصلح لحمها فلم أزل أطعمه منه الي المدينة . القديد أنفع من المكسود ويقوي الابدان ويحدث حكة ودفع ضرره بالأبازير الباردة الرطبة ويصلح الأمزجة الحارة والمكسود حار يابس مجفف جيده من السمين الرطب يضر بالقولنج ودفع مضرته طبخه باللبن والدهن ويصلح للمزاج الحار الرطب .

(فصل فى لحوم الطير)

قال الله تعالى (ولحم طير مما يشتهون) وفي مسند البزار وغيره مرفوعا انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر مشويا بين يديك. ومنه حلال ومنه حرام فالحرام ذو المخلب كالصقر والبازي والشاهين وما يأكل الجيف كالنسر والرخم واللقاق والعقعق والغراب الأبقع والأسود الكبير وما نهى عن قتله كالهدهد والصرد وما أمر بقتله كالحدأة والغراب. والحلال أصناف كثيرة فمنه الدجاج ففى الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل لحم الدجاج. وهو حار رطب في الأولى خفيف على المعدة سريع الهضم جيد الخلط يزيد في الدماغ والمني ويصفي الصوت ويحسن اللون ويقوى العقل ويولد دما جيدا وهو مائل الى الرطوبة ويقال ان مداومة أكله تورث النقرس ولا يثبت ذلك ولحم الديك أسخن مزاجا وأقل رطوبة والعتيق منه دواء ينفع القولنج والربو والرياح الغليظة اذا طبخ بماء القرطم والشبت. وخصيتها محمودة الغذاء سريعة الانهضام والفراريج سريعة الهضم ملينة للطبع والدم المتولد منها دم لطيف جيد .

(لحم الدراج) حار يابس في الثانية خفيف لطيف سريع الأنهضام مولد للدم المعتدل والاكثار منه يحد البصر .

(لحم الحجل) يولد الدم الجيد سريع الانهضام

(لحم الأوز) حار يابس رديء الغذاء اذا اعتيد وليس بكثير الفضول .

(لحم البط) حار رطب كثير الفضول عسر الأنهضام غير موافق للمعدة .

(لحم الحباري) فى السنن من حديث توبة بن عمرو بن سفينة عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال اكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لحم حباري . وهو حار يابس عسر الأنهضام نافع لأصحاب الرياضة والتعب .

(لحم الكركى) يابس خفيف وفى حره وبرده خلاف يولد دما سوداويا ويصلح لأصحاب الكد والتعب وينبغي ان يترك بعد ذبحه يوما او يومين ثم يؤكل

(لحم العصافير والقنابر) روى النسائى في سننه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من انسان يقتل عصفورا فما فوقه بغير حقه الا سأله عز وجل قيل يا رسول الله وما حقه قال تذبحه فتأكله ولا تقطع رأسه وترمى به. وفى سننه ايضا عن عمرو بن الشريد عن ابيه قال قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قتل عصفورا عبثا عج الى الله يقول يارب ان فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلني لمنفعة. ولحمه حار يابس عاقل للطبيعة يزيد في الباه ومرقه يلين الطبع وينفع المفاصل واذا أكلت أدمغتها بالزنجبيل والبصل هيجت شهوة الجماع وخلطها غير محمود .

(لحم الحمام) حار رطب وحشيه اقل رطوبة وفراخه ارطب خاصة ماربي فى الدور وناهضه اخف لحماً واحمد غذاء ولحم ذكورها شفاء من الأسترخاء والخدر والسكتة والرعشة وكذلك شم رائحة انفاسها وأكل فراخها معين على النساء وهو جيد للكلي يزيد في الدم وقد روى فيها حديث باطل لا اصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا شكى اليه الوحدة فقال اتخذ زوجاً

من الحمام واجود من هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم رأي رجلا يتبع حمامة فقال شيطان يتبع شيطانة وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه فى خطبته يأمر بقتل الكلاب وذبح الحمام.

(لحم القطا) يابس يولد السوداء ويحبس الطبع وهو من شر الغذاء الا انه ينفع من الأستسقاء

(لحم السمانى) حار يابس ينفع المفاصل ويضر بالكبد الحار ودفع مضرته بالخل والكسفرة وينبغى ان يجتنب من لحوم الطير ماكان في الآجام والمواضع العفنة ولحوم الطير كلها اسرع انهضاماً من المواشى . واسرعها انهضاما اقلها غذاء وهي الرقاب والأجنحة وادمغتها احمد من ادمغة المواشى .

(الجراد) في الصحيحين عن عبد الله بن ابي أوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات نأكل الجراد وفى المسند عنه أحلت لنا ميتتان ودمان الحوت والجراد والكبد والطحال يروى مرفوعا وموقوفا على ابن عمر رضي الله عنه. وهو حار يابس قليل الغذاء وادامة أكله تورث الهزال واذا تبخر به نفع من تقطير البول وعسره وخصوصا للنساء ويتبخر به للبواسير وسمانه يشوى ويؤكل للسع العقرب وهو ضار لأصحاب الصرع رديئ الخلط وفي اباحة ميته بلا سبب قولان ولا خلاف في اباحة ميته اذا مات بسبب كالكبس والتحريق ونحوه فالجمهور على حله وحرمه مالك .

(فصل) وينبغى ان لا يداوم على اكل اللحم فانه يورث الأمراض الدموية والأمتلائية والحميات الحارة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اياكم واللحم فأن له ضراوة كضراوة الخمر وان الله يبغض اهل البيت اللحمى ذكره مالك فى الموطأ عنه وقال ابقراط لا تجعلوا اجوافكم مقبرة للحيوان .

(لبن) قال الله تعالى (وان لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين

فرث ودم لبناخالصا سائغا للشاربين) وقال في الجنة (فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من ابن لم يتغير طعمه) وفي السنن مرفوعا من اطعمه الله طعامافليقل اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيراً منه ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فاني لااعلم ما يجزي من الطعام والشراب الا اللبن. اللبن وان كان بسيطا فى الحس الاانه مركب في اصل الخلقة تركيباً طبيعيامن جواهر ثلاثة الجبنية والسمنية والمائية فالجبنية باردة رطبة مغذية للبدن والسمنية معتدلة في الحرارة والرطوبة ملائمة للبدن الأنساني الصحيح كثيرة المنافع. والمائية حارة رطبة مطلقة للطبيعة مرطبة للبدن واللبن على الأطلاق أبرد وارطب من المعتدل وقيل قوته عند حلبه الحرارة والرطوبة وقيل معتدل في الحرارة والبرودة. واجود مايكون اللبن حين يحلب ثم لايزال تنقص جودته على ممر الساعات فيكون حين يحلب اقل برودة واكثر رطوبة والحامض بالعكس ويختار اللبن بعد الولادة باربعين يوما واجوده مااشتد بياضه وطاب ريحه ولذ طعمه وكان فيه حلاوة يسيرة ودسومة معتدلة واعتدل قوامه فى الرقة والغلظة وحلب من حيوان فتيّ صحيح معتدل اللحم محمود المرعى والمشرب وهو محمود يولد دماً جيدا ويرطب البدن اليابس ويغذو غذاء حسنا وينفع من الوسواس والغم والأمراض السوداوية واذا شرب مع العسل نقى القروح الباطنة من الأخلاط العفنة.

وشربه مع السكر يحسن اللون جدا والحليب يتدارك ضرر الجماع ويوافق الصدر والرئة جيد لأصحاب السل رديء للرأس والمعدة والكبد والطحال. والأكثار منه مضر بالأسنان واللثة ولذلك ينبغى ان يتمضمض بعده بالماء. وفي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم شرب لبناً ثم دعا بماء فتمضمض وقال ان له دسما. وهو رديء للمحمومين واصحاب الصداع مؤذ للدماغ والرأس الضعيف والمداومة عليه تحدث ظلمة البصر والغشا ووجع المفاصل وسدة الكبد والنفخ فى المعدة

والأحشاء واصلاحه بالعسل والزنجبيل المربى ونحوه وهذا كله لمن لم يعتده .

(لبن الضأن) اغلظ الألبان وارطبها وفيه من الدسومة والزهومة ماليس في لبن الماعز والبقر يولد فضولا بلغمية ويحدث في الجلد بياضا اذا ادمن استعماله ولذلك ينبغي ان يشرب هذا اللبن بالماء ليكون ما نال البدن منه اقل وتسكينه للعطش اسرع وتبريده اكثر .

(لبن المعز)لطيف معتدل مطلق للبطن مرطب للبدن اليابس نافع من قروح الحلق والسعال اليابس ونفث الدم واللبن المطلق انفع المشروبات للبدن الأنساني لما اجتمع فيه من التغذية والدموية ولأعتياده حال الطفولية وموافقته للفطرة الأصلية. وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي ليلة اسرى به بقدح من خمر وقدح من لبن فنظر اليهما ثم اخذ اللبن فقال جبرائيل عليه السلام الحمد لله الذي هداك للفطرة لو أخذت الخمر غوت امتك. والحامض منه بطئ الأستمراء خام الخلط والمعدة الحارة تهضمه وتنتفع به.

[لبن البقر] يغذو البدن ويخصبه ويطلق البطن بأعتدال وهو من أعدل الألبان وأفضلها بين لبن الضان ولبن المعز في الرقة والغلظ والدسم. وفي السنن من حديث عبد الله بن مسعود يرفعه عليكم بألبان البقر فانها تقم من كل الشجر

(لبن الابل) تقدم ذكره في اول الفصل وذكر منافعه فلا حاجة لأعادته .

(لبان) هو الكندر قد ورد فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم بخروا بيوتكم باللبان والصعتر ولا يصح عنه ولكن يروي عن عليّ أنه قال لرجل شكا اليه النسيان عليك باللبان فانه يشجع القلب ويذهب بالنسيان ويذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما ان شربه مع السكر على الريق جيد للبول والنسيان ويذكر عن أنس رضي الله عنه انه شكا اليه رجل النسيان فقال عليك بالكندر وانقعه

من الليل فاذا اصبحت فخذ منه شربة على الريق فانه جيد للنسيان ولهذا سبب طبيعي ظاهر فأن النسيان اذا كان لسوء مزاج بارد رطب يغلب على الدماغ فلا يحفظ ما ينطبع فيه نفع منه اللبان وأما اذا كان النسيان لغلبة شيء عارض امكن زواله سريعاً بالمرطبات والفرق بينهما ان اليبوسي يتبعه سهر وحفظ للأمور الماضية دون الحالية والرطوبي بالعكس وقد يُحدث النسيان اشياء بالخاصية كحجامة نقرة القفا وادمان اكل الكسفرة الرطبة والتفاح الحامض وكثرة الهم والغم والنظر في الماء الواقف والبول فيه والنظر الى المصلوب والاكثار من قراءة الواح القبور والمشي بين جملين مقطورين والقاء القمل في الحياة واكل سؤر الفار واكثر هذا معروف بالتجربة . والمقصود ان اللبان مسخن في الدرجة الثانية ومجفف في الأولى وفيه قبض يسير وهو كثير المنافع قليل المضار فمن منافعه انه ينفع من قذف الدم ونزفه ووجع المعدة واستطلاق البطن ويهضم الطعام ويطرد الرياح ويجلو قروح العين وينبت اللحم في سائر القروح ويقوي المعدة الضعيفة ويسخنها ويجفف البلغم وينشف رطوبات الصدر ويجلو ظلمة البصر ويمنع القروح الخبيثة من الانتشار . واذا مضغ وحده أو مع الصعتر الفارسي جلب البلغم ونفع من اعتقال اللسان ويزيد في الذهن ويذكيه وان بخر به نفع من الوباء وطيب رائحة الهواء

﴿ حرف الميم ﴾

[ماء] مادة الحياة وسيد الشراب واحد اركان العالم بل ركنه الأصلي فان السموات خلقت من بخاره والأرض من زبده وقد جعل الله منه كل شيء حياً وقد اختلف فيه هل يغذو او ينفذ الغذاء فقط على قولين وقد تقدما وذكرنا القول الراجح ودليله وهو بارد رطب يقمع الحرارة ويحفظ على البدن رطوباته ويرد عليه بدل ما تحلل منه ويرقق الغذاء وينفذه في العروق .

وتعتبر جودة الماء من عشرة طرق احدها من لونه بأن يكون صافيا الثانى من رائحته بان لا يكون له رائحة البتة الثالث من طعمه بان يكون عذب الطعم حلوه كماء النيل والفرات الرابع من وزنه بأن يكون خفيفا رقيق القوام الخامس من مجراه بان يكون طيب المجرى والمسلك السادس من منبعه بان يكون بعيد المنبع السابع من بروزه للشمس والريح بان لا يكون مختفيا تحت الارض فلا تتمكن الشمس والريح من قصارته الثامن من حركته بان يكون سريع الجري والحركة التاسع من كثرته بان يكون له كثرة تدفع الفضلات المخالطة له العاشر من مصبه بأن يكون آخذاً من الشمال الى الجنوب اومن المغرب الى المشرق واذا اعتبرت هذه هذه الأوصاف لم تجدها بكمالها الا فى الانهار الأربعة النيل والفرات وسيحون وجيحون. وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات كلها من انهار الجنة.

وتعتبر خفة الماء من ثلاثة اوجه . احدها سرعة القبول للحر والبرد .

(قال ابقراط) الماء الذى يسخن سريعاً ويبرد سريعا أخف المياه . الثانى بالميزان الثالث ان تبل قطنتان متساويتا الوزن بمائين مختلفين ثم يجففا بالغاً ثم توزنا فأيهما كانت اخف فماؤها كذلك والماء وان كان فى الأصل بارداً رطبا فان قوته تنتقل وتتغير لأسباب عارضة توجب انفعالها فان الماء المكشوف للشمال المستور عن الجهات الأخر يكون باردا وفيه يبس مكتسب من ريح الشمال وكذلك الحكم على سائر الجهات الأخر والماء الذى ينبع من المعادن يكون على طبيعة ذلك المعدن ويؤثر في البدن تأثيره . والماء العذب نافع للمرضى والأصحاء والبارد منه انفع والذ ولا ينبغى شربه على الريق ولا عقيب الجماع ولا الانتباه من النوم ولا عقيب الحمام ولا عقيب اكل الفاكهة وقد تقدم واما على الطعام

فلا بأس اذا اضطر اليه بل يتعين ولا يكثر منه بل يتمصصه مصا فانه لا يضره البتة بل يقوى المعدة وينهض الشهوة ويزيل العطش والماء الفاتر ينفخ ويفعل ضد ماذكرناه. وبائته اجود من طريه وقد تقدم والبارد ينفع من داخل اكثر من نفعه من خارج والحار بالعكس. وينفع البارد من عفونة الدم وصعود الابخرة الى الرأس ويدفع العفونات ويوافق الأمزجة والأسنان والأزمان والأماكن الحارة ويضر على كل حالة تحتاج الى نضج وتحليل كالزكام والأورام. والشديد البرودة منه يؤذي الأسنان والأدمان عليه يحدث انفجار الدم والنزلات واوجاع الصدر . والبارد والحار بافراط ضار للعصب ولأكثر الأعضاء لان احدهما محلل والآخر مكثف والماء الحار يسكن لذع الأخلاط الحارة ويحلل وينضج ويخرج الفضول ويرطب ويسخن ويفسد الهضم شربه ويطفو بالطعام الى اعلى المعدة ويرخيها ولا يسرع فى تسكين العطش ويذبل البدن ويؤدي الى امراض رديئة ويضر فى اكثر الأمراض على انه صالح للشيوخ واصحاب الصرع والصداع البارد والرمد وانفع ما استعمل من خارج. ولا يصح في الماء المسخن بالشمس حديث ولا اثر ولا كرهه احد من قدماء الأطباء ولا عابه والشديد السخونة يذيب شحم الكلي وقد تقدم الكلام على ماء الأمطار فى حرف العين

[ماء الثلج والبرد] ثبت في الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو في الاستفتاح وغيره اللهم اغسلنى من خطاياي بماء الثلج والبرد .

الثلج له في نفسه كيفية حادة دخانية فماؤه كذلك وقد تقدم وجه الحكمة في طلب الغسل من الخطايا بمائه لما يحتاج اليه القلب من التبريد والتصلب والتقوية ويستفاد من هذا اصل طب الأبدان والقلوب ومعالجة ادوائها بضدها وماء البرد الطف وألذ من ماء الثلج واما ماء الجمد وهو الجليد فبحسب اصله . والثلج يكتسب

كيفية الجبال والأرض التى يسقط عليها فى الجودة والرداءة وينبغى تجنب شرب الماء المثلوج عقيب الحمام والجماع والرياضة والطعام الحار ولأصحاب السعال ووجع الصدر وضعف الكبد وأصحاب الأمزجة الباردة .

(ماء الآبار والقنى) مياه الآبار قليلة اللطافة وماء القنى المدفونة تحت الارض ثقيل لان احدهما محتقن لا يخلو عن تعفن والآخر محجوب عن الهواء وينبغى أن لا يشرب على الفور حتى يصمد للهواء وتأتى عليه ليلة . وارده ما كانت مجاريه من رصاص او كانت بئره معطلة ولاسيما اذا كانت تربتها رديئة فهذا الماء وبيء وخيم

(ماء زمزم) سيد المياه واشرفها واجلها قدرا واحبها الى النفوس واغلاها ثمنا وانفسها عند الناس وهو هزمة جبرائيل وسقيا اسماعيل وثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لأبي ذر وقد اقام بين الكعبة واستارها اربعين ما بين يوم وليلة وليس له طعام غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم انها طعام طعم وزاد غير مسلم بأسناده وشفاء سقم . وفي سنن ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ماء زمزم لما شرب له وقد ضعف هذا الحديث طائفة بعبد الله بن ابى الموالى راويه عن محمد بن المنكدر. وقد روينا عن عبد الله بن المبارك انه لما حج اتى زمزم فقال اللهم ان ابن أبي الموالي حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه عن نبيك صلى الله عليه وسلم انه قال ماء زمزم لما شرب له فانى اشرب لظمأ يوم القيامة . وابن ابي الموالي ثقة فالحديث اذاً حسن وقد صححه بعضهم وجعله بعضهم موضوعا وكلا القولين فيه مجازفة . وقد جربت انا وغيري من الاستسقاء بماء زمزم امورا عجيبة واستشفيت به من عدة امراض فبرأت بأذن الله وشاهدت من يتغذي به الأيام ذوات العدد قريبا من نصف الشهر او اكثر ولا يجد

جوعا ويطوف مع الناس كاحدهم وأخبرني انه ربما بقي عليه أربعين يوما وكان
له قوة يجامع بها اهله ويصوم ويطوف مرارا .

(ماء النيل) احد انهار الجنة اصله من وراء جبال القمر في اقصى بلاد الحبشة
من امطار تجتمع هنالك وسيول تمد بعضها بعضا فيسوقه الله تعالى الى الارض
الجرز التي لانبات لها فيخرج به زرعاً تأكل منه الأنعام والأنام ولما كانت
الأرض التي يسوقه اليها ابليزا صلبة ان امطرت مطر العادة لم ترو ولم تتهيأ
للنبات وان امطرت فوق العادة ضرت المساكن والساكن وعطلت المعايش
والمصالح فأمطر البلاد البعيدة ثم ساق تلك الامطار الى هذه الارض في نهر
عظيم وجعل سبحانه زيادته في اوقات معلومة على قدر ري البلاد وكفايتها فأذا
روى البلاد وعمها اذن سبحانه بتناقصه وهبوطه لتتم المصلحة بالتمكن من
من الزرع واجتمع في هذا الماء الأمور العشرة التي تقدم ذكرها وكان من الطف
المياه واخفها واعذبها واحلاها .

(ماء البحر) ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في البحر هو الطهور
ماؤه الحل ميتته وقد جعله سبحانه ملحا أجاجا مرًّا زعاقا لتمام مصالح من هو
على وجه الارض من الآدميين والبهائم فانه دائم راكد كثير الحيوان وهو
يموت فيه كثيرا ولا يقبر فلو كان حلواً لأنتن من اقامته وموت حيوانه فيه
وأجاف . وكان الهواء المحيط بالعالم يكتسب منه ذلك وينتن ويجيف فيفسد
العالم فاقتضت حكمة الرب سبحانه وتعالى ان جعله كالملاحة التي لوألقي فيه
جيف العالم كلها وانتانه وامواته لم تغيره شيأ ولا يتغير على مكثه من حين
خلق والى أن يطوى الله العالم فهذا هو السبب الغائي الموجب لملوحته .
وأما الفاعلي فيكون ارضه سبخة مالحة . وبعد فالأغتسال به نافع من آفات عديدة

في ظاهر الجلد وشربه مضر بداخله وخارجه فانه يطلق البطن ويهزل ويحدث حكة وجربا ونفخا وعطشا ومن اضطر الى شربه فله طرق من العلاج يدفع به مضرته منها ان يحمل في قدر ويحمل فوق القدر قصبات وعليها صوف جديد منفوش ويوقد تحت القدر حتى يرتفع بخارها الى الصوف فاذا كثر عصره ولا يزال يفعل ذلك حتى يجتمع له ماتريد فيحصل في الصوف من البخار ما عذب ويبقى فى القدر الزعاق . ومنها ان يحفر على شاطئه حفرة واسعة يرشح ماؤه اليهاثم الى جانبها قريبا منها أخرى ترشح هى اليها ثم ثالثة الى ان يعذب الماء. واذا ألجاته الضرورة الى شرب الماء الكدر فعلاجه ان يلقى فيه نوي المشمش او قطعة من خشب الساج او جمرا ملتهبا يطفأ فيه او طينا ارمنيا او سويق حنطة فان كدرته ترسب الى اسفل .

[مسك] ثبت فى صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اطيب الطيب المسك وفى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها كنت اطيب النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يحرم ويوم النحر وقبل ان يطوف بالبيت بطيب فيه مسك.

المسك ملك انواع الطيب واشرفها واطيبها وهو الذى يضرب به الأمثال ويشبه به غيره ولا يشبه بغيره وهو كثبان الجنة وهو حار يابس فى الثانية يسر النفس ويقويها ويقوي الأعضاء الباطنة جميعها شرباً وشما والظاهرة اذا وضع عليها نافع للمشايخ والمبرودين لا سيما زمن الشتاء جيد للغشي والخفقان وضعف القوة بانعاشه للحرارة الغريزية ويجلو بياض العين وينشف رطوبتها ويفش الرياح منها ومن جميع الأعضاء ويبطل عمل السموم وينفع من نهش الأفاعي ومنافعه كثيرة جداوهو اقوى المفرحات.

(مرزنجوش) ورد فيه حديث لانعلم صحته عليكم بالمرزنجوش فانه جيد للخشام . والخشام الزكام وهو حار يابس في الثانيه ينفع شمه من الصداع البارد والكائن عن البلغم والسوداء والزكام والرياح الغليظة ويفتح السدد الحادثة في الرأس والمنخرين ويحلل أكثر الأورام الباردة فينفع من اكثر الأورام والأوجاع الباردة الرطبة واذا احتمل ادر الطمث واعان على الحبل واذا دق ورقه اليابس وكمد به اذهب آثار الدم العارض تحت العين واذا ضمد به مع الخل نفع لسعة العقرب ودهنه نافع لوجع الظهر والركبتين ويذهب بالأعياء ومن ادمن شمه لم ينزل في عينيه الماء واذا ستعط بمائه مع دهن اللوز المر فتح سدد المنخرين ونفع من الريح العارضة فيها وفى الرأس .

[ملح] روى ابن ماجه فى سننه من حديث انس يرفعه سيد ادامكم الملح . وسيد الشيء هو الذي يصلحه ويقوم عليه وغالب الأدام انما يصلح بالملح . وفى مسند البزار مرفوعا سيوشك ان تكونوا في الناس كالملح في الطعام ولا يصلح الطعام الا بالملح وذكر البغوي فى تفسيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعا ان الله انزل اربع بركات من السماء الى الأرض الحديد والنار والماء والملح . والموقوف اشبه . الملح يصلح اجسام الناس واطعمتهم ويصلح كل شيء يخالطه حتى الذهب والفضة وذلك ان فيه قوة تزيد الذهب صفرة والفضة بياضا وفيه جلاء وتحليل واذهاب الرطوبات الغليظة وتنشيف لها وتقوية للأبدان ومنع من عفونتها وفسادها ونفع من الجرب المتقرح . واذا اكتحل به قلع اللحم الزائد من العين ومحق الصفرة والأندراني ابلغ في ذلك ويمنع القروح الخبيثة من الأنتشار ويحدر البراز واذا دلك به بطون اصحاب الأستسقاء نفعهم وينقي الأسنان ويدفع عنها العفونة ويشد اللثة ويقويها ومنافعه كثيرة .

☆ حرف النون ☆

(نخل) مذكور في القرآن فى غير موضع وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتى بجمار نخلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشجرة شجرة مثلها مثل الرجل المسلم لا يسقط ورقها اخبروني ماهي فوقع الناس في شجر البوادي فوقع فى نفسى انها النخلة فأردت ان اقول هي النخلة ثم نظرت فأذا انا اصغر القوم سناً فسكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة فذكرت ذلك لعمر فقال لأن تكون قلتها احب الي من كذا وكذا . ففى هذا الحديث القاء العالم المسائل على اصحابه وتمرينهم واختبار ما عندهم وفيه ضرب الأمثال والتشبيه وفيه ما كان عليه الصحابة من الحياء من اكابرهم واجلالهم وامساكهم عن الكلام بين ايديهم وفيه فرح الرجل بأصابة ولده وتوفيقه للصواب وفيه انه لا يكره للولد ان يجيب بما عرف بحضرة ابيه وان لم يعرف الأب وليس فى ذلك اساءة ادب عليه وفيه ماتضمنه تشبيه المسلم بالنخلة من كثرة خيرها ودوام ظلها وطيب ثمرها ووجوده على الدوام . وثمرها يؤكل رطباً ويابسا وبلحاً ويانعا وهو غذاء ودواء وقوت وحلوى وشراب وفاكهة وجذوعها للبناء والآلات والأواني ويتخذ من خوصها الحصر والمكاتل والأواني والمراوح وغير ذلك ومن ليفها الحبال والحشايا وغيرها ثم آخر شيء نواها علف للأبل ويدخل في الأدوية والأكحال ثم جمال ثمرتها ونباتها وحسن هيأتها وبهجة منظرها وحسن نضد ثمرها وصنعته وبهجته ومسرة النفوس عند رؤيته فرؤيتها مذكرة لفاطرها وخالقها وبديع صنعته وكمال قدرته وتمام حكمته ولاشيء اشبه بها من الرجل المؤمن اذ هو خير كله ونفع ظاهر وباطن وهي الشجرة التي حن جذعها الى رسول الله صلى الله عليه

وسلم لما فارقه شوقاً الى قربه وسماع كلامه وهي التى نزلت تحتها مريم لما ولدت عيسى وقد ورد فى حديث في اسناده نظر اكرموا عمتكم النخلة فأنها خلقت من الطين الذى خلق منه آدم وقد اختلف الناس في تفضيلها على الحبلة او بالعكس على قولين وقد قرن الله بينهما في كتابه في غير موضع وما اقرب احدهما من صاحبه وان كان كل واحد منهما فى محل سلطانه ومنبته والأرض التى توافقه افضل وانفع

(نرجس) فيه حديث لا يصح عليكم بشم النرجس فأن في القلب حبة الجنون والجذام والبرص لا يقطعها الاّ شم النرجس وهو حار يابس فى الثانية وأصله يدمل القروح الغائرة الى العصب وله قوة غسالة جالية جابذة واذا طبخ وشرب ماؤه أو أكل مسلوقا هيج القيء وجذب الرطوبة من قعر المعدة .

واذا طبخ مع الكرسنة والعسل نقي أوساخ القروح وفجر الدبيلات العسرة النضج وزهره معتدل الحرارة لطيف ينفع الزكام البارد وفيه تحليل قوى ويفتح سدد الدماغ والمنخرين وينفع من الصداع الرطب والسوداوي ويصدع الرؤس الحارة والمحرق منه اذا شق بصله صليبا وغرس صار مضاعفا ومن أدمن شمه في الشتاء أمن من البرسام في الصيف وينفع من أوجاع الرأس الكائنة من البلغم والمرة السوداء وفيه من العطر ما يقوي القلب والدماغ وينفع من كثير من أمراضها وقال صاحب التيسير شمه يذهب بصرع الصبيان .

(نورة) روى ابن ماجه من حديث ام سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا طلى بدأ بعورته فطلاها بالنورة وسائر جسده وقد ورد فيها عدة احاديث هذا امثلها وقد قيل ان اول من دخل الحمام وصنعت له النورة سليمان بن داود وأصلها كلس جزآن وزرنيخ جزء يخلطان بالماء ويتركان في الشمس او الحمام بقدر ما تنضج وتشتد زرقته ثم يطلى به ويجلس ساعة ريثما

يعمل ولا يمس بماء ثم يغسل ويطلى مكانها بالحناء لأذهاب ناريتها .

(نبق) ذكر ابو نعيم في كتابه الطب النبوي مرفوعاً ان آدم لما هبط الى الأرض كان اول شيء اكل من ثمارها النبق وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم النبق في الحديث المتفق على صحته انه رأى سدرة المنتهى ليلة اسرى به واذا نبقها مثل قلال هجر والنبق ثمر شجر السدر يعقل الطبيعة وينفع من الأسهال ويدبغ المعدة ويسكن الصفراء ويغذو البدن ويشهى الطعام ويولد بلغما وينفع الذرب الصفراوي وهو بطيء الهضم . وسويقه يقوي الحشا وهو يصلح الأمزجة الصفراوية وتدفع مضرته بالشهد . واختلف فيه هل هو رطب او يابس على قوابن والصحيح ان رطبه بارد رطب ويابسه بارد يابس .

☆ حرف الهاء ☆

[هندبا] ورد فيه ثلاثة احاديث لا تصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هي مرفوعة احدها كلوا الهندباء ولا تنفضوه فأنه ليس يوم من الأيام الا وقطرات من الجنة تقطر عليه . الثاني من اكل الهندبا ثم نام عليه لم يحل فيه سم ولا سحر . الثالث مامن ورقة من ورق الهندبا الا وعليها قطرة من الجنة . وبعد فهي مستحيلة المزاج منقلبة بانقلاب فصول السنة فهي فى الشتاء باردة رطبة وفى الصيف حارة يابسة وفى الربيع والخريف معتدلة وفي غالب احوالها تميل الى البرودة واليبس وهي قابضة مبردة جيدة المعدة واذا طبخت واكلت بخل عقلات البطن وخاصة البري منها فهي اجود المعدة واشد قبضا وتنفع من ضعفها واذا ضمد بها سكنت الألتهاب العارض فى المعدة وتنفع من النقرس ومن اورام العين الحارة واذا تضمد بورقها واصولها نفعت من لسم العقرب وهي تقوي المعدة وتفتح السدد العارضة فى الكبد وتنفع من اوجاعها حارها

وباردها وتفتح سدد الطحال والعروق والأحشاء وتنقي مجاري الكلي وانفعها للكبد امرها وماؤها المعتصر ينفع من اليرقان السددي ولا سيما اذا خلط به ماء الرازيانج الرطب واذا دق ورقها ووضع على الأورام الحارة بردها وحللها ويجلو مافى الصدر ويطفئ حرارة الدم والصفراء واصلح ماأكلت غير مغسولة ولا منقوضة لأنها متى غسلت او نقضت فارقتها قوتها وفيها مع ذلك قوة ترياقية تنفع من جميع السموم واذا اكتحل بمائها نفع من الغشا ويدخل ورقها في الترياق وينفع من لدغ العقرب ويقاوم اكثر السموم . واذا اعتصر ماؤها وصب عليه الزيت خاص من الأدوية القتالة كلها. واذا اعتصر اصلها وشرب ماؤه نفع من لسع الأفاعى ولسع العقرب ولسع الزنبور ولبن اصلها يجلو بياض العين

(حرف الواو)

(ورس) ذكر الترمذى في جامعه من حديث زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان ينعت الزيت والورس من ذات الجنب قال قتادة يلد به ويلد من الجانب الذى يشتكيه وروى ابن ماجه في سننه من حديث زيد ابن أرقم أيضا قال نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذات الجنب ورساً وقسطا وزيتاً يلد به وصح عن أم سلمة رضي الله عنها قالت كانت النفساء تقعد بعد نفاسها أربعين يوما وكانت احدانا تطلى الورس على وجهها من الكلف قال أبو حنيفة اللغوي الورس يزرع زرعا وليس ببري ولست أعرفه بغير أرض العرب ولا من أرض العرب بغير بلاد اليمن. وقوته في الحرارة واليبوسة في أوّل الدرجة الثانية وأجوده الأحمر اللين في اليد القليل النخالة ينفع من الكلف والحكة والبثور الكائنة في سطح البدن اذا طلي به وله قوة قابضة صابغة واذا شرب نفع من الوضح ومقدار الشربة منه وزن درهم وهو في مزاجه ومنافعه قريب من منافع

القسط البحري واذا لطخ به على البهق والحكة والبثور والسعفة نفع منها والثوب المصبوغ بالورس يقوي على الباه .

[وسمة] هي ورق النيل وهي تسود الشعر وقد تقدم قريبا ذكر الخلاف في جواز الصبغ بالسواد ومن فعله .

﴿حرف الياء﴾

[يقطين] وهو الدباء والقرع وان كان اليقطين أعم فأنه في اللغة كل شجرة لا تقوم على ساق كالبطيخ والقثاء والخيار قال الله تعالى [وأنبتنا عليه شجرة من يقطين] فأن قيل ما لا يقوم على ساق يسمى نجما لا شجرا والشجر ما له ساق قاله أهل اللغة فكيف قال شجرة من يقطين فالجواب ان الشجر اذا أطلق كان ما له ساق يقوم عليه واذا قيد بشيء تقيد به فالفرق بين المطلق والمقيد في الأسماء

[باب مهم عظيم النفع في الفهم ومراتب اللغة]

[واليقطين المذكور في القرآن] هو نبات الدباء وثمره يسمى الدباء والقرع وشجرة اليقطين وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ان خياطاً دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه قال انس فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرب اليه خبزا من شعير ومرقا فيه دباء وقديداً قال أنس فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالى الصحفة فلم أزل أحب الدباء من ذلك اليوم . وقال أبو طالوت دخلت على أنس بن مالك رضي الله عنه وهو يأكل القرع ويقول يالك من شجرة ما أحبك الي لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك وفي الغيلانيات من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعائشة

اذا طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فأنها تشد قلب الحزين . اليقطين بارد رطب يغذو غذاء يسيرا وهو سريع الانحدار وان لم يفسد قبل الهضم تولد منه خلط محمود. ومن خاصيته انه يتولد منه خلط محمود مجانس لما يصحبه فأن أكل بالخردل تولد منه خلط حريف وبالملح خلط مالح ومع القابض قابض وان طبخ بالسفرجل غذا البدن غذاء جيدا وهو لطيف مائى يغذو غذاء رطبا بلغميا وينفع المحرورين ولا يلائم المبرودين ومن الغالب عليهم البلغم . وماؤه يقطع العطش ويذهب الصداع الحار اذا شرب أو غسل به الرأس وهو ملين للبطن كيف استعمل ولا يتداوى المحرورون بمثله ولا أعجل منه نفعا. ومن منافعه انه اذا لطخ بعجين وشوى فى الفرن أو التنور واستخرج ماؤه وشرب ببعض الاشربة اللطيفة سكن حرارة الحمي الملتهبة وقطع العطش وغذا غذاء حسنا واذا شرب بترنجبين وسفرجل مربى اسهل صفراء محضة واذا طبخ القرع وشرب ماؤه بشيء من عسل وشيء من نطرون أحدر بلغما ومرة معا واذا دق وعمل منه ضماد على اليافوخ نفع من الاورام الحارة فى الدماغ. واذا عصرت جرادته وخلط ماؤها بدهن الورد وقطر منها فى الاذن نفعت من الاورام الحارة وجرادته نافعة من أورام العين الحارة ومن النقرس الحارة وهو شديد النفع لأصحاب الأمزجة الحارة والمحمومين ومتى صادف في المعدة خلطا رديئا استحال الى طبيعته وفسد وولد فى البدن خلطا رديئا ودفع مضرته بالخل والمرى وبالجملة فهو من ألطف الأغذية وأسرعها أنفعالا ويذكر عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من أكله.

[فصل] وقد رأيت ان أختم الكلام فى هذا الباب بفصل مختصر عظيم النفع فى المحاذير والوصايا الكلية النافعة لتتم منفعة الكتاب ورأيت لابن ماسويه

فصلا في كتاب المحاذير نقلته بلفظه قال من أكل البصل أربعين يوما وكلف فلا يلومن الا نفسه ومن افتصد فأكل مالحا فأصابه بهق أو جرب فلا يلومن الا نفسه ومن جمع في معدته البيض والسمك فأصابه فالج أو لقوة فلا يلومن الا نفسه ومن دخل الحمام وهو ممتلئ فأصابه فالج فلا يلومن الا نفسه ومن جمع في معدته اللبن والسمك فأصابه جذام أو برص أو نقرس فلا يلومن الاّ نفسه ومن جمع في معدته اللبن والنبيذ فأصابه برص أو نقرس فلا يلومن الا نفسه ومن احتلم فلم يغتسل حتى وطئ أهله فولدت مجنونا أو مخبلا فلا يلومن الا نفسه ومن أكل بيضا مصلوقا باردا وامتلأ منه فأصابه ربو فلا يلومن الانفسه ومن جامع فلم يصبر حتى يفرغ فأصابه حصاة فلا يلومن الا نفسه ومن نظر في المرآة ليلاً فأصابه لقوة أو أصابه داء فلا يلومن الاّ نفسه .

[فصل] وقال ابن بختيشوع احذر ان تجمع بين البيض والسمك فانهما يورثان القولنج والبواسير ووجع الأضراس وادامة أكل البيض تولد الكلف فى الوجه وأكل الملوحة والسمك المالح والافتصاد بعد الحمام يولد البهق والجرب وادامة اكل كلي الغنم يعقر المثانة الأغتسال بالماء البارد بعد أكل السمك الطري يولد الفالج وطء المرأة الحائض يولد الجذام الجماع من غير ان يهريق الماء عقيبه يولد الحصاة طول المكث في المخرج يولد الداء الدوى.

وقال أبقراط الأقلال من الضار خير من الأكثار من النافع وقال استدعوا الصحة بترك التكاسل عن التعب وبترك الأمتلاء من الطعام والشراب.

وقال بعض الحكماء من أراد الصحة فليجود الغذاء وليأكل على نقاء وليشرب على ظماء وليقلل من شرب الماء ويتمدد بعد الغذاء ويتمشى بعد العشاء ولا ينام حتي يعرض نفسة على الخلاء وليحذر دخول الحمام عقيب الأمتلاء ومرة في

الصيف خير من عشرة في الشتاء وأكل القديد اليابس بالليل معين على الفناء ومجامعة العجائز تهرم اعمار الأحياء وتسقم أبدان الأصحاء ويروى هذا عن علي كرم الله وجهه ولا يصح عنه وانما بعضه من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب وكلام غيره.

وقال الحرث من سره البقاء ولابقاء فليباكر الغذاء وليعجل العشاء وليخفف الرداء وليقل من غشيان النساء. وقال الحرث اربعة اشياء تهدم البدن الجماع على البطنة ودخول الحمام على الأمتلاء وأكل القديد وجماع العجوز.

ولما احتضر الحرث اجتمع اليه الناس فقالوا مرنا بأمر ننتهي اليه من بعدك فقال لاتتزوجوا من النساء الا شابة ولاتأكلوا من الفاكهة الا فى اوان نضجها ولايتعالجن احدكم ما احتمل بدنه الداء وعليكم بتنظيف المعدة في كل شهر فأنها مذيبة للبلغم مهلكة للمرة منبتة للحم واذا تغذى احدكم فلينم على اثر غذائه ساعة واذا تعشى فليمش اربعين خطوة. وقال بعض الملوك لطبيبه لعلك لا تبقى لى فصف لى صفة آخذها عنك فقال لا تنكح الا شابة ولا تأكل من اللحم الا فتيا ولا تشرب الدواء الا من علة ولا تأكل الفاكهة الا في نضجها واجد مضغ الطعام واذا اكلت نهاراً فلا بأس ان تنام واذا اكلت ليلا فلا تنم حتى تمشي ولو خمسين خطوة ولا تأكلن حتى تجوع ولا تتكارهن على الجماع ولا تحبس البول وخذ من الحمام قبل ان تأخذ منك ولا تأكلن طعاماً وفي معدتك طعام واياك ان تأكل ما يعجز اسنانك عن مضغه فتعجز معدتك عن هضمه وعليك فى كل اسبوع بقيئة تنقى جسمك ونعم الكنز الدم فى جسدك فلا تخرجه الا عند الحاجة اليه وعليك بدخول الحمام فأنه يخرج من الأطباق مالا تصل الأدوية الى اخراجه وقال الشافعي رحمه الله تعالى اربعة تقوي البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان. وأربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم

وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الحامض. وأربعة تقوى البصر الجلوس تجاه الكعبة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف المجلس. واربعة توهن البصر النظر الى القذر والى المصلوب والى فرج المرأة والقعود مستدبر القبلة. واربعة تزيد في الجماع اكل العصافير والأطريفل والفستق والخروب. واربعة تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسه الصالحين ومجالسة العلماء. وقال افلاطون خمس يذبن البدن وربما قتلن قصر ذات اليد وفراق الأحبة وتجرع المغايظ وردّ النصح وضحك ذوي الجهل بالعقلاء.

وقال طبيب المأمون عليك بخصال من حفظها فهو جدير ان لا يعتل الاّ علة الموت لا تأكل طعاماً وفى معدتك طعام واياك ان تأكل طعاماً تتعب اضراسك فى مضغه فتعجز معدتك عن هضمه واياك وكثرة الجماع فأنه يقتبس نور الحياة واياك ومجامعة العجوز فأنه يورث موت الفجأة واياك والفصد الا عند الحاجة اليه وعليك بالقيء في الصيف. ومن جوامع كلمات ابقراط قوله كل كثير فهو معاد للطبيعة وقيل لجالينوس مالك لا تمرض فقال لاني لم اجمع بين طعامين رديئين ولم ادخل طعاماً على طعام ولم احبس في المعدة طعاماً تأذيت به.

(فصل) واربعة اشياء تمرض الجسم الكلام الكثير والنوم الكثير والاكل الكثير والجماع الكثير فالكلام الكثير يقلل مخ الدماغ ويضعفه ويعجل الشيب. والنوم الكثير يصفر الوجه ويعمي القلب ويهيج العين ويكسل عن العمل ويولد الرطوبات فى البدن. والأكل الكثير يفسد فم المعدة ويضعف الجسم ويولد الرياح الغليظة والأدواء العسرة. والجماع الكثير يهد البدن ويضعف القوي ويجفف رطوبات البدن ويرخى العصب ويورث السدد ويعم ضرره جميع البدن ونخص الدماغ لكثرة مايتحلل منه من الروح النفساني

واضعافه اكثر من اضعاف جميع المستفرغات ويستفرغ من جوهر الروح شيأ كثيرا وانفع ما يكون اذا صادف شهوة صادقة من صورة جميلة حديثة السن حلالا مع سن الشبوبية وحرارة المزاج ورطوبته وبعد العهد به وخلا القلب من الشواغل النفسانية ولم يفرط فيه ولم يقارنه ماينبغي تركه معه من امتلاء مفرط او خواء واستفراغ او رياضة تامة او حر مفرط او برد مفرط فأذا راعي فيه هذه الأمور العشرة انتفع به جدا وايها فقد حصل له من الضرر بحسبه وان فقدت كلها او اكثر فهو الهلاك المعجل.

(فصل) والحمية المفرطة في الصحة كالتخليط في المرض والحمية المعتدلة نافعة وقال جالينوس لأصحابه اجتنبوا ثلاثا وعليكم بأربع ولا حاجة لكم الى طبيب اجتنبوا الغبار والدخان والنتن وعليكم بالدسم والطيب والحلوى والحمام ولا تأكلوا فوق شبعكم ولا تتخللوا بالبازروج والريحان ولا تأكلوا الجوز عند المساء ولا ينام من به زكمة على قفاه ولا يأكل من به غم حامضا ولا يسرع المشي من افتصد فأنه يكون مخاطره الموت ولا يتقيأ من تؤلمه عينه ولا تأكلوا فى الصيف لحماً كثيرا ولا ينم صاحب الحمى الباردة فى الشمس ولا تقربوا الباذنجان العتيق المبزر. ومن شرب كل يوم في الشتاء قدحاً من ماء حار أمِنَ من الأعلال ومن دلك جسمه في الحمام بقشور الرمان امِنَ من الجرب والحكة ومن اكل خمس سوسنات مع قليل من مصطكي رومي وعود خام ومسك بقي طول عمره لا تضعف معدته ولا تفسد ومن اكل بزر البطيخ مع السكر نظف الحصا من معدته وزالت عنه حرقة البول.

(فصل) اربعة تهدم البدن الهم والحزن والجوع والسهر. واربعة تفرح النظر الى الخضرة والى الماء الجاري والمحبوب والثمار. واربعة تظلم البصر المشي حافياً

والتصبح والمساء بوجه البغيض والثقيل والعدو وكثرة البكاء وكثرة النظر في الخط الدقيق. واربعة تقوي الجسم لبس الثوب الناعم ودخول الحمام المعتدل واكل الطعام الحلو والدسم وشم الروائح الطيبة. واربعة تيبس الوجه وتذهب ماءه وبهجته وطلاقته الكذب والوقاحة وكثرة السؤال عن غير علم وكثرة الفجور. واربعة تزيد في ماء الوجه وبهجته المروءة والوفاء والكرم والتقوى. واربعة تجلب البغضاء والمقت: الكبر والحسد والكذب والنميمة. واربعة تجلب الرزق قيام الليل وكثرة الأستغفار بالأسحار وتعاهد الصدقة والذكر اول النهار وآخره. واربعة تمنع الرزق نوم الصبحة وقلة الصلاة والكسل والخيانة واربعة تضر بالفهم والذهن ادمان اكل الحامض والفواكه والنوم على القفا والهم والغم. واربعة تزيد في الفهم فراغ القلب وقلة التملي من الطعام والشراب وحسن تدبير الغذاء بالأشياء الحلوة والدسمة واخراج الفضلات المثقلة للبدن. ومما يضر بالعقل ادمان اكل البصل والباقلا والزيتون والباذنجان وكثرة الجماع والوحدة والأفكار والسكر وكثرة الضحك والغم. وقال بعض اهل النظر قطعت فى ثلاث مجالس فلم اجد لذلك علة الا اني اكثرت من اكل الباذنجان فى احد تلك الأيام ومن الزيتون في الآخر ومن الباقلا في الثالث.

(فصل) قد اتينا على جمل نافعة من اجزاء الطب العلمي لعل الناظر فيها لا يظفر بكثير منها الا فى هذا الكتاب واريناك قرب ما بينها وبين الشريعة وان الطب النبوي نسبة طب الطبائعيين اليه اقل من نسبة طب العجائز الى طبهم والأمر فوق ماذكرناه واعظم مما وصفناه بكثير ولكن فيما ذكرناه تنبيه باليسير على ما وراءه ومن لم يرزقه الله بصيرة على التفصيل فليعلم مابين القوة المؤيدة بالوحي من عند الله والعلوم التى رزقها الله الأنبياء والعقول والبصائر

التي منحهم الله اياها وبين ماعند غيرهم. ولعل قائلا يقول مالهدى الرسول صلى الله عليه وسلم وما لهذا وذكر قوى الأدوية وقوانين العلاج وتدبير امر الصحة وهذا من تقصير هذا القائل في فهم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فأن هذا واضعافه واضعاف اضعافه من فهم بعض ما جاء به وارشاده اليه ودلالته عليه وحسن الفهم عن الله ورسوله مَنٌّ يمن الله به على من يشاء من عباده فقد اوجدناك اصول الطب الثلاثة فى القرآن. وكيف تنكر ان تكون شريعة المبعوث بصلاح الدنيا والآخرة مشتملة على صلاح الأبدان كاشتمالها على صلاح القلوب وانها مرشدة الى حفظ صحتها ودفع آفاتها بطرق كلية قد وكل تفصيلها الى العقل الصحيح والفطرة السليمة بطريق القياس والتنبيه والأيماء كما هو في كثير من مسائل فروع الفقه ولا تكن ممن اذا جهل شيأ عاداه. ولو رزق العبد تضلعاً من كتاب الله وسنة رسوله وفهماً تاماً في النصوص ولوازمها لاستغنى بذلك عن كل كلام سواه ولاستنبط جميع العلوم الصحيحة منه. فمدار العلوم كلها على معرفة الله وامره وخلقه وذلك مسلم الى الرسل صلوات الله عليهم وسلامه فهم اعلم الخلق بالله وامره وخلقه وحكمته في خلقه وامره وطب اتباعهم اصح وانفع من طب غيرهم وطب اتباع خاتمهم وسيدهم وامامهم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اكمل الطب واصحه وانفعه ولا يعرف هذا الا من عرف طب الناس سواهم وطبهم ثم قارن بينهما فحينئذ يظهر له التفاوت وهم أصح الأمم عقولا وفطرا واعظمهم علماً واقربهم في كل شيء الى الحق لأنهم خيرة الله في الأمم كما رسولهم خيرته من الرسل والعلم الذى وهبهم اياه والحلم والحكمة امر لايدانيهم فيه غيرهم. وقد روى الأمام احمد في مسنده من حديث بهز بن حكيم عن ابيه عن جده رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم انتم توفون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله . فظهر اثر كرامتها على الله سبحانه فى علومهم وعقولهم واحلامهم وفطرهم وهم الذين عرضت عليهم علوم الأمم قبلهم وعقولهم واعمالهم ودرجاتهم فازدادوا بذلك علماً وحلماً وعقولا الى ما افاض الله سبحانه عليهم من علمه وحلمه ولذلك كانت الطبيعة الدموية لهم والصفراوية لليهود والبلغمية للنصارى ولذلك غلب على النصارى البلادة وقلة الفهم والفطنة (١) وغلب على اليهود الحزن والغم والصفار وغلب على المسلمين العقل والشجاعة والفهم والفرح وهذه اسرار وحقائق انما يعرف مقدارها من حسن فهمه ولطف ذهنه وغزر علمه وعرف ما عند الناس وبالله التوفيق

تم بتوفيقه تعالي طبع هذا السفر الجليل وهو كتاب الطب النبوي في مطبعتي العلمية فى مدينة حلب في السادس والعشرين من شهر صفر سنة الف وثلاثمائة وستة واربعين من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة واتم التحية .

ولم آل جهداً في تصحيحه على النسختين المطبوعة والخطية وهما لم تخلوا من الغلط والتحريف فما كان غلطاً فى هذه صحح على تلك مع مراجعة كتب اللغة والحديث فجاءت هذه النسخة اصح من النسختين بحيث تكاد تكون خالية من الغلط الا الخطأ المطبعيّ وهو قليل جدا ومدرك لمن رزق حظاً من الفهم وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب .

ناشره ومصححه

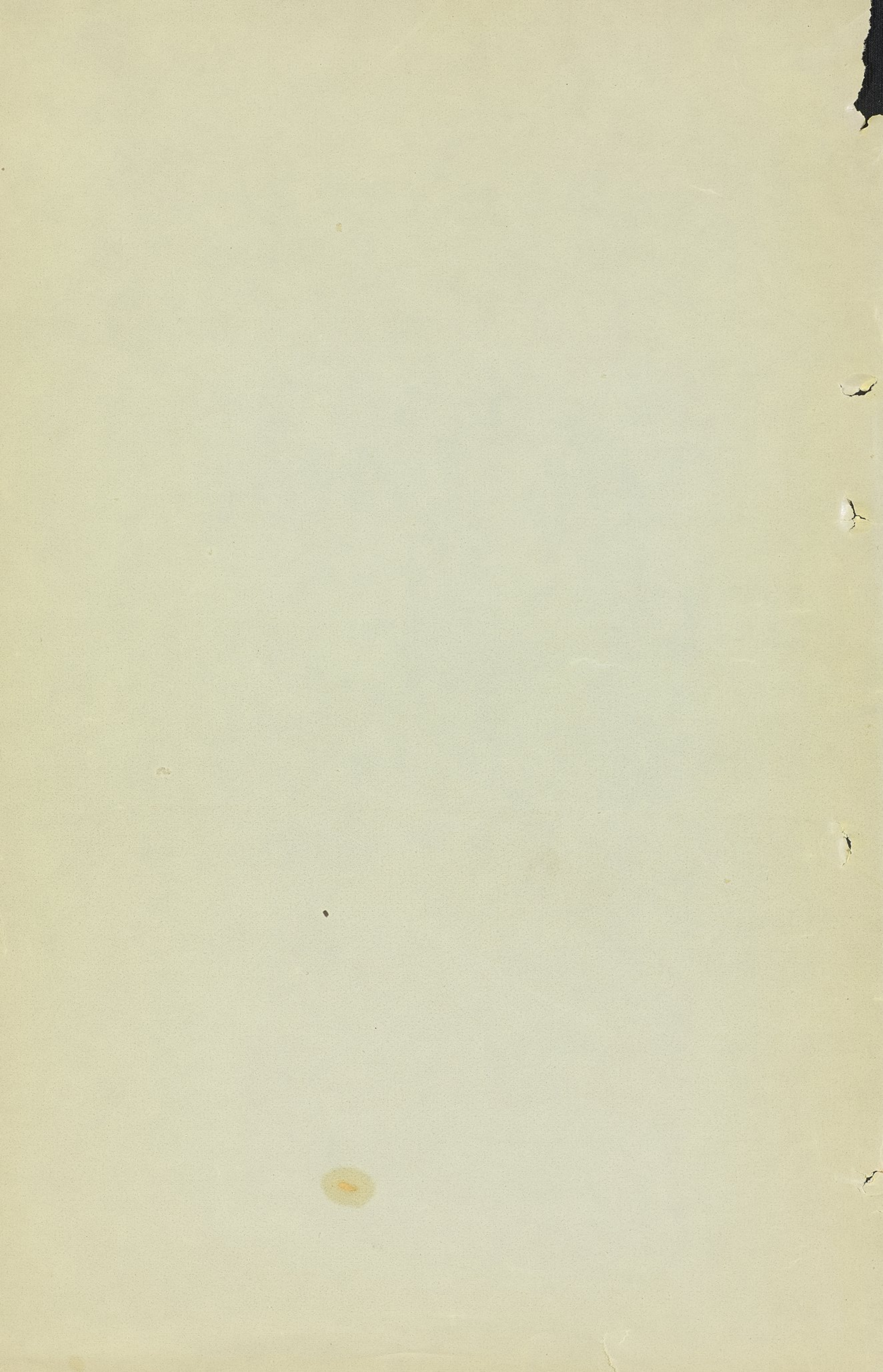
محمد راغب

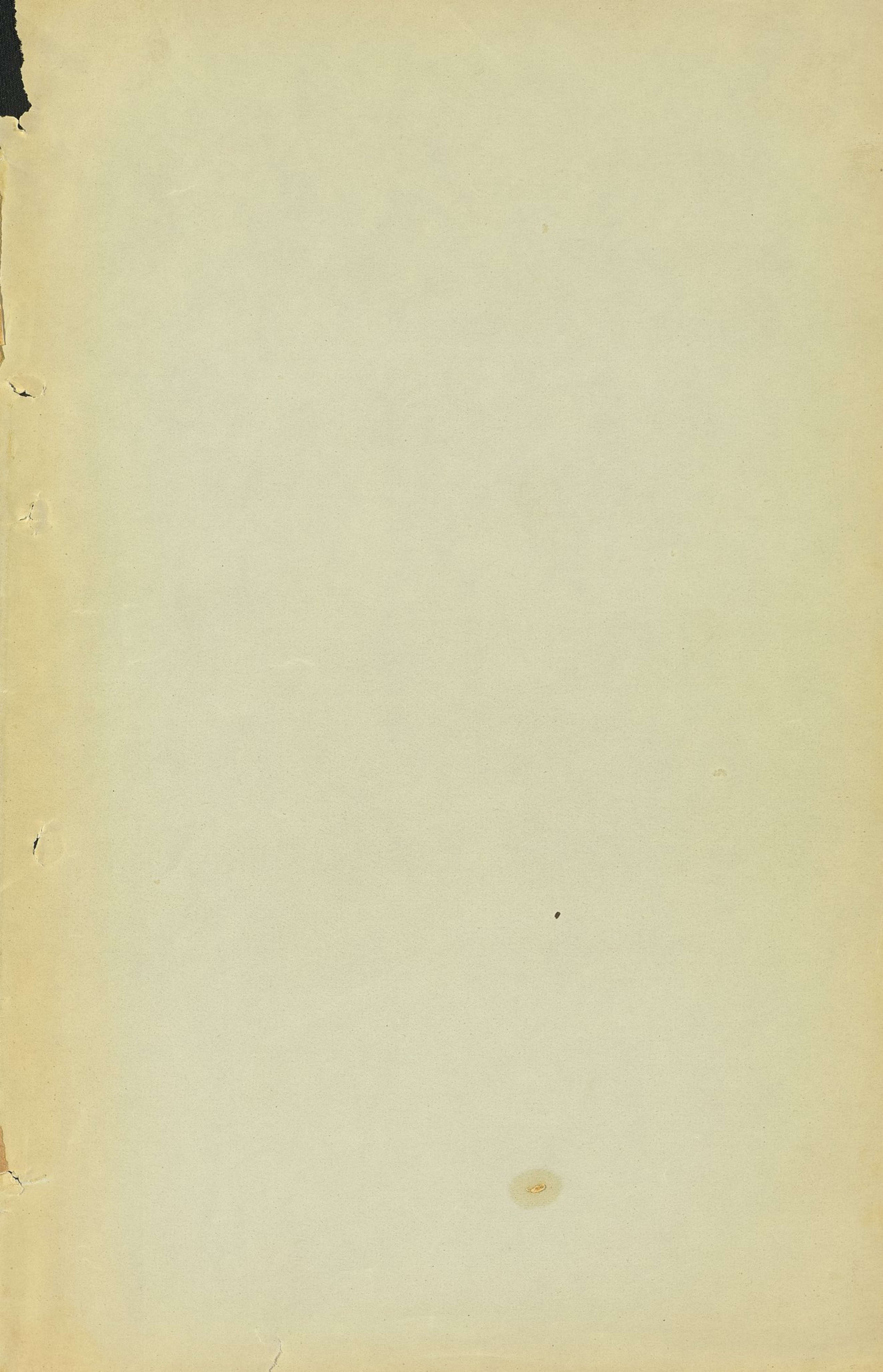
الطباخ

(١) اقول هذا الحكم من المؤلف باعتبار ما كانت عليه غالب الأمة المسيحية من الانحطاط العامي لعدم العناية منهم بالعلوم وانصرافهم فى هذه البلاد الى الأمور الاقتصادية كالأمة الاسرائيلية

فهرست كتاب الطب النبوي للأمام ابى عبد الله محمد بن قيم الجوزية رحمه الله









المطبوع من مؤلفات ناشر هذا الكتاب فى مطبعته العلمية بحلب

(اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء) وهو تاريخ مطول فى سبعة مجلدات الثلاثة الأول فى ذكر من ملكها من الملوك وحكمها من الأمراء من حين الفتح الأسلامي الى سنة ١٣٢٥ هجرية والأربعة الباقية في تراجم اعيانها من الأمراء والمحدثين والفقهاء والأدباء والوجهاء الخ من القرن الثاني الى سنة ١٣٤٥ هجرية ومجموع الأجزاء فى ٤٠٣٥ صحيفة وثمن كل جزء غير مجلد ثلاثة مجيديات.

[عظة الأبناء بتاريخ الأنبياء] كتاب مدرسى اعتمدنا فيه على تأييد الحوادث التى اوردناها بالآيات القرآنية وهو في ٦٠ صحيفة وثمنه ١٠ قروش دارجة يحسم لطالب الكمية عشرون في المئة.

[المطالب العلية في الدروس الدينية] ثلاثة كتب متسلسلة سهلة المأخذ جدا القسم الأول فى ٢٢ صحيفة وثمنه ٥ قروش والثاني فى ٣١ صحيفة وثمنه ٦ وربع والثالث في ٧٥ صحيفة وفيه رسم الحرم المكى وجبل عرفات والحجاج على الجبل ومنى والبقيع وثمنه ١٢ قرشاً ونصف قرش رائجة يحسم لطالب الكمية كما سبق.

[تمرين الطلاب في صناعة الأعراب] رسالة في ١٦ صحيفة تسهل على المبتدئين كيفية الأعراب وتعلمه في وقت قريب وثمنها قرشان ونصف.

المطبوع على نفقته من الكتب

القرب فى فضل العرب للحافظ العراقي فى [١٦] صحيفة ثمنه برغوث صغير.

[بيان السنة والجماعة] المعروف بعقيدة الطحاوي للأمام ابى جعفر الطحاوي وهو كتاب صغير الحجم كثير العلم سهل العبارة جداً ثمنه برغوث كبير

[منظومة اللوامع الضيائية في نظم السراجية] فى علم الفرائض للشيخ عبد الله الميقاتى الحلبى المتوفى سنة ١٢٢٣ ثمنها برغوث ونصف.

[هذا الكتاب الجليل] وهو كتاب الطب النبوي للأمام ابن القيم الجوزية المتوفي سنة ٧٥١ وهو في ٢٧٩ صحيفة وثمنه مجيدي ونصف في البلاد السورية و١٢ قرشاً مصرياً في البلاد المصرية.

